

الاصحح

من نسخة النبي الأعظم

الشيخ العلامة

العلامة الحق

السيد جعفر بن محمد بن علي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ



الصحيح

من سيرة النبي الأعظم ﷺ

الغلام المحقق

السيد جعفر مرتضى العاملي

للمرغ الحادي عشر

الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ
(الجزء الحادي عشر)
ر. ه. للعلامة المحقق السيد جعفر مرتضى العاملي

الناشر: دار الحديث للطباعة والنشر

المطبعة: دار الحديث

الطبعة: الثانية / ١٤٢٨ هـ ق - ٢٠٠٧ م - ١٣٨٦ هـ ش

عدد المطبوع: ١٠٠٠ دورة



قم، شارع معلم، قرب الساحة الشهداء، الرقم ١٢٥

الهاتف: ٥٤٥٠٧٧٤ - ٥٢٢٠٧٧٤ / فاكس: ٥٧١٠٧٧٤ - ٢٥١ / ص.ب. ٤٤٦٨ / ٣٧١٨٥

لبنان - بيروت - حارة حريك - خلف الضمان الاجتماعي - بناية فروزان، تلفاكس: ٢٧٢٦٦٤ - ١ - ٠٠٩٦١

BEIRUT - LEBANON Haret Herik Behind Center Forozan Bldg TeleFax: + 961 1 272664

<http://www.hadith.net>

ISBN (SET): 978 - 964 - 493 - 171 - 0

hadith@hadith.net

ISBN: 978 - 964 - 493 - 183 - 3

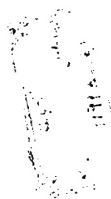


* جميع الحقوق محفوظة للناشر *

الفصل السابع:

معنويات الجيشين والرعب والخوف أيام الحصار

وہاں سے ازل و ابد



نہایت سے بہت زیادہ اور زیادہ سے زیادہ

الحالة المعنوية لجيش الأحزاب:

لقد حاصر المشركون المسلمين في المدينة مدة طويلة، سنتحدث عنها في الفصل التالي. ولا شك في أن جيش الشرك كان مطمئناً إلى أنه سوف يحقق في مسيره ذاك لحرب المسلمين نتائج طيبة ومثيرة وربما حاسمة، وذلك استناداً إلى ذلك الحشد الهائل الذي استطاع أن يوفره، والذي لم يسبق له مثيل.

ثم فوجئ بالخطة الدفاعية التي اعتمدها المسلمون في المواجهة، ولكنه لم يفقد الأمل، وحرص على متابعة الإعداد والاستعداد، بحمله بني قريظة على نقض العهد، وذلك على أمل أن يجد الوسيلة لتجاوز عقدة الخندق، للتوصل إلى المواجهة الحاسمة التي كان يأمل.

فكان من الطبيعي: أن نجد جيش الأحزاب يتظاهر بالأنفة والشموخ والعنجهية، والاستعلاء والفرح.

قال ابن شهر آشوب: «كان الكفار على الخمر، والغناء، والمدد، والشوكة»^(١). وكيف لا يكونون كذلك، وهم يرون أنفسهم في موقع من يحاصر

(١) (الشوكة: السلاح) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٢.

٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

أعداءه، ويضيق عليهم الخناق. ويتسبب لهم بالمزيد من الألم والأذى والخوف والرعب، مع ما يعانون من جوع وحاجة، وشدة.

وإن كان فيما بعد - وبعد قتل علي لطليعة فرسانهم - انقلب السحر على الساحر كما سنرى.

وما يهمننا هنا هو بيان حالة المسلمين في مواجهة الأحزاب فنقول:

المسلمون في مواجهة الأحزاب:

قد تحدث القرآن عن حالة المسلمين بصورة عامة في يوم الأحزاب، وتحدث عن حالات المنافقين ومواقفهم وأساليبهم في هذه المناسبة، وذكر أيضاً حالة أهل الإيمان والإخلاص، وميّزهم عن غيرهم.

ونحن نذكر هنا: الآيات التي تعرضت للفرقاء الثلاثة فنقول:

الحالة العامة:

لقد كان ثمة حالة من الخوف والرعب تهيمن على الأجواء العامة للمسلمين، الذين لم يستحكم الإيمان في نفوسهم وقلوبهم حتى زاغت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، قال تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَنْ تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُمْ مَثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ مَسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَى نَصُرُ اللَّهَ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾^(١).

حيث يذكر المفسرون: أن هذه الآية قد نزلت يوم الأحزاب وقيل:

(١) الآية ٢١٤ من سورة البقرة.

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار ٩
نزلت في أحد^(١).

وقد زاد هذا الخوف والرعب باستمرار الحصار، وظهور بعض المناوشات. وقد أشار الله سبحانه إلى ذلك، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾.

وقال تعالى: ﴿إِذْ جَاءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾^(٢).

يقين أهل الإيمان:

أما عن خصوص الثقة المؤمنة الصابرة المجاهدة، فإنهم كانوا مطمئنين إلى نصر الله تعالى لهم على أعدائهم. دون أدنى شك أو ريبة منهم، فقد قال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا، مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّن يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا، لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ إِن شَاءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ إِنَّ

(١) بحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٨٨ عن مجمع البيان ج ٢ ص ٣٠٩ وراجع: الدر المنثور ج ١ ص ٢٤٣ عن عبد الرزاق، وابن جرير، وابن المنذر، عن قتادة، وابن أبي حاتم، عن السدي.

(٢) الآيات ٩ - ١١ من سورة الأحزاب.

١٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١
 اللَّهُ كَانَ غَفُوراً رَحِيماً^(١).

حالة المنافقين:

أما المنافقون: فإنهم ما زالوا منذ البداية يشككون في قدرة المسلمين على
 المواجهة، وقد تقدم أنهم حين حفر الخندق أظهروا نفاقهم الذي رافق جميع
 مراحل المواجهة وقد حكى الله تعالى ذلك عنهم، فقال:

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا
 غُرُورًا، وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ
 فَرِيقٌ مِنَ النَّبِيِّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا،
 وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَاتَوَّاهَا وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا
 بَيْسِيرًا، وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُؤْلُونَ الْأَذْبَارَ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ
 مَسْئُولًا

قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا لَا تُنْتَعُونَ إِلَّا
 قَلِيلًا

قُلْ مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً
 وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا

قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ
 النَّبَأَ إِلَّا قَلِيلًا، أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ فَإِذَا جَاءَ الْخَوْفُ رَأَيْتَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ تَدُورُ
 أَعْيُنُهُمْ كَالَّذِي يُغْشَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَإِذَا ذَهَبَ الْخَوْفُ سَلَقُوكُمْ بِالسِّنَةِ

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار ١١
حَدَادِ أَشِحَّةً عَلَى الْخَيْرِ أُولَئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا فَأَخْبَطَ اللَّهُ أَغْمَاهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ
يَسِيرًا

يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا وَإِنْ يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ بَادُونَ فِي
الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنْبَائِكُمْ وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا^(١).

النصوص التاريخية:

قد ظهر من الآيات الشريفة: أن ما كان يثيره المنافقون من شائعات، وما
كانوا يتخذونه من مواقف، قد أثر على الحالة العامة، وأسهم في إثارة مشاعر
الخوف التي كانت متحفزة، بسبب ما يرونه من حشود هائلة، وبسبب الحصار
الذي يعانون منه وترافق مع الحاجة الملحة، الأمر الذي بث روح الإنهزام،
والتخاذل والتردد فيما بين ضعفاء النفوس، وقليلي التدبر.

وقد حملت لنا النصوص التاريخية بعض التفاصيل، التي يحسن الوقوف
عندها، إلى جوانب أخرى يحسن الإلمام بها والإطلاق عليها، والاستفادة منها.
ونحن نذكر هنا: بعضاً من ذلك ولا نصرف النظر عن جميع ما لدينا
من ملاحظات وتحفظات، بل نذكر بعضاً من ذلك، حسبما يقتضيه المقام،
فنعول:

عن جابر بن عبد الله، قال: كان خوفنا على الذراري بالمدينة من بني
قريظة أشد من خوفنا من قريش، حتى فرج الله ذلك^(٢).

وعن أم سلمة، أنها قالت: إنها شهدت مع النبي «صلى الله عليه وآله»

(١) الآيات ١٢ - ٢٠ من سورة الأحزاب.

(٢) المغازي ج ٢ ص ٤٦٨.

١٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

مشاهد فيها قتال وخوف: المريسي، وخيبر، والحديبية، والفتح، وحنين، ولم يكن من ذلك أتعب لرسول الله «صلى الله عليه وآله» ولا أخوف عندنا من الخندق، وذلك أن المسلمين كانوا في مثل الحرجة، وأن قريظة لا تأمنها على الذراري الخ...»^(١).

«وكانوا يبيتون بالخندق خائفين، فإذا أصبحوا أمّنوا»^(٢).

«واشتد البلاء والحصار على المسلمين، وشغلتهم أنفسهم، فلا يستريحون ليلاً، ولا نهاراً»^(٣).

وقال ابن شهر آشوب: «وكان الكفار على الخمر، والغناء، والمدد، والشوكة، والمسلمون كأن على رؤوسهم الطير لمكان عمرو.

والنبي «صلى الله عليه وآله» جاث على ركبتيه، باسط يديه، باك عيناه، ينادي بأشجى صوت:

«يا صريخ المكروبين، يا مجيب دعوة المضطرين، اكشف همي، وكربي، فقد ترى حالي»^(٤).

ويقولون: لما صح عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» نقض بني قريظة للعهد ضاق ذرعاً، وخشي أن يفت ذلك في أعضاد المسلمين، فعظم

(١) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٧ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٥.

(٢) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٨.

(٣) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٦.

(٤) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ وراجع ج ٣ ص ١٣٤ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٢ وراجع ج ١٤ ص ٨٨.

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار ١٣
البلاء، واشتد الخوف، وأتاهم عدوهم من فوقهم، ومن أسفل منهم، حتى
ظن المؤمنون كل ظن، ونجم النفاق، وكثر الخوض.

وأقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأصحابه فيما وصف من الخوف
والشدة لتظاهر الأعداء عليهم، وإتيانهم من فوقهم ومن أسفل منهم حتى كان
ما كان من كيد نعيم بن مسعود الخ...^(١).

وستأتي قصة نعيم، وما فيها من هنات وإشكال.

قال ابن الجوزي: «قال علماء السير: كان اشتد الخوف يوم الخندق،
وفشل الناس، وخيف على الذراري والأموال»^(٢).

وفي نص آخر: «ولما فشا نقص بني قريظة، واشتد الخوف، وعظم عند
ذلك البلاء، فبينما هم على ذلك إذ جاءتهم جنود - يعني الأحزاب - وهم قريش

(١) تجارب الأمم ج ١ ص ١٥٠ وأشار إلى ذلك في المصادر التالية: تاريخ ابن الوردي ج ١
ص ١٦١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٢ و ١١٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨
وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٤ و ٢٠١
والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٤ و ١٦٥ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ والبداية
والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ و ١١١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ وبحار الأنوار ج ٢٠
ص ٢٠٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ والمختصر
في أخبار البشر ج ١ ص ١٣٥ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ والسيرة النبوية لابن هشام
ج ٣ ص ٢٣٣ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥
وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ و ٢٨١.

(٢) الوفا ص ٦٩٣ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨ ونهاية الأرب ج ١٧
ص ١٧١.

وغطفان، ويهود بني قريظة..

إلى أن قال: فجاء بنو أسد، وغطفان، وفزارة، واليهود من فوقهم، من جهة المدينة، وقائدهم حارث بن عوف، وعيينة بن حصن، وجاء قريش وكنانة من جانب أسفل الوادي، وقائدهم أبو سفيان بن حرب^(١).

وقال ابن عباس: «كان الذين جاؤوهم من فوقهم بنو قريظة، ومن أسفل منهم قريش وغطفان، كذا في الوفاء. ومن هيبة كثرتهم، وشدة شوكتهم رعبت قلوب ضعفاء أهل الإسلام، وزاغت أبصارهم»^(٢).

وقال القيرواني: «جاءت قريش من ها هنا، واليهود من ها هنا والمجد من ها هنا، يريد هوازن»^(٣).

ومعنى ذلك هو: أن المسلمين كانوا محاصرين من جهات ثلاث ويقول الطبرسي: «من فوقكم: من فوق الوادي، من قبل المشرق: قريظة والنضير، وغطفان ومن أسفل منكم: أي من قبل المغرب، من ناحية مكة: أبو سفيان في قريش ومن تبعه»^(٤).

مواقف المنافقين:

وقال القمي: «لما طال على أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢

ص ٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٧ و ٣١٨.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥.

(٣) الجامع ص ٢٨١.

(٤) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٣٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٩٢ عنه.

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار ١٥
 الأمر واشتد عليهم الحصار، وكانوا في وقت برد شديد، وأصابتهم مجاعة
 وخافوا من اليهود خوفاً شديداً، وتكلم المنافقون بما حكى الله عنهم ولم يبق
 أحد من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا نافع، إلا القليل.
 وقد كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» أخبر أصحابه: أن العرب
 تتحزب ويحيثون من فوق. وتغدر اليهود ونخافهم من أسفل، وإنه
 ليصيبهم جهد شديد، ولكن تكون العاقبة عليهم.
 فلما جاءت قريش، وغدرت اليهود قال المنافقون: ﴿مَا وَعَدَنَا اللَّهُ
 وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾^(١).

وكان قوم لهم دور في أطراف المدينة، فقالوا: يا رسول الله تأذن لنا أن
 نرجع إلى دورنا، فإنها في أطراف المدينة، وهي عورة ونخاف اليهود أن
 يغيروا عليها.

وقال قوم: «هلموا فلنهرب، ونصير في البادية، ونستجير بالأعراب،
 فإن الذي كان يعدنا محمد كان باطلاً كله»^(٢).

وقال البيهقي: إنه بعد حصار دام قريباً من عشرين ليلة، وبعد حصول
 قتال دام إلى الليل، شغل المسلمين عن صلاة العصر: «فلما اشتد البلاء على
 النبي «صلى الله عليه وآله» وأصحابه نافع ناس كثير، وتكلموا بكلام قبيح
 فلما رأى رسول الله ما فيه الناس من البلاء والكرب جعل يشرهم ويقول:
 والذي نفسي بيده ليفرجن عنكم ما ترون من الشدة وإني لأرجو أن أطوف

(١) الآية ١٢ من سورة الأحزاب.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٦ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٩ و ٢٣٠.

١٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١
 بالبيت العتيق آمناً، وأن يدفع الله عز وجل إليّ مفاتيح الكعبة، وليهلكن الله
 كسرى وقيصر، ولتنتفن كنوزهما في سبيل الله عز وجل.
 وقال رجل ممن معه لأصحابه: ألا تعجبون من محمد!! يعدنا أن نطوف
 بالبيت العتيق، وأن نقسم كنوز فارس والروم، ونحن ها هنا لا يأمن أحدنا أن
 يذهب إلى الغائط، والله ما يعدنا إلا غروراً.
 وقال آخرون ممن معه: ائذن لنا، فإن بيوتنا عورة.
 وقال آخرون: «يا أهل يثرب، لا مقام لكم فارجعوا»^(١).
 ويقول نص آخر: «ونجم النفاق من بعض المنافقين، وقال معتب بن
 قشير: كان محمد يعدنا أن نأخذ كنوز كسرى وقيصر، وأن أموالها تنفق في
 سبيل الله، واحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط: ﴿مَا وَعَدَنَا
 اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾»^(٢).
 وقال رجال ممن معه: «يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا»^(٣).

-
- (١) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٢ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٠
 والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥.
 (٢) الآية ١٢ من سورة الأحزاب.
 (٣) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨ وراجع المصادر التالية: حقائق الأنوار ج ٢
 ص ٥٨٧ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠١
 وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٨
 والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٣ وإمتاع
 الأسماع ج ١ ص ٢٨٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ والمختصر في أخبار البشر ج ١
 ص ١٣٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧ وتاريخ =

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار ١٧
من الذي قال: بيوتنا عورة؟!

تقدم في النصوص التي أوردناها: أن هناك من قال: بيوتنا عورة، من أجل الحصول على إذن من النبي «صلى الله عليه وآله» لهم بترك مواقعهم والرجوع إلى بيوتهم، فمن هؤلاء الذين قالوا ذلك ياترى؟
إن بعض النصوص التاريخية تقول: هم: «عبد الله بن أبي وأصحابه.
وقيل: هم بنو سالم من المنافقين.
وقيل: إن القائل لذلك أوس بن قبطي ومن وافقه على رأيه، عن يزيد بن رومان»^(١).

وقال ابن الكلبي: إن أبا مليل، سليك بن الأزعر - شهد بدرًا - هو الذي قال يوم الخندق بيوتنا عورة»^(٢).
وقال الدياربركري: «وكان جماعة من المنافقين مثل أوس بن القيثبي، ومتابعيه ينفرون جيش الإسلام، ويقولون: ارجعوا إلى منازلكم، واعتلوا بأن منازلكم عورة، خالية عن المحافظة، فإنها خارج المدينة، ونحن نخاف

= اليعقوبي ج ٢ ص ٥١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٧ وتهذيب سيرة ابن هشام ج ٢ ص ١٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٤ و ١٦٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٩ و ٤٥٠ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٩٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ وراجع: سعد السعود ص ١٣٨.
(١) مجمع البيان ج ٣ ص ٣٤٧ والبحار ج ٢٠ ص ١٩٣ عنه وراجع: نهاية الأرب ج ٧ ص ١٨١.
(٢) راجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٩.

أن يظفر بها جيش العدو»^(١).

ويقول نص آخر: «عظم الأمر، وأحيط بالمسلمين من كل جهة وهم بالفشل بنو حارثة، وبنو سلمة، معتذرين بأن بيوتهم عورة خارج المدينة، ثم ثبتهم الله»^(٢).

لكن البعض قال: إن المستأذنين هم بعض بني حارثة لا كلهم، فراجع^(٣).

ويروي لنا الواقدي هذه القضية بنحو أكثر تفصيلاً، فيقول:

إن بني حارثة بعثوا بأوس بن قيثي إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، يقولون: إن بيوتنا عورة، وليس دار من دور الأنصار مثل دارنا، ليس بيننا وبين غطفان أحد يرد عنا، فأذن لنا فلنرجع إلى دورنا فتمنع ذرارينا ونساءنا.

فأذن لهم «صلى الله عليه وآله» ففرحوا بذلك، وتبأوا للانصراف.

فبلغ سعد بن معاذ ذلك، فقال: يا رسول الله، لا تأذن لهم، إننا والله، ما أصابنا وإياهم شدة قط إلا صنعوا هكذا، فردهم»^(٤).

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ وراجع: المواهب اللدنية ج ١ ص ١٣٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥.

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ وراجع المصادر التالية: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ وإمتاع الأسعاج ج ١ ص ٢٢٧ و ٢٢٨ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٨ ومجمع البيان ج ٢ ص ٣٤٧ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ١٩٣.

(٣) راجع: جوامع السيرة النبوية ص ١٤٩.

(٤) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٣ وراجع المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٩ وراجع: إمتاع الأسعاج ج ١ ص ٢٢٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ =

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار ١٩
من بقي مع النبي ﷺ في المواجهة؟!

قال دحلان: «فجعل المنافقون يستأذنون، ويقولون: بيوتنا عورة، أي من العدو، لأنها خارج المدينة، وحيطانها قصيرة، يخشى عليها السركة، فأذن لنا نرجع إلى نسائنا، وأبنائنا، وذرائنا؛ فيأذن «صلى الله عليه وآله» لهم. قيل: ولم يبقَ معه تلك الليلة إلا ثلاث مئة»^(١).
وعن حذيفة: «أن الناس تفرقوا عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» ليلة الأحزاب، فلم يبقَ معه إلا اثنا عشر رجلاً»^(٢).
وقال القاضي النعمان: «وتسلل عن رسول الله صلوات الله عليه وآله أكثر أهل المدينة، فدخلوا بيوتهم كالملقين بأيديهم»^(٣).
وتقدم قول القمي: «ولم يبقَ أحد من أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلا نافق إلا القليل».
وهذا يؤيد ما سيأتي: من أن سبب النصر هو بطولات علي «عليه

-
- = ص ٢٣٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ وليس فيه موقف ابن معاذ: وراجع المصادر التالية: وإن لم تشر لموقف ابن معاذ: عيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٣ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٥ و ٤٣٦.
(١) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ وستأتي بقية المصادر في الفصل الأخير من هذا الباب تحت عنوان: مهمة حذيفة بن اليمان.
(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٥٠ و ٤٥١ وراجع: تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٩ و ٢٥٠ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣١.
(٣) شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٤.

٢٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

السلام»، وما جرى على المشركين من مكابدة ما تثيره الرياح والأعاصير من متاعب لهم، وما تزرعه من خوف ورعب في قلوبهم، بعد أن آتت النشاطات النبوية لزرع الشكوك فيما بينهم ثمارها، كما سنرى.

وقبل أن نمضي في الحديث عن سائر الوقائع نتوقف قليلاً للإشارة إلى الأمور التالية:

الحارث بن عوف:

ذكرت بعض الروايات المتقدمة: الحارث بن عوف في المشاركين في حصار المدينة، وقد تقدم: أن قومه ينكرون حضوره حرب الأحزاب، فراجع الفصل الأول من هذا الباب.

رهبة الليل:

وقد ذكرت بعض النصوص المتقدمة: أن الليل كان بالنسبة لكثير من المسلمين بمثابة كابوس مخيف لما يتوقعونه من مفاجئات لم يحسبوا لها حساباً، ونحن وإن كنا نصدق أن ليل رهبته، ولكن وجود الرسول «صلى الله عليه وآله» فيما بينهم، وهو الذي لم يزل يطمئنهم إلى نصر الله وعونه، كان ينبغي أن يطمئنهم، ويذهب حالة الخوف والرعب من نفوسهم لو كانوا راسخي القدم في الإيمان، والتسليم لله ولرسوله.

خوف الرسول ﷺ:

وقد تحدثت بعض كلمات المؤرخين: عن خوف النبي «صلى الله عليه وآله» في حرب الأحزاب.

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار ٢١
ونحن لا نشك: في عدم صحة هذه النصوص، ولا أقل من أنها لم تتحرر
الدقة في نقل الوقائع والأحداث، فإن الرسول «صلى الله عليه وآله» كان
يبشر المؤمنين بنصر الله وعونه، ابتداء من حفر الخندق، ثم حين نقض بني
قريظة لعهدهم، وفي غير ذلك من مناسبات.

فلم يكن هو ليعاني من حالة الرعب والخوف، وهو الذي كان مصدر
السكينة والأمن والطمأنينة للناس.

بل إننا إذا كنا نرى أن القرآن يتحدث عن المؤمنين بأنهم كانوا على
درجة من التسليم والتصديق بوعد الله، وما زادهم مجيء الأحزاب،
ورؤيتهم لهم إلا إيماناً وتسليماً؛ فإن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» لن
يكون أقل إيماناً منهم.

والذي نراه: هو أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد تعب كثيراً في إنجاز
المهام حين صار أصحابه يتركونه، حتى بقي في قلة قليلة منهم.

بل إن بعضهم حتى طلحة وعمر قد تركوه، واختبأوا في حديقة هناك،
وقد كشفت عائشة أمرهم، وأخرجتهم بصورة ظاهرة كما ذكرناه في
موضعه فيمكن أن يكون بعض المؤرخين خلط بين التعب والمعاناة للنبي
«صلى الله عليه وآله» وبين الخوف، فنسب إليه الخوف، مع أن الصحيح هو
نسبة التعب كما قالته أم سلمة وغيرها فليلاحظ ذلك.

إتهام أحد البدرين بالنفاق:

وقد ذكرت النصوص المتقدمة: أن متعب بن قشير هو الذي قال: كان
محمد يعدنا كنوز كسرى وقيصر الخ..

٢٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

مع أن ابن هشام يقول: قيل: لم يكن متعب من المنافقين، وقد شهد بدرًا^(١).

وقال العسقلاني: «ذكروه في من شهد العقبة. وقيل: إنه كان منافقاً، وأنه الذي قال يوم أحد: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾»^(٢).

وقال: إنه تاب، وقد ذكره ابن إسحاق في من شهد بدرًا^(٣).

وقال أبو عمر: «شهد بدرًا وأحدًا، وكان قد شهد العقبة.

ويقال: إنه الذي قال: ﴿لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ مَا قُتِلْنَا هَاهُنَا﴾»^(٤).

ولا نريد تتبع سائر المصادر التي أشارت إلى بدرية متعب بن قشير. فكيف نوفق بين وصف القرآن له بالنفاق، وبين بدريته، التي توجب - حسبما يزعم هؤلاء - أن يغفر له كل ذنب، ويظهر من كل رجس، وقد تحدثنا عن هذا الأمر في غزوة بدر فراجع.

هيكَل يَخْطِي فِي تَصَوُّرَاتِهِ وَتَصَوُّرَاتِهِ:

قال محمد حسين هيكَل: «لأهل يثرب أبلغ العذر إن كان بلغ منهم الفزع وزلزلت قلوبهم، ولمن قال منهم العذر في أن يقول: كان محمد يعدنا أن نأكل كنوز كسرى وقيصر، وأحدنا اليوم لا يأمن على نفسه أن يذهب إلى الغائط، وللذين بلغت قلوبهم الحناجر العذر في أن تبلغها. أليس هو الموت

(١) عيون الأثر ج ٢ ص ٦٠.

(٢) الآية ١٥٤ من سورة آل عمران.

(٣) الإصابة ج ٣ ص ٤٤٣.

(٤) الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٣ ص ٤٦٢.

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار ٢٣
الذي يرون آتياً تقدح بالشرر عينه، مصورة في بريق هذه السيوف تلمع في
أيدي قريش، وفي أيدي غطفان، وتدب إلى القلب مخافته، متسللة من منازل
قريظة الغدرة الخائنين»؟^(١)

ونقول:

لقد اشتبه هيكلي في تصويره وفي تصويره أيما اشتباه، وذلك لأمر:
الأول: أن الله سبحانه قد حكى طائفة مما ذكر آنفاً عن المنافقين،
والذين في قلوبهم مرض، فقال: ﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ
مَّرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا، وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ يَا أَهْلَ يَثْرِبَ
لَا مُقَامَ لَكُمْ فَارْجِعُوا وَيَسْتَأْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمُ النَّبِيَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا
هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنْ يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾^(٢).

فهل كان المنافقون والذين في قلوبهم مرض على حق في قولهم هذا؟!
وقد صرح المؤرخون - حسبما تقدم وسيأتي أيضاً - : بأن المنافقين هم
الذين قالوا: يعدنا محمد كنوز كسرى الخ..

الثاني: إن هذه الأقوال - كما تقدم - إنما صدرت بادئ الأمر من
المنافقين قبل مجيء الأحزاب، وقبل نقض بني قريظة للعهد، إذ قد صرحت
الروايات بأنهم قد قالوا ذلك حين حفر الخندق، توقعاً لمجيء قريش
والأحزاب، ثم قالوا بعد اشتداد الحصار.

فلو سلمنا لهيكل قوله ذاك، نقول له: ما هو المبرر لرعبهم قبل مجيء

(١) حياة محمد (الطبعة الثانية سنة ١٣٥٤ هـ. ق دار الكتب المصرية) ص ٣٢٥.

(٢) الآيات ١٢ و ١٣ من سورة الأحزاب.

الأحزاب ولم يكن ثمة ما يوجب الخوف إلى هذه الدرجة؟

الثالث: إننا لا نوافق أن من حقهم أن يقولوا ذلك، حتى لو كان القائلون هم المؤمنون، وذلك لأنهم قد رأوا من الآيات والخوارق والكرامات للنبي «صلى الله عليه وآله» وهم يحفرون الخندق الشيء الكثير. فكان من المفروض فيهم أن يتيقنوا بنصر الله سبحانه لهم، وبصدق ما أخبر به نبيهم الأكرم «صلى الله عليه وآله».

ولكن لم تكن تلك الكرامات تقتصر على مجرد التصور العقلي لهم. بل كانت تتعدى ذلك لتكون ممارسة حسية لكل فرد منهم، كما كان الحال بالنسبة لإطعام أهل الخندق جميعاً من وليمة جابر.

الرابع: إن مراجعة الآيات القرآنية تعطينا: أن الذين زاغت أبصارهم وبلغت قلوبهم حناجرهم، وظنوا بالله الظنون هم غير المؤمنين الذين كانوا ثابتين في حصون الإيمان. لكن هؤلاء المؤمنين قد تأثروا من حالة إخوانهم، فوقعوا في البلاء والزلال، فقد قال تعالى مخاطباً المسلمين:

﴿إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾^(١).

فترى أنه تعالى قد تحدث عن المؤمنين بطريقة الحديث عن الغائبين، مع أنه لو كان المراد جميع المسلمين لكان السياق يقتضي أن يقول: «هنالك ابتليتم وزلزلتم».

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار ٢٥

أضف إلى ما تقدم: أنه لو كان الأمر كذلك لم يقل: «هنالك ابتلي» بل كان عليه أن يقول: وابتليتم. فكلمة «هنالك» تشير إلى أن الابتلاء للمؤمنين قد حصل حينما ظننتم بالله الظنون، وبلغت قلوبكم حناجركم. على أن من الواضح: أن ظن الظنون بالله لا ينسجم مع الإيمان بل هو ينافيه. وقد تحدث تعالى عن المؤمنين فذكر أنهم لم يظنوا الظنون هنا، بل زاد إيمانهم عمقاً ورسوخاً.

فقال تعالى: ﴿وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا، مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُمْ مَّنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَّنْ يَنْتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾^(١).

بقي أن نشير هنا: إلى أن المراد بابتلاء المؤمنين هو أن مسؤولياتهم أصبحت أكبر وأخطر من ذي قبل، وأصبحت كل المصائب والآلام الناتجة عن هذا الحصار، من انهزام المسلمين روحياً، والخوف على الذراري والنساء، وما صاحب ذلك من تحمل مشقات وجهد وسهر - إن ذلك كله - قد انصب على رؤوس ثلة قليلة مجاهدة صابرة، قد لا يتجاوز عددها عدد أصابع اليدين أو حتى اليد الواحدة.

إذ إن من الغني عن البيان: أن تحقيق وعد الله ورسوله لهم بالنصر، لا يعني أن لا يتحملوا المشقات والمصاعب والآلام الكبيرة وأن لا يبتليهم بالمواجهات الخطيرة، التي تصل إلى درجة الاستشهاد بالنسبة إلى بعض

(١) الآيتان ٢٢ و ٢٣ من سورة الأحزاب.

٢٦..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

الأفراد، لأن الوعد إنما هو للمجموع العام ولأهل هذه الدعوة بصفاتهم العامة، وإن كان أفراد كثيرون يستشهدون، أو يمتحنون بالمصائب والبلايا والرزايا.

الفصل الثامن:

عقد عينة.. مـذوب

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

العقد المزعوم مع عيينة بن حصن:

قال ابن المسيب: «حصر رسول الله «صلى الله عليه وآله» وأصحابه بضع عشرة حتى خلص إلى كل منهم الكرب.. إلى أن قال: فبينما هم على ذلك من الحال أرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى عيينة الخ...»^(١). وذكر نص آخر: أنه بعد أن حوَصر المسلمون، ونقض بنو قريظة العهد، وضائق الأمور على المسلمين، وأحيط بهم، وهم بالفشل بنو حارثة، وبنو سلمة، بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى عيينة بن حصن، والحرث بن عوف: أن يرجعا، ويخذلا الأعراب، ولهما ثلثا ثمار المدينة - كما في بعض المصادر - لكن أكثر المصادر تقول: ثلث ثمار المدينة. زاد في نص آخر قوله: «فجرى بينهما المرافضة في الصلح حتى كتبوا الكتاب، ولم تقع الشهادة ولا عزيمة الصلح»^(٢).

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٧ وراجع: المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٧.
(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٥ وراجع المصادر التالية: العبر وديوان المتبدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٦ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٢ و ١٧٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٠ والإرشاد للمفيد ص ٥١ و ٥٢ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٨ =

٣٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

وشاور «صلى الله عليه وآله» في ذلك: سعد بن معاذ، وسعد بن عبادة فأبيا، وقالوا: يا رسول الله، أشيء أمرك الله به فلا بد منه؟! أم شيء تحبه، فتصنعه، فنصنعه لك؟! أم شيء تصنعه لنا؟!

قال: بل أصنعه لكم، إني رأيت أن العرب رمتكم عن قوس واحدة. فقال سعد بن معاذ: قد كنا معهم على الشرك والأوثان، ولا يطمعون منا بتمرة شراء ولا بيعاً، فحين أكرمنا الله بالإسلام، وأعزنا بك نعطهم أموالنا؟! والله، لا نعطهم إلا السيف. فَصَلَّبَ رسول الله «صلى الله عليه وآله»^(١).

= البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٨ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٤ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٠ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٦ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠١.

(١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ وراجع: المصادر التالية: سيرة المصطفى ص ٤٩٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ و ٦ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠١ و ٢٠٢ وإمتاع الأسعاع ج ١ ص ٢٣٦ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧ وشرح نهج البلاغ للمعتزلي الشافعي ج ١٠ ص ١٨٠ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٦ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣١ وراجع: الإرشاد للمفيد ص ٥٢ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٩ و ١٥٠ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٩ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ و ١٨١ وكشف الغمة للأربلي ج ١ =

زاد البعض هنا قوله: «فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الآن قد عرفت ما عندكم، فكونوا على ما أنتم عليه، فإن الله تعالى لن يخذل نبيه، ولن يسلمه حتى ينجز له ما وعده.

ثم قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المسلمين، يدعوهم إلى جهاد العدو، ويشجعهم، ويعددهم النصر من الله تعالى^(١) «وترك ما كان هم به من ذلك»^(٢).

وقد تفننت بعض الروايات في تصوير وقائع هذه القصة فهي تقول: إنه «صلى الله عليه وآله» أرسل إلى رئيسي غطفان: عينة بن حصين والحارث بن عوف أن يجعل لهما ثلث ثمار المدينة، ويرجعان بمن معها. فجاءا متخفيين من أبي سفيان مع عشرة من قومهما إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فطلبا نصف ثمار المدينة، فأبى عليهما إلا الثلث فرضيا، فجرى بينه وبينهم الصلح، وأحضر رسول الله «صلى الله عليه وآله» الصحيفة والدواة، وأحضر عثمان بن عفان، حتى كتب كتاب الصلح، ولم يقع الإشهاد.

= ص ٢٠٣ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ و ١٠٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٢ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٢ و ١٧٣ و عيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٠ و ٤٣١ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٥ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٤ وتهذيب سيرة ابن هشام ١٩٢ و ١٩٣ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٧ و ٣٦٨ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٣ و ٢٩٤.

- (١) الإرشاد للمفيد ص ٥٢: كشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٢. ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨.
- (٢) بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦ وراجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ و ١٨١.

٣٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

وعند الواقدي والمقرئزي: أحضرت الصحيفة والدواة ليكتب عثمان الصلح، وعبادة بن بشر على رأس رسول الله «صلى الله عليه وآله» مقنع بالحديد.

ولما أرادوا أن يكتبوا الشهادة جاء أسيد بن حضير، فرأى عيينة بن حصن قد مد رجله بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعلم ما جاء له فأقبل إلى عيينة وقال:

يا عين الهجرس، أتمدّ رجلك بين يدي رسول الله «صلى الله عليه وآله»؟! فوالله، لولا مجلس رسول الله لأنفذت جنبك بهذا الرمح.

ثم أقبل بوجهه إلى النبي فقال: يا رسول الله، إن كان هذا شيئاً أمرك الله به لا بد لنا من عمله، أو أمراً تحبه، فاصنع ما شئت، ما نقول فيه شيئاً، وإن كان غير ذلك، فوالله ما نعطيهم إلا السيف، متى كانوا يطعمون منا؟! فسكت النبي «صلى الله عليه وآله» ولم يقل شيئاً.

وعلى حد تعبير الواقدي: فأسكت رسول الله «صلى الله عليه وآله».

فدعا سعد بن معاذ وسعد بن عباد، فاستشارهما فيه (خفية)، فقالا مثل ما قال أسيد (وأبوا إعطاء الدنية، فأمره النبي «صلى الله عليه وآله» بشق الكتاب) فاعتذر «صلى الله عليه وآله» بأنه قد رأى العرب رمتهم عن قوس واحدة.

إلى أن تقول الرواية: فتناول سعد، أي ابن معاذ، الصحيفة وأخذها من عثمان فمحا ما في الكتاب، ومزق الكتاب.

ثم تذكر الرواية: محاورة بين عبادة بن بشر وعيينة. ثم ذكر رجوع عيينة والحارث.

وعلمنا: أن لا يد لهم في المدينة، لما رأيا من إخلاص الأنصار، واتفاقهم مع رسول الله، ودخل في أمرهما فتور وتزلزل^(١).
وتشير بعض النصوص إلى دور لسعد بن الربيع أيضاً^(٢).

نقاط ضعف في هذا الإتفاق:

لقد حفلت هذه القصة بنقاط ضعف كثيرة لا نرى ضرورة للتعرض لها بالتفصيل ونكتفي هنا بالإشارة إلى الأمور التالية:

١- التناقض والاختلاف:

إننا نلاحظ هنا: تناقض واختلاف نصوص هذه الرواية، الأمر الذي

(١) راجع في النصوص المقدمة باختصار تارة وبإسهاب أخرى المصادر التالية: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٥ و ٤٨٦ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٧ و ٤٧٨ وفي تفصيلات لا مجال لإيرادها. والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٢ و ١٧٣ و عيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ وراجع: شرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦ وتاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ١١٨ و ١١٩ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٥ و ٢٣٦. وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٠ و ٥٣١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٥ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٩. وراجع: حول هذا العقد المزعوم أيضاً: الرسول العربي وفن الحرب ص ٢٤٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٦٠ و ج ١٧ ص ١٩٩ وخاتم النبيين ص ٩٣٦ و ٩٣٢ و ٩٣٣ والإكفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٤ و ١٦٥ وسيرة المصطفى ص ٥٠٧.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦.

٣٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

يعني أنه لا بد من استبعاد طائفة من هذه النصوص حتى لا يبقى ثمة تناقض واختلاف فيما بينها.

فليلاحظ مثلاً: اختلافها في أنه «صلى الله عليه وآله» أعطاهما ثلث ثمار المدينة، أم الثلثين؟!

وهل كُتِبَ كتاب، ثم رفض السعدان أم رفضا ذلك قبل أن يكتب الكتاب. وهل استشار السعدين، أم استشار السعود.

٢- الحارث بن عوف:

وقد تقدم: أن البعض ينكر مشاركة الحارث بن عوف في حرب الخندق، وإن كان الواقدي يصر على هذه المشاركة، فراجع فصل: الأحزاب إلى المدينة. فقرة: تحفظ تاريخي.

٣- سعد بن الربيع:

قد ذكرت بعض النصوص: أنه قد كان لسعد بن الربيع دور في هذه القضية أيضاً. مع أن سعداً هذا قد استشهد في حرب أحد، وهي قبل الخندق بزمان طويل، فراجع.

٤- استشارة السعود، وإعطاء الدنية:

بعض النصوص تقول: إن عيينة بن حصن جاء مهدداً متوعداً فهي تقول: إنه قال: يا محمد ناصفنا ترم المدينة، وإلا ملأنا عليك خيلاً ورجالاً. فقال: حتى أستمّر السعود: سعد بن عباد، وسعد بن معاذ، وسعد بن ربيعة، وسعد بن مسعود.

فكلمهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» في ذلك، فقالوا: لا والله ما أعطينا الدنية في أنفسنا في الجاهلية، فكيف وقد جاء الله تعالى بالإسلام؟ فرجع الحارث فأخبره، فقال: غدرت يا محمد^(١).
فما معنى هذا التهديد والوعيد من عينة، ألم يملأها حتى الآن خيلاً ورجالاً؟!

وهل بقي عنده خيل ورجال غير هؤلاء لم يأت بهم لحرب محمد؟! والملفت في هذا النص: أن جميع الذين يريد النبي «صلى الله عليه وآله» أن يستشيرهم اسمه سعد، فما هذه المصادفة العجيبة!! ألم يكن في الأنصار أحد من الرؤساء له اسم آخر؟! وأمر ثالث يلفت النظر هنا: وهو أنهم اعتبروا أن ذلك معناه إعطاؤه الدنية. فهل كان النبي بصدد أن يعطي الدنية للأعداء؟ ألم يكن يعلم أنهم لم يعطوها في الجاهلية، فكيف وقد جاء الله تعالى بالإسلام؟!

٥- المرافضة وكتابة الصلح:

والأمر الذي يصعب علينا تفسيره وهو: أنه كيف تمت كل هذه المراحل، من دون علم السعدين، أو السعود الأربعة، وغيرهم من زعماء الأنصار؟! فالنبي «صلى الله عليه وآله» يرسل للأعداء ويستقدمهم، ويأتون إليه وتجري مراوضة في شأن الصلح، ثم يرسل النبي «صلى الله عليه وآله»

٣٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

وراء عثمان ويأتي، ويكتب الكتاب. كل ذلك يحصل ولا أحد من زعماء الأنصار يعرف بشيء، حتى يرسل إليهم النبي «صلى الله عليه وآله»، ويحضرهم.

فهل كانوا لا يحضرون مجلس النبي، إلا أن يحضرهم إليه «صلى الله عليه وآله» نفسه؟!

وهل صحيح أنهم كانوا يغيبون عنه فترات طويلة هذا المقدار ولا سيما في حرب الخندق، التي يفترض فيها تواجدهم حوله باستمرار ليتلقوا الأوامر؟!

وكيف غاب جميع من كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» بحاجة إلى استشارتهم ولم يحضر ولا أحد منهم ولو صدفة؟! إلا أن أسيد بن حضير حضر بصورة مفاجئة!!

٦- العجز والفشل:

ولا ندري بعد هذا كيف يقدم النبي «صلى الله عليه وآله» على أمر لا يثق من قدرته على إنجازه؟ أم يعقل: أنه كان واثقاً من ذلك ثم فوجئ بها أحبط سعيه، وخيب أمه؟!

٧- رأي النبي ﷺ ورأي غيره:

هل صحيح أن للنبي «صلى الله عليه وآله» آراء يطلقها من عند نفسه، ولا تنتهي إلى الإرادة الإلهية؟!

وكيف نفهم قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ، إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ

يُوحَى؟! (١).

أم أن هذه الآية تتحدث عن خصوص ما ينطق به من أي القرآن أو عن أمور يطلب منه تبليغها كالأحكام الشرعية، ونحوها؟! وكيف وبماذا نخصص الآية بما ذكر؟! وإذا سلمنا ذلك جدلاً، فهل صحيح أن للنبي بعض الآراء التي يخطئ فيها، أم أنه ذو اجتهاد صواب دائماً؟! وبعد ما تقدم: لا بد أن نسأل عن الوسائل التي يمكننا أن نفرق فيها بين ما هو رأي واجتهاد له، وبين ما يأتي به من قبل الله سبحانه.

٨- اتهام النبي ﷺ:

ولا ندري أيضاً: كيف نفسر قولهم للنبي: «أم شيء تحبه؛ فنصنعه لك» فهل يتصورون أن النبي «صلى الله عليه وآله» يمكن أن يقوم بعمل خطير كهذا لأنه يجب أن يصنع شيئاً لنفسه دونهم؟! وهل هذه إلا إساءة أدب وسوء ظن خطير برسول الله «صلى الله عليه وآله» يصل إلى حد التهمة؟!

٩- فصلَّب رسول الله ﷺ:

ويستوقفنا هنا قولهم: فصلَّب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فهل كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد ضعف أمام أعدائه، فبدأ يقدم لهم التنازلات ويعطيهم الامتيازات؟

إن نصاً آخر ذكرناه آنفاً: يكاد يكون صريح الإيحاء بأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان بصدد التخلي عن جهاد العدو، حيث يقول: «ثم

٣٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

قام رسول الله «صلى الله عليه وآله» في المسلمين، يدعوهم إلى جهاد العدو، ويشجعهم، ويعددهم النصر من الله تعالى وترك ما كان هم به من ذلك.

١٠- الاحتفاظ بسرية هذا العقد:

كيف استمر هذا الأمر خافياً على أبي سفيان، وكيف لم يسر به النبي والمسلمون إلى مسامع زعيم قريش، ليكون مثار خلاف فيما بين زعماء الأحزاب أنفسهم، كما جرى لبني قريظة؟ فإنه إذا كان الأمر بالنسبة لبني قريظة لم يبعد حدود الإعلام بهدف تدمير حالة الثقة القائمة بينهم وبين المشركين، فإن الأمر هنا أصبح أكثر واقعية، بعد أن قطع المتفاوضون مراحل واسعة باتجاه عقد الاتفاق، حتى لقد كتب الكتاب، وإن لم تقع الشهادة والصلح.

إلا ان يقال: إن تسريب أمر خطير كهذا سوف يكون مضرًا بالمسلمين، لأنه يعطي للمشركين انطباعاً عن ضعف المسلمين وانهايار معنوياتهم، الأمر الذي ربما يثير لدى قوى الشرك شهية مواصلة الحصار، ومضاعفة الضغوط للوصول بالمسلمين إلى حالة الإنهيار الكامل.

كما أن هذا التسريب لم يكن في صالح زعماء غطفان؛ لأنه سوف يعقد العلاقات مع حلفائهم، ويثير لهم معهم مشاكل هم في غنى عنها. أما المنافقون: فلعلهم لم يجدوا في تسريب معلومات كهذه ما يخدم مصالحهم، أو يفيد في إخراجهم من الورطة التي يجدون أنفسهم فيها.

١١- أدب عيينة، وغيره ابن حضير:

ولا يفوتنا الإلماح: إلى أن عيينة بن حصن يمد رجليه بين يدي رسول

الفصل الثامن: عقد عينة.. مكذوب ٣٩

الله ولا يزره النبي «صلى الله عليه وآله»، ولا أحد من الصحابة الحاضرين ولا حتى عمر بن الخطاب، ولا أبو بكر، اللذين لم نسمع لهما ذكراً في هذه القضية ولا في غيرها إلا في مواقع ما كنا نحب أن نراها فيها.

والأهم من ذلك: أن علياً «عليه السلام» أيضاً لا يعترض، ويبقى الجميع ينتظرون قدوم أسيد بن حضير ليقف هو فقط ذلك الموقف الغيور والنبيل والشجاع. حتى إنه يتهدد عينة بأن ينفذ جنبه بهذا الرمح لولا احترامه مجلس رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ولا بد من تسطير الفضائل لأسيد هذا؛ لأنه من المهاجرين لبنت فاطمة «عليها السلام»، ومن موطدي الأمر لأبي بكر، والقائمين به، لما بينهما من قرابة، ولأمور أخرى لا مجال للإفاضة فيها الآن.

١٢- فأسكت رسول الله ﷺ:

والأكثر غرابة هنا: ما ذكره الواقدي في هذا السياق من جرأة على مقام النبوة الأقدس، حين ذكر: أنه بعد أن قال أسيد بن حضير ما قال «فأسكت رسول الله».

يا لها من جرأة قاسية، وإهانة وقحة لنبي الإسلام «صلى الله عليه وآله»، من قبل أناس لا يرون إلا مصالحهم، ولا يهتمهم إلا تمشية سياساتهم، حتى ولو على حساب كل القيم والمثل الإسلامية والإنسانية.

هذا كله: عدا عن ظهور نبرات فيها ظلال ثقيلة من الاعتداد بالنفس والتحدي في كلمات أسيد في مواجهة النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله». فراجع كلماته وتأمل.

٤٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

هذا ما أحببنا الإلماح إليه في هذا المجال، ولننظر الآن ماذا يقول الآخرون الذين يهتمون بالتبرير، ويرعون في التصوير، فنقول:

المساس بشرف الإسلام:

قد حاول البعض شرح ما جرى، بطريقته الخاصة، فهو يقول: «على الرغم من المجاعة التي قاساها المسلمون، والضيق الذي ألم بهم من جراء الحصار المتطاوّل، والسهر والحراسة الموصولين، فقد رأوا أن في القبول بمثل هذا الذل جرّحاً لكرامتهم.

وقال الأنصار الذين عنتهم هذه المساومة المقترحة مباشرة: إنهم لم يدفعوا أي جزية إليهم حتى في الجاهلية، فكيف يطيقون الإذعان لهم، خاصة وأن في الأمر مساساً بشرف الإسلام نفسه»^(١).

وليت شعري كيف يقدم النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» على أمر فيه مساس بشرف الإسلام؟! إلا أن يكون «صلى الله عليه وآله» لم يدرك أن الأمر ينطوي على المخاطرة بهذا الشرف الراسخ، والعز الباذخ؟! أو أن شرف الإسلام لم يكن يعنيه كثيراً، وكان يعنيه هم وحدهم دونه؟!

إستفادات وتوجيهات:

١ - لقد استفادوا من هذا الحدث فوائد وعوائد، فقد قال أبو زهرة:

«قد أفاد عرض الصلح أمرين عظيمين:

أولهما: أن النبي «صلى الله عليه وآله» علم عزمة أصحابه، وأنهم

(١) حياة محمد ورسائله ص ١٦٨ .

الفصل الثامن: عقد عينة.. مكذوب ٤١
يريدون لقاءهم.

ثانيهما: أن ذلك أطمع غطفان ومن معها من القبائل، والطمع إذا سكن حل العزيمة، وقد ترتب على ذلك الإطاع أنهم تمللوا بطول الحصار، وجرى بينهم وبين القرشيين خلاف، وهما أن يعودوا من حيث جاؤوا^(١).

وقال: «إن ذلك يثير طمعهم، ويفت في عضدهم، وإن كان أمر الصلح لم يبت فيه، ولكن بابه مفتوح ولم يغلق»^(٢).

وقال: إنه «صلى الله عليه وآله» أراد «أن يخذل المشركين بعضهم عن بعض بإثارة الطمع في بعضهم، فيتخلون عن باقيهم»^(٣).

ولعل هذا هو ما يرمي إليه البعض، حين اعتبر أن هذا الصلح يهدف إلى «صرفهم عن قريش، ليفت ذلك في عضدهم، فيرجعوا أيضاً».

«وقد تجلت حنكته السياسية في مساومته غطفان لزلزلتها عن موقفها إلى جانب قريش»^(٤).

وقال: «لما فاوض الرسول «صلى الله عليه وآله» غطفان، وأطمعهم في ثلث غلة المدينة، ثم عدل عن ذلك، ورفضه، توهمت غطفان: أن مركزه قد تحسن، وأنه مقبل على حرب الأحزاب وإجلائهم».

ومما زاد هذا الوهم تحقق غطفان من عدول بني قريظة عن مناصرة الأحزاب، وعزمها على تقديم سادات قريش وغطفان إلى الرسول

(١) خاتم النبیین ص ٩٣٣.

(٢) خاتم النبیین ص ٩٣٦.

(٣) خاتم النبیین ص ٩٣٢.

(٤) تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ١١٩ و ١٢٠.

ليقتلهم»^(١).

وثمة هدف آخر له «صلى الله عليه وآله» وهو: أنه كان يريد أن يطمئن إلى ما يتمتع به أصحابه من قوة معنوية واعتداد على نصر الله وتوقيفه؛ لأنه لم يكن يحب أن يسوق أصحابه إلى حرب أو مغامرة لا يجدون في أنفسهم شجاعة لخوضها، أو لا يؤمنون بجداها، ولذلك عرض عليهم رأيه، وأبلغهم أنه ليس تبليغاً من الله تعالى^(٢).

وبعد أن ذكر البعض: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان «يعرف حق المعرفة: أن دوافع غطفان للغزو هي مادية قبل أي شيء آخر»^(٣).

قال: «وقد حققت هذه المناورة السياسية أغراضها على الرغم من أنها لم تنته إلى اتفاق مكتوب كما علمنا، ذلك أن كل المصادر التاريخية تجميع: أنه لم يكن لغطفان أي دور عسكري بعد هذه المقابلة التي أكدت لهم إصرار رجال الثورة الإسلامية على القتال في سبيل عقيدتهم. ولكنهم ظلوا مرابطين في معسكراتهم حتى أمرهم القائد أبو سفيان بالانسحاب وفك الحصار»^(٤).

٢- وأما بالنسبة للدلالات لهذا الحدث، فهم يقولون:

ألف: إنها محصورة في مجرد مشروعية مبدأ الشورى في كل ما لا نص فيه^(٥).

(١) تاريخ الإسلام السياسي ج ١ ص ١٢٠ هامش.

(٢) فقه السيرة للبوطي ٣٠٠ و ٣٠١.

(٣) الرسول العربي وفن الحرب ص ٢٤٦.

(٤) المصدر السابق ص ٢٤٨.

(٥) فقه السيرة للبوطي ص ٣٠٠ و ٣٠٢.

الفصل الثامن: عقد عينة.. مكذوب ٤٣

ب: إنها تدل أيضاً على: «جواز إعطاء المال للعدو لمصلحة المسلمين.
وقد صالح معاوية ملك الروم على الكف عن ثغور الشام بهال دفعه
إليه، ذكره أبو عبيدة».

قال السهيلي: قيل: كان مئة ألف دينار^(١).

ج: وزعم البعض: أن هذا الحدث يدل على أنه يجب على المسلمين أن
يدفعوا الجزية إلى غير المسلمين إذا اقتضت الحاجة. وعلى جواز صرف
المسلمين أعداءهم عن ديارهم باقتطاع شيء من أرضهم أو خيراتهم لهم
وقد ناقش ذلك البعض بما حاصله:

أولاً: إن الرأي المعروض للاستشارة، لا يعتبر دليلاً تشريعياً لأن
المقصود بالاستشارة مجرد استطلاع ما في النفوس، فهي ممارسة لعمل
تربوي بحت. والذي يحتج به من تصرفاته «صلى الله عليه وآله» وأقواله هو
خصوص ما لم يرد اعتراض عليه من كتاب الله تعالى. أما ما كان في حدود
الاستشارة والرأي، فلا يعتبر دليلاً بحال.

ثانياً: «لسنا ندري ما الصلة بين الجزية، وما يمكن أن يتصالح عليه
فريقان متحاربان.

إن قلت: إن اضطر المسلمون - بسبب ضعف طارئ - إلى التخلي عن
بعض أموالهم حفظاً لحياتهم، وحثراً من استئصال شأفة المسلمين، أليس
لهم أن يفعلوا ذلك؟! »

(١) شرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦ عن البغوي. وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤
ص ٥٦٥ والروض الأنف ج ٣ ص ٢٧٨.

٤٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

فالجواب: أن قد تستلب أموال المسلمين، ويغنمها أعداؤهم ولكن ليس ذلك عن اختيار من المسلمين، ولا لأجل تشريع ذلك فتوائياً، وإنما هو إلقاء وإكراه لهم. والأحكام الشرعية لا يخاطب بها المكروه، ولا الملجأ، ولا الصبي ولا المجنون.

فهذه الحالة التي هي من وراء حدود التكليف لا يتزعزع فيها حكم تكليفي، يختار على أساس الرأي والمصلحة والمراوضة^(١).

هذا ما ذكره ذلك البعض هنا، ولنا فيه ومعه مناقشات ووقفات نجملها في النقاط التالية:

مناقشة سريعة:

ألف: قول أبي زهرة: إن إطماع غطفان نشأ عنه تمللهم بطول الحصار، لا ندري كيف نفهمه، إذ ما هو الربط بين إطماعهم، وبين تمللهم؟

ب: كما أن ما ذكره من حدوث خلافات بين قريش وبين غطفان لا ندري من أين جاء به، وعن أي مصدر نقل ذلك؟!

ج: هل كان النبي «صلى الله عليه وآله» جاهلاً بعزيمة أصحابه، وبمقدار استعدادهم للقاء عدوهم؟ إن ما لدينا من وصف دقيق لحالتهم، ومن نصوص سجلت لنا مواقفهم وتصرفاتهم لا تترك مجالاً للشك في حقيقة النوايا، ودرجة الاستعداد عندهم للقاء عدوهم، سلباً أو إيجاباً. ولا في مستوى القوة المعنوية والاعتماد على نصر الله لدى أصحابه.

(١) فقه السيرة للبوطي ص ٣٠٠-٣٠٢.

الفصل الثامن: عقد عينة.. مكذوب ٤٥

د: ما معنى قوله: إن أمر الصلح لم يبت فيه، وبابه مفتوح لم يغلق؟ ألم يغلق السعدان باب هذا الصلح.. وبتاً الأمر فيه؟!

ه: لا ندري كيف توهمت غطفان أن مركز النبي قد تحسن حين عدل عن الصلح؟ وهم قد رأوا بأن أعينهم سبب العدول عن الصلح، وأنها ضغوط تعرض لها، ورفض من أصحاب الثمار أنفسهم، ولم يطرأ أي شيء على الحالة العسكرية، ولا على التحالفات القائمة بين الفرقاء من كلا الجانبين..

فكيف تتوهم غطفان أن مركز النبي «صلى الله عليه وآله» قد تحسن إلى درجة أنه مقدم على حرب الأحزاب وإجلالهم؟

و: وأما أن هذه المناورة قد جعلت غطفان تحجم عن الاضطلاع بأي دور عسكري خوفاً من مقاومة المسلمين، ولكنهم ظلوا في معسكراتهم حتى أمرهم أبو سفيان بالانسحاب. فهو كلام عجيب غريب. فإن دور غطفان العسكري لا يقل عن دور غيرها فالكل يحاصرون المسلمين، والكل يتناوبون على الخندق.

وسياقي حديث أم سلمة عن هجوم خيل غطفان على بعض نواحي الخندق، وأن غطفان قد شاركت في الهجوم الشامل على المسلمين الذي فوت على المسلمين بعض صلواتهم كما سياقي..

ز: الشورى فيما لا نص فيه: وأما بالنسبة للشورى فيما لا نص فيه، فلا يصح استفادتها من هذا المورد.

إذ إن المفروض: أنه «صلى الله عليه وآله» قد قضى في المورد بالصلح، فلما معنى اعتراض أسيد بن حضير عليه، ونقض ما كان قد أبرمه؟!

٤٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

ثم إن مبدأ الشورى إنما يعمل به قبل اتخاذ القرار، فما معنى أن يستشير النبي «صلى الله عليه وآله» بعد اتخاذه القرار، واستقدام عينة وأصحابه؟!
ح: ولا يصغى بعد هذا لما ذكره البوطي، من أن ما صدر من النبي لم يخرج عن حدود الاستشارة والرأي، فلا يعتبر دليلاً تشريعياً على جواز إعطاء الجزية للمشركين.

فإن ما صدر عن النبي «صلى الله عليه وآله» كان أكثر من مجرد استشارة في هذا الأمر، بل قد تعداه إلى استقدام عينة، ثم استدعاء عثمان وكتابة الكتاب.
ط: وأما بالنسبة لغنيمة الأعداء لأموال المسلمين بسبب ضعف طارئ، فإن ذلك لا يغير الحال، بل يبقى عنوان غنيمة أموال المسلمين بالكره عنهم.
ولو اضطروا لإعطاء الجزية، فإن إكراههم على ذلك لا يرفع عنوان الجزية عن إعطائهم ذاك. بل هي جزية سواء كان من يعطيها مختاراً أو مضطراً لأجل الحفاظ على وجوده وحياته.

ي: ثم إن البوطي قد خلط بين المكره والمضطر، فإن الاضطرار إلى شيء لا يرفع الحكم التكليفي، والإكراه غير الاضطرار. فطلاق المكره وهو الذي تخضع إرادته لإرادة الغير، لا يصح. أما طلاق المضطر، وبيعه، فلا إشكال فيه، كمن اضطر لبيع بيته بثمان زهيد لأجل علاج ولده.
فالخلط بين المكره والمضطر في غير محله..

المشورة وقيمة رأي النبي ﷺ:

قال المعتزلي: «وكيف يقول المرتضى: إنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن محتاجاً إلى رأي أحد، وقد نقل الناس كلهم رجوعه من رأي إلى رأي عند

المشورة؟ نحو ما جرى يوم بدر من تغير المنزل لما أشار عليه الحباب بن المنذر، ونحو ما جرى يوم الخندق من فسخ رأيه في دفع ثلث تمر المدينة إلى عيينة بن حصن ليرجع بالأحزاب عنهم؛ لأجل ما رآه سعد بن معاذ، وسعد بن عباد من الحرب، والعدول عن الصلح، ونحو ما جرى من تلقيح النخل بالمدينة، وغير ذلك»^(١).

ونقل عن الإسكافي في رده على الجاحظ قوله: «ولقد كان أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» يشيرون عليه بالرأي المخالف لما كان أمر به وتقدم فيه، فتركه ويعمل بما أشاروا به، كما جرى يوم الخندق في مصانعة الأحزاب بثلث تمر المدينة، فإنهم أشاروا عليه بترك ذلك فتركه وهذه كانت قاعدتهم معه، وعادته بينهم»^(٢).

ونقول:

وقد ناقشنا في كل ما استشهد به المعتزلي والإسكافي حول تغيير رأي النبي «صلى الله عليه وآله»، وخطئه في آرائه في قصة تأبير النخل، ثم قصة مشورة الحباب في بدر فراجع. وقصة عيينة في الخندق قد ظهر عدم إمكان قبولها بأي وجه، فلا معنى لاعتراض المعتزلي على السيد المرتضى فيما قاله.

الصحيح والمقبول في هذه القضية:

ولا نمنع أن يكون ثمة عمل دبره النبي «صلى الله عليه وآله» من خلال إطلاق إشاعة عن أمر كهذا، من شأنها أن تحدث فجوة في جدار الثقة الذي

(١) شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد المعتزلي الشافعي ج ١٧ ص ١٩٩.

(٢) المصدر السابق ج ١٣ ص ٢٦٠.

٤٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

يحمي جسم جيش الشرك وصفوفه من التصدع، تماماً كما كان الحال بالنسبة لما فعله «صلى الله عليه وآله» بين قريظة وقريش وجيش الشرك كما سيأتي. ولم يتعد الأمر حدّ الشائعة، التي يمكن للمسلمين أن يفهموا مراميها. ولكن الرواة حرّفوا هذه القضية ونسجوا حولها من خيالهم الشيء الكثير، ثم استفاد المصطادون في الماء العكر من ذلك، فنفتوا سمومهم للنيل من الشخصية النبوية الشريفة، ثم لتبرير ما صدر من معاوية من عمل ذليل مخز، حين قَبِلَ أن يعطي ملك الروم مئة ألف دينار ذهباً، كي يتفرغ لحرب سيد الوصيين علي أمير المؤمنين عليه الصلاة والسلام بهدف الإجهاز على آخر حصون الإسلام المنيعه، وإعادة حكم الجاهلية.

بل لقد وجدنا في كلمات الزبير بن باطا ما يشهد على أن غطفان هي التي أرسلت إلى النبي «صلى الله عليه وآله» تعرض عليه أن يعطيها بعض ثمار المدينة مقابل الانسحاب من المواجهة معه، فأبى «صلى الله عليه وآله» أن يعطيها إلا السيف.

يقول الزبير بن باطا وهو يحاول إقناع أصحابه بعدم طلب الرهن من قريش: «وهذه غطفان تطلب إلى محمد أن يعطيها بعض ثمار المدينة فأبى أن يعطيهم إلا السيف»^(١).

الباب الثاني

معركة الخندق

الفصل الأول: الحصار والقتال

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق

تعاذل عبادة الثقليين

الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق

في كتابنا الثاني

في كتابنا الثاني قسم من قسمه

في كتابنا الثاني القسم الثاني من القسم
في كتابنا الثاني القسم الثاني من القسم
في كتابنا الثاني القسم الثاني من القسم
في كتابنا الثاني القسم الثاني من القسم

الفصل الأول:

الحصار والقتال

ساعة السحابة

ساعة السحابة

بداية الحديث:

من الواضح: أن وجود الخندق قد أفشل خطة الأحزاب، وشل حركتهم، ولكنهم لم يفقدوا الأمل، فقد كان الأمل لا يزال يراودهم بإمكانية أن يجدوا فرصة، ويحدثوا ثغرة تمكنهم من توجيه ضربة قاسية للوجود الإسلامي، ولو بالتعاون مع يهود بني قريظة، الذين يتواجدون في مؤخرة الجيش الإسلامي، مع علم المشركين بالحالة الصعبة التي كان يعاني منها المسلمون خصوصاً من حيث التموين ووسائل الدفاع والصمود، مع وجود المنافقين الذين يمكن التعاون مع بعضهم أيضاً لإحداث إرباكات خطيرة داخل الجيش الإسلامي.

وقد تحدثنا في الفصل السابق عن معنويات كلا الجيشين بالإضافة إلى موضوعات أخرى، ونتحدث الآن عن الحصار، وعن بعض الأحداث التي حصلت فيه، فنقول، وعلى الله نتوكل، ومنه نستمد العون والقوة:

مدة الحصار:

قد تقدم: أن المشركين أحاطوا بالمسلمين حتى جعلوهم في مثل الحصن من كتائبه، وأخذوا بكل ناحية^(١). وقد استمر هذا الحصار مدة طويلة.

(١) راجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٩.

اختلف فيها المؤرخون وهل كانت خمسة عشر يوماً^(١)

أو عشرين يوماً^(٢).

أو أكثر من عشرين يوماً^(٣).

أو شهراً^(٤).

(١) راجع: شذرات الذهب ج ١ ص ١١ والتنبية والإشراف ص ٢١٦ وراجع سيرة مغلطاي ص ٥٦ ومرآة الجنان ج ١ ص ٩ و ١٠ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ وبه جزم الواقدي، وابن سعد، والبلاذري، والنووي في الروضة والقطب، وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥ وراجع: بهجة المحافل ج ١ ص ٢٧١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٨ عنه والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٤٠ و ٤٩١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢.

(٢) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ عن ابن عقبة وراجع: فتح الباري ج ٧ ص ٣٠١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ و ٤٩٠ و ٤٩٢ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ والمغازي للواقدي ج ١ ص ٤١٩.

(٣) راجع هذا القول في: شذرات الذهب ج ١ ص ١١ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ وفيه: بضع وعشرون. وكذا في إعلام الوری ص ٩١ وكذا في مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ ومرآة الجنان ج ١ ص ١٠ لكن ظاهر عدد منهم: أنهم يتكلمون عن مدة ما قبل قتل عمرو بن عبد ود وكذا في مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٢ و ٢٥٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٠٩.

(٤) التنبية والإشراف ص ٢١٦ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٣٠ لكنه قال: ولم تكن حرب وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٨.

أو قريباً من شهر^(١).
 أو تسعة وعشرين ليلة^(٢).
 وقيل: سبعة وعشرين^(٣).
 ولعل أحدهما: (السبعة، والتسعة) تصحيف للآخر، فلا يخالفه.
 وبعض آخر يقول: أربعة وعشرين يوماً^(٤).
 ونذكر أخيراً قول من قال: بضع عشرة ليلة أو يوماً^(٥).

-
- (١) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ قسم ٢ ص ٣٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ و ٤٩٢ وراجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ وحدائق الأنوار ج ١ ص ٥٢ وج ٢ ص ٥٨٧ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٨ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٥ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٧١ وجوامع السيرة النبوية ص ١٤٩ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٥ وراجع سعد السعود ص ١٣٨.
- (٢) البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٧.
- (٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ و ٤٩٢.
- (٤) سيرة مغلطي ص ٥٦ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ والوفاء ص ٦٩٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ و ٤٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢ وراجع: المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ وحبیب السیر ج ١ ص ٣٦٤.
- (٥) راجع: الوفاء ص ٦٩٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٥ والبدایة والنهایة ج ٤ ص ١٠٤ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٠ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٨. وراجع: ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ والإرشاد للمفيد ص ٥١ وتاريخ مختصر الدول ص ٩٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٠ =

ونقول:

الصحيح هو: أن الحصار قد دام شهراً كاملاً بل أكثر، فقد قال ضرار بن الخطاب يوم الخندق في جملة أبيات له:

فأحجرناهم " شهراً كريئاً " وكنا فوقهم كالقاهرينا
نراوحهم ونغدو كل يوم عليهم في السلاح مدججينا " بل لقد ذكر عبد الله بن الزبيري: أن مدة الحصار قد دامت أكثر من شهر، وبلغت أربعين يوماً، فهو يقول:

حتى إذا وردوا المدينة وارتدوا للموت كل مجرب قضاب
شهراً وعشراً قاهرين محمداً وصحابة في الحرب خير أصحاب " إذن، فلا يمكن قبول قولهم: إن الحصار دام مدة خمسة عشر يوماً، أو عشرين أو بضع عشرة ليلة، أو ما إلى ذلك.

= وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠١ وتاريخ الإسلام للذهبي (الواقدي) ص ٢٣٨. إلا أن يقال: إن ذلك ناظر إلى فترة ما قبل المفاوضة على ثلث ثمار المدينة، أو ما قبل قتل عمرو بن عبدود كما هو صريح عدد من المصادر الأئمة الذكر. وإن كان ظاهر الواقدي وغيره خلاف ذلك.

(١) أحجرناهم: حصرناهم.

(٢) وشهراً كريئاً: تماماً كاملاً.

(٣) راجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٦٦.

(٤) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٩ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٦.

الحراسة:

وقد كانت الحراسة المستمرة واليقظة الدائمة من الأمور الضرورية، وكان المسلمون يقومون بها باستمرار، وكانت حراستهم تتركز على الأمور الرئيسية بالدرجة الأولى، وهي:

١ - مركز القيادة: النبي «صلى الله عليه وآله».

٢ - العسكر.

٣ - الخندق.

٤ - المدينة.

٥ - الرصد لتحركات العدو.

٦ - النساء والذراري وتعاهدهم في الآطام.

٧ - أبواب الخندق.

وقد ذكرت هذه الأمور وغيرها من تفاصيل في النصوص التاريخية، والحديثية، التي نختار منها ما يلي:

ألف: قال النويري وغيره: «كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» يبعث سلمة بن أسلم في مائتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاث مئة يحرسون المدينة ويظهرون التكبير. وذلك أنه كان يخاف على الذراري من بني قريظة وكان عباد بن بشر على حرس قبة رسول الله «صلى الله عليه وآله» مع غيره من الأنصار، يحرسونه كل ليلة»^(١).

(١) نهاية الأربع ج ١٧ ص ١٧١ و ١٧٢، وراجع المصادر التالية: عيون الأثر ج ٢ ص ٥٨ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٠ والسيرة =

وكانت المدينة تحرس حتى الصباح، يسمع فيها التكبير حتى يصبحوا خوفاً^(١).

ب: وفي بعض المصادر: «وجعل المسلمون يتحارسون في عسكرهم»^(٢)
ج: وقال النويري: «ورسول الله صلى الله عليه وآله والمسلمون وجاه العدو، لا يزولون، يعتقبون خندقهم ويحرسونه، والمشركون يتناوبون الخ»^(٣).

ويفصل لنا الواقدي ذلك، فيقول: إن المسلمين كانوا «على خندقهم يتناوبون، معهم بضعة وثلاثون فرساً، والفرسان يطوفون على الخندق ما بين طرفيه، يتعاهدون رجالاً وضعهم في مواضع منه إلى أن جاء عمر (رض) فقال: يا رسول الله، بلغني أن بني قريظة قد نقضت الخ»^(٤).
وتقدم: أنه «صلى الله عليه وآله» كان قد جعل للخندق أبواباً، وجعل على الأبواب حرساً.

وقال الواقدي: «كانوا يطيفون بالليل حتى الصباح يتناوبون. وكذلك يفعل المشركون أيضاً، يطيفون بالخندق حتى يصبحوا»^(٥).

= الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤ و ٥ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٢٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨.

(١) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٧.

(٢) أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٣.

(٣) نهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧١ و ١٧٢ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٨.

(٤) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٧.

(٥) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٤.

«ورسول الله «صلى الله عليه وآله» والمسلمون قبالة عدوهم، لا يستطيعون الزوال عن مكانهم، يعتقبون خندقهم يحرسونه»^(١).

وأسيد بن حضير كان يحرس في جماعة على الخندق أيضاً^(٢).

د: وتقول عائشة: «كان في الخندق موضع لم يحسنوا ضبطه إذ أعجلهم الحال، وكان يخاف عليه عبور الأعداء منه، وكان النبي «صلى الله عليه وآله» يختلف ويحرسه بنفسه. ثم تذكر قصة حراسة سعد بن أبي وقاص لذلك الموضع في تلك الليلة»^(٣).

وكان النبي «صلى الله عليه وآله» بنفسه في الليالي يحرس بعض مواضع الخندق»^(٤).

وسأتي حديث أم سلمة في ذلك في موضع آخر إن شاء الله تعالى.
ه: وكان عباد بن بشر - كما يدعون - ألزم الناس لقبه رسول الله «صلى الله عليه وآله» يحرسها^(٥). وذكروا الزبير بن العوام في جملة من حرس النبي

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨.

(٢) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٠ وستأتي بقية المصادر حين الحديث عن القتال، وتناوب المشركين على الخندق.

(٣) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ و ٤٨٥ و راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٤.

(٤) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ وتقدم حديث عائشة في ذلك.

(٥) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٠ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٤.

٦٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

«صلى الله عليه وآله» يوم الخندق^(١).

بل جاء أن عباد بن بشر، والزبير بن العوام كانا على حرس رسول الله
«صلى الله عليه وآله»^(٢).

وقد ظهر من بعض النصوص المتقدمة: أن المسلمين كانوا يتناوبون
الحراسة^(٣) أو حراسة نبيهم^(٤).

و: كان بنو واقف قد جعلوا ذراريهم ونساءهم في أطعمهم وكانوا
يتعاهدون أهلهم بأنصاف النهار، فينهاهم النبي «صلى الله عليه وآله» فإذا
أحسوا أمرهم «صلى الله عليه وآله» أن يأخذوا السلاح، خوفاً عليهم من بني
قريظة فإنهم على طريقهم^(٥).

وكان كل من يذهب منهم إنما يسلكون على سلع، حتى يدخلوا المدينة، ثم
يذهبون إلى العالية^(٦).

وقال «صلى الله عليه وآله» للنساء حين جعلهن في أطعم بني حارثة: «إن

(١) عيون الأثر ج ٢ ص ٥٨ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٦٣ وقد أطلق كلامه في
أن الزبير كان حارس النبي «صلى الله عليه وآله» في الخندق وكذا في السيرة الحلبيّة
ج ٣ ص ٣٢٧ والمواهب اللدنيّة ج ١ ص ٢١٧ والغدير ج ٧ ص ٢٠٢ عنهما وعن
عيون الأثر ج ٢ ص ٣١٦ وشرح المواهب للزرقاني ج ٣ ص ٢٠٤.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٩.

(٣) إمتاع الأسعاج ج ١ ص ٢٣٠ وتقدمت نصوص أخرى أيضاً.

(٤) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٥.

(٥) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥١ و ٤٧٤ وراجع: إمتاع الأسعاج ج ١ ص ٢٣٤.

(٦) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٤.

لم يكن أحد فالمعن بالسيف»^(١).

ز: حراسة العسكر ورصد العدو: أما بالنسبة لحراسة العسكر ورصد تحركات العدو، فإن القمي يقول: «كان رسول الله «صلى الله عليه وآله» أمر أصحابه أن يحرسوا المدينة بالليل، وكان أمير المؤمنين «عليه السلام» على العسكر كله بالليل يحرسهم، فإن تحرك أحد من قريش نابذهم، وكان أمير المؤمنين «عليه السلام» يجوز الخندق، ويصير إلى قرب قريش، حيث يراهم، فلا يزال الليل كله، قائماً وحده يصلي، فإذا أصبح رجع إلى مركزه. ومسجد أمير المؤمنين «عليه السلام» هناك معروف، يأتيه من يعرفه، فيصلي فيه، وهو من مسجد الفتح إلى العقيق أكثر من غلوة نشابة»^(٢)»^(٣).

وقفات مع ما تقدم:

ونقول:

إن الحذر من العدو، وسد المنافذ في وجهه، وحرمانه من فرصة تسديد ضربة هنا وضربة هناك، بهدف إرباك صفوف الجيش الإسلامي، أو إحداث ثغرات خطيرة فيه، وهو الذي كان بأمس الحاجة إلى التماسك والتقوي ببعضه البعض - إن ذاك - هو أولى مهمات القيادة الحكيمة والواعية، التي تريد أن تصل إلى أهدافها بأقل قدر ممكن من الخسائر، وأعلى درجة من الانضباطية والانسجام.

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ عن الطبراني، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩.

(٢) غلوة نشابة: مقدار رمية سهم.

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٦ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣٠ عنه.

٦٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

ومن الواضح: أن الأساليب الأمنية التي كان النبي «صلى الله عليه وآله» يتتبعها كانت ولا تزال كسائر أفعاله، وأقواله، ومواقفه مصدر إلهام لكل المؤمنين والواعين، الذين رأوا في هذا النبي الكريم أسوة وقودة لهم. في كل الحالات والظروف.

وقد تمثل النشاط الأمني للمسلمين في غزوة الأحزاب - بعد إيجاد الموانع الطبيعية، التي يصعب على العدو اختراقها مثل حفر الخندق، وتشبيك سائر المنافذ بالبنيان - في الأمور التالية:

١ - جعل الحرس على أبواب الخندق، بطريقة يصعب على العدو إيجاد مواضع نفوذ فيها، حين جعل الحرس من فئات شتى، ومتنافسة يرقب بعضهم بعضاً، حيث اختار من كل قبيلة رجلاً لهذه المهمة، كما تقدم بيانه.

٢ - إن من الواضح: أن جعل الحرس في نقاط ثابتة ربما يهيئ للعدو فرصة للتخطيط للنفوذ إلى الداخل، بطريقة يتحاشى معها الصدام بنقاط الحراسة، أو حتى إمكانية التفاتها إلى حقيقة ما يجري فكانت الطريقة الأفضل والأمثل هي أن تنضم إليها دوريات للحراسة غير خاضعة لقيد الزمان ولا المكان. الأمر الذي يضيق على العدو الإحساس بالأمن والنجاح والفلاح في أية محاولة يبادر إليها، ويقدم عليها. فكان «صلى الله عليه وآله» يبعث بالحرس على المدينة خوفاً من بني قريظة، وكانوا يتجولون فيها، ويظهرون فيها التكبير.

٣ - بدوي أن التعرض للنساء يمثل ضربة روحية قاسية للمسلمين والمقاتلين، الذي قد يصل إلى درجة الإحباط لدى البعض، ويدفع البعض الآخر إلى التحرك بصورة غير واعية، ولا مسؤولة، الأمر الذي يؤثر على درجة

الانضباط والتماسك. والنبي «صلى الله عليه وآله» يعرف: أن العدو لن يتأخر عن تسديد ضربة في هذا الاتجاه لو سنحت له الفرصة، ويعتبر ذلك من الأهداف الإستراتيجية والمهمة له. فكان تجميع النساء والأطفال في الآطام من شأنه أن يسهل أمر حمايتهم من أي اعتداء، مع كونه يهيئ للمسلمين جواً من الطمأنينة وتتركز في مواضع الاهتمام والتحرك لو دهم أمر.

كما أنه لا بد من الاحتياط للأمر، وعدم الاكتفاء بالحراسة الثابتة والمتنقلة، فوضع فيما بينه وبين النساء رمزاً يمكن الاستفادة منه لإفشال أية محاولة تستهدفهن وحين يرين أن الحالة الأمنية غير مؤاتية، مع عدم وجود أحد يمكن الاعتماد عليه في المواجهة ودفع غائلة العدو.

قال «صلى الله عليه وآله» لهن: «إن لم يكن أحد فالمعن بالسيف».

ويلاحظ هنا: أنه «صلى الله عليه وآله» قد اعتمد هذا الأسلوب، ولم يطلب منهن الصراخ والاستغاثة ونحوها مما يمثل إثارة عاطفية للمقاتلين والمسلمين، وقد ينشأ عنها حالة من التضعضع والإرباك وانشغال الخواطر إلى درجة الإخلال بالنشاط الحربي المطلوب، في مواجهة أحزاب الشرك في الجهة الأخرى.

٤ - وغني عن القول أخيراً: أن بني واقف كانوا يخطئون في ترددهم إلى أهليهم بأنصاف النهار بلا سلاح، وقد يطمع ذلك العدو فيهم، وقد يفاجئهم العدو وهم على غير استعداد فتقع الكارثة.

أضف إلى ذلك: أنه لا بد من الابتعاد عن النساء والأطفال في أيام الحرب، لأن ذلك يشبط من عزائم المقاتلين ويشدهم إلى الأرض ويمنعهم من السمو في تفكيرهم وفي طموحاتهم وتصبح التضحيات واقتحام الأهوال، والصبر على

٦٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

المكاره أكثر صعوبة عليهم، وأشدّ وقعاً على نفوسهم، ويبيّتهم نفسياً للابتعاد عن مواطن الخطر، أو التعب والضرر، ولو كان ذلك بتوطين أنفسهم على مواجهة عار الهزيمة، وخزي عصيان أمر النبي «صلى الله عليه وآله».

٥ - ونلمح في النص المتقدم إصراراً من بني واقف على زيارة نسائهم وعوائلهم في الأطم الذي كانوا فيه رغم نهي النبي «صلى الله عليه وآله» لهم وربما يكون أمر النبي «صلى الله عليه وآله» لهم بحمل السلاح يرمي إلى الإيحاء غير المباشر لهم بأجواء الحرب، والاحتفاظ بدرجة من الاستعداد الروحي والنفسي لها، بالإضافة إلى أن ذلك هو مقتضى العمل بالحيلة والحذر، وهما الأمران المطلوبان في ظروف كهذه بصورة أكيدة وقاطعة، ولا أقل من أن ذلك يفيد في نطاق التعليم والتأسي لكل من يأتي بعده «صلى الله عليه وآله».

٦ - والأهم من ذلك هو حراسة العسكر، الذي كان يتولاه علي «عليه السلام»، هذا العسكر الذي كان بأمس الحاجة إلى بعض الشعور بالامن والراحة في هذه الأجواء المثقلة بالهموم والشدائد، والمشحونة بالخوف الذي يصل لدى الكثيرين إلى حد الرعب. حتى لقد بلغت القلوب الحناجر، وظنوا بالله الظنون الباطلة والسيئة.

ولقد كانت أدنى حركة في أي موضع في أطراف ذلك العسكر كفيلة بإحداث إرباك خطير في ذلك العسكر كله.

فكانت هذه الحراسة ضرورية لهذا الجيش، الذي يطمئن إلى أنه لن يؤخذ والحال هذه على حين غرة، بل هناك من يبصر له وينذره في الوقت المناسب.

٧ - وكان لا بد من رصد جيش الأعداء أيضاً، لأن حراسة المعسكر،

وإن كانت تعطي قدرة إلى حد ما على التصدي، إلا أن معرفة تحركات العدو، وحجمها، واتجاهها في وقت مبكر يعطي هو الآخر، فرصة أكبر من مواجهته بالأساليب وبالمستوى الملائم، ويمنع من العجلة والتشويش في اتخاذ الإجراءات المؤثرة في دفع غائلة هذا العدو.

وكان علي «عليه السلام»، يقوم بدور الراصد لكل تحركات الأعداء، وكان هو العين الساهرة في المواقع المتقدمة في خط المواجهة، التي لم يكن يجرؤ عليها أحد سواه، كما ظهر من تجربة المسلمين مع عمرو بن عبد ود.

٨ - وبعد، فرغم أن الله قد وفق لبقاء المسجد الذي يشهد لجهاد وتضحيات علي «عليه السلام»، وكان هذا المسجد معروفاً، ويقصده المؤمنون للصلاة فيه، فإننا لا نكاد نجد لعلي «عليه السلام» ذكراً في هذا المجال.

ولا ندري إن كان هذا المسجد قد استطاع أن يصمد طويلاً أمام حقد الحاقدين على كل ما يمت لعلي وأهل بيته «عليهم السلام» بصلة، حتى انتهى ميراث هذا التجلي الوقح والغبي إلى من يطلق عليهم اسم: الوهابيين الذين لا تزال تظهر في كلماتهم وفي أفعالهم بوادر كثيرة تدل على حقد وكرامية وامتهان، ليس فقط لقدسية علي وأهل البيت «عليهم السلام»، بل وحتى لمقام النبوة الأقدس بالذات.

وقد أسلفنا بعضاً مما يشير إلى ذلك: في الجزء الأول من هذا الكتاب، ولا بأس بمراجعة الجزء الثالث من كتابنا: «دراسات وبحوث في التاريخ والإسلام»، وبحث: «إدارة الحرمين الشريفين في القرآن الكريم».

فضائل موهومة لسعد ولعائشة:

رووا عن عائشة ما ملخصه: أنه كان في الخندق موضع لم يحسنوا ضبطه، إذ أعجلهم الحال، وكان «صلى الله عليه وآله» يختلف إليه ويمرسه بنفسه، خوفاً من عبور المشركين منه.

ورجع مرة من الخندق، وكانت تدفئه عائشة في حضنها، فإذا دفع خرج إلى تلك الثلمة.

قالت: فبينما رسول الله في حضني قد دفع، وهو يقول: ليت رجلاً صالحاً يحرس الليلة هذا الموضع (أو قال: يحرسني، أو: يحرس هذه الثلمة الليلة)، إذ سمع قعقة السلاح، فقال: من هذا؟! قال: سعد بن أبي وقاص.

فأمره أن يحرس هذا الموضع: فذهب سعد يحرسه، فنام النبي «صلى الله عليه وآله» حتى نفخ، وكان إذا نام نفخ^(١). ونقول:

إننا نشك في صحة هذه القصة، ونعتقد أن المقصود بها هو تسجيل فضيلة لسعد، ولعائشة على حد سواء، وسبب شكنا هو ما يلي:

أولاً: إذا كان في الخندق موضع لم يحسنوا ضبطه، فلماذا لا يبادرون إلى ضبطه، وما المبرر لأن يترك ليكون مصدر خوف للمسلمين من عبور

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤ و ٤٨٥. وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٤ وإمتاع الأسعاج ج ١ ص ٢٢٩ و ٢٣٠.

المشركين منه؟!

مع أن سلمان حين رأى مكاناً يمكن أن تطفره الخيل، قال لأسيد بن حضير، بعد أن ردوا عمرو بن العاص الذي كان في حوالي مئة رجل يريدون العبور من ذلك الموضع، قال سلمان لأسيد: «إن هذا مكان من الخندق متقارب، ونحن نخاف تطفره خيلهم، وكان الناس عجلوا في حفره، وبادروا فباتوا يوسعونه، حتى صار كهيئة الخندق، وأمنوا أن تطفره خيلهم»^(١).

فلما إذا يبادر سلمان للأمر بإصلاح ذلك الموضع، فيتم ما أراده في ليلة، ولا يبادر النبي «صلى الله عليه وآله» إلى مثل ذلك؟!

ثانياً: لماذا يتمنى «صلى الله عليه وآله»: «أن يأتي رجل صالح ليحرس ذلك الموضع في تلك الليلة»؟ ألم يكن بإمكانه أن يأمر جماعته بحراسة ذلك الموضع؟! والناس كلهم تحت أمره، ورهن إشارته؟!

ثالثاً: حين كان يرجع إلى عائشة لتدفئه في حضنها!! من الذي كان يحرس تلك الثلمة؟! فلو أن العدو استطاع أن يتسلل منها في ذلك الوقت ألم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي فرط في هذا الأمر، وتسبب به؟!

ولا نريد أن نسجل تحفظنا على دعوى: أن عائشة كانت تدفئ النبي «صلى الله عليه وآله» في حضنها!!

ولا على حديث: أنه «صلى الله عليه وآله» نام حتى نفخ، وكان إذا نام نفخ!!

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٥ وإمتاع الأسجاع ج ١ ص ٢٣٠.

نساء النبي ﷺ في غزوة الخندق:

يقول البعض: «كان النبي يعقب بين نسائه، فتكون عائشة أياماً، ثم تكون أم سلمة، ثم تكون زينب بنت جحش. فكان هؤلاء الثلاث اللاتي يعقب بينهن في الخندق. وسائر نسائه في أطم بني حارثة، ويقال: كن في «المسير» (النسر) أطم في بني زريق، وكان حصناً، ويقال: كان بعضهن في فارع، وكل هذا قد سمعنا»^(١).

ونقول:

إننا نشك في صحة ذلك:

أولاً: لقد صرحت أم سلمة بقولها: «كنت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الخندق فلم أفارق مقامه كله، وكان يحرس الخ...»^(٢).

ثانياً: لا يمكننا أن نقبل بأن يصدر من النبي «صلى الله عليه وآله» ترجيح وميل لبعض زوجاته على حساب البعض الآخر، إذ لماذا يعقب بين خصوص هؤلاء: دون سائر زوجاته، ولم نسمع أن إحداهن تنازلت عن حقها لرفيقاتها في غزوة الخندق، وإن كان ذلك محتملاً في حد ذاته.

والذي نظنه: أنه لو صح حديث ذلك البعض، فالسبب في ذلك هو أنه «صلى الله عليه وآله» لم يكن عنده سوى هؤلاء الثلاث، بالإضافة إلى سودة بنت زمعة، التي كانت مسنة، وكانت قد وهبت ليلتها إلى عائشة. فلا بد من

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٥٤ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٨

وإمتاع الأسجاع ج ١ ص ٢٢٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٤.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٤.

مراجعة تاريخ زواجه «صلى الله عليه وآله» بزوجاته.
ونظن أن النتيجة ستكون هي ما ذكرناه، فمن أراد التوسع فعليه أن يقوم بذلك.

المواجهة بين الفريقين:

«وأمر رسول الله صلوات الله عليه وآله المسلمين بالثبات في مكانهم، ولزوم خندقهم.. ونظر المشركون إلى الخندق فتهيؤوا القدوم عليه، فجعلوا يدورون حوله بعساكرهم، وخيلهم، ورجلهم، ويدعون المسلمين: ألا هلم للقتال والمبارزة.

فلا يجيبهم أحد إلى ذلك، ولا يرد عليهم فيه شيئاً. ولزموا مواضعهم كما أمرهم رسول الله «صلوات الله عليه وآله»، قد عسكروا في الخندق، وأظهروا العدة، ولبسوا السلاح، ووقفوا في مواقفهم. وتهبَّ المشركون أن يلجوا الخندق عليهم. فلما طال ذلك، ونفذت أكثر أزوادهم، اجتمعوا الخ...»^(١).
ثم يذكر ما جرى لعمر بن عبد ود.

القتال بين المسلمين والمشركين:

تقول النصوص التاريخية:

«وصار المشركون يتناوبون، فيغدو أبو سفيان في أصحابه يوماً، ويغدو خالد بن الوليد يوماً، ويغدو عمرو بن العاص يوماً، ويغدو هبيرة بن أبي وهب يوماً، ويغدو عكرمة بن أبي جهل يوماً، ويغدو ضرار بن الخطاب

(١) شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٢ ملخصاً.

٧٠..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

يوماً، فلا يزالون يحيلون خيلهم، ويفترقون مرة، ويجمعون أخرى،
ويناوشون أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أي يقربون منهم،
ويقدمون رجالهم فيرمون.

ومكثوا على ذلك المدة المتقدمة، ولم يكن بينهم حرب إلا الرمي بالنبل
والحصا^(١).

وذكر البعض: أن ذلك كان في أكثر الأيام^(٢).

«وكان المشركون يتناوبون الحرب، لكن الله تعالى لم يمكنهم من عبور
الخنديق، فإن شجعان الصحابة كانوا يمنعونهم بالنبال والأحجار^(٣).
واستمر الأمر على ذلك «حتى عظم البلاء، وخاف الناس خوفاً شديداً»^(٤).
لكن البعض يذكر: أن الحرب كانت «ثلاثة أيام بالرمي بغير مجالدة

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥. وراجع: نهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧١ و ١٧٢
وراجع المصادر التالية: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٠ و ٢٣١ والسيرة النبوية
لدحلان ج ٢ ص ٨ و ٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٠ والمغازي للواقدي
ج ٢ ص ٤٦٨ و عيون الأثر ج ٢ ص ٥٨.

والفقرة الأخيرة موجودة أيضاً في المصادر التالية: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٦
وحقائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٠ والإرشاد للشيخ المفيد ص ٥١ ومناقب آل أبي
طالب ج ١ ص ١٩٨ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٢ والكامل في التاريخ ج ٢
ص ١٨٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٠ و ٢٠١ وفتح الباري ج ٧
ص ٣٠١ و ٣٠٧ عن ابن إسحاق.

(٢) حبيب السير ج ١ ص ٣٦٣.

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤.

(٤) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٨.

ولا مبارزة^(١) سوى ما كان من قتل الفرسان الذين عبروا الخندق. وكان أبو سفيان في خيل يطيفون بمضيق من الخندق، فراماهم المسلمون حتى رجعوا^(٢).

وفي مرة أخرى: كان عمرو بن العاص في نحو المائة يريدون العبور من الخندق من مكان تطفره الخيل، فراماهم أسيد بن حضير، ومن معه من الحرس بالنبل والحجارة حتى ولوا.

وكان مع المسلمين في تلك الليلة سلمان، فقال لأسيد: إن هذا مكان من الخندق متقارب، ونحن نخاف تطفره خيلهم. وكان الناس عجلوا في حفره، وبادروا فباتوا يوسعونه، حتى صار كهيئة الخندق، وأمنوا أن تطفره خيلهم^(٣).

«وكان عمرو بن العاص، وخالد بن الوليد كثيراً ما يطلبان غرة ومضيقاً من الخندق يقتحمانه، فكان للمسلمين معهما وقائع في تلك الليالي^(٤)».

وقال ضرار بن الخطاب:

نراوحهم ونغدو كل يوم عليهم في السلاح مدججينا^(٥)

(١) راجع: مرآة الجنان ج ١ ص ١٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢ وبهجة المحافل ج ١

ص ٢٦٦ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ وراجع: تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٠.

(٢) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٠.

(٣) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٥ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٠.

(٤) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٠ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٥ السيرة

النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨.

(٥) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٢٦.

٧٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

«ثم إن خالد بن الوليد كَرَّ بطائفة من المشركين يطلب غرَّةً للمسلمين، أي غفلتهم، فصادف أسيد بن حضير على الخندق في ماءتين من المسلمين، فناوشوهم، أي تقاربوا منهم ساعة، وكان في أولئك المشركين وحشي، قاتل حمزة رضي الله عنه، فزرق^(١) الطفيل بن النعمان، فقتله.

ثم بعد ذلك صاروا يرسلون الطلائع بالليل، يطمعون في الغارة، أي في الإغارة، فأقام المسلمون في شدة من الخوف^(٢)».

لكن صاحب تجارب الأمم يقول: تفرق ذلك الجمع من غير قتال إلا ما كان من عدة يسيرة اتفقوا على الهجوم على الخندق، يحكى: أن فيهم عمرو بن عبد ود فقتلوا^(٣).

إلا أن يكون المراد: أنه لم يكن قتال بالسيوف والرماح، أما الرمي بالنبل والحصا فليس محط نظره.

ملاحظة:

وقبل أن نمضي في الحديث: نلفت نظر القارئ إلى هذا الاهتمام الظاهر بإبراز دور أسيد بن حضير، الذي قلنا: إن السياسة كانت تهتم بشأنه، وتعمل على تكريس وتكديس الفضائل له، مكافأة له على هجومه على بيت فاطمة «عليها السلام»، وقيامه بدور فاعل في تشييد خلافة قريبه أبي بكر.

(١) زرق فلاناً: رماي بالمزراق، أي الرمح القصير.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٣.

(٣) تجارب الأمم ج ٢ ص ١٥٣.

كلام العلامة الحسنی رحمہ اللہ:

وذكر العلامة الحسنی: أن المشركين ألفوا ثلاث كتائب لمحاربة المسلمين، فأئت كتيبة أبي الأعور السلمي من فوق الوادي، وكتيبة عينة بن حصن من الجنب، ووقف أبو سفيان ومن معه في الناحية الثانية من الخندق^(١).
لكننا قدمنا في فصل: الأحزاب إلى المدينة: أن أبا الأعور لم يكن له أي دور في الخندق، وأن أباه هو الذي شارك فيها.

روايات مشبوهة:

عن محمد بن مسلمة قال: كنا حول قبة رسول الله «صلى الله عليه وآله» نحرسه، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» نائم نسمع غطيظه إذ وافت أفراس على سلع، فبصر بهم عباد بن بشر، فأخبرنا بهم.
قال: فامض إلى الخيل.

وقام عباد على باب قبة النبي «صلى الله عليه وآله» آخذاً بقائم السيف ينظرني، فرجعت فقلت: خيل المسلمين أشرفت عليها سلمة بن أسلم بن حريش، فرجعت إلى موضعنا.

ثم يقول محمد بن مسلمة: كان ليلنا بالخندق نهراً حتى فرجه الله^(٢).
وعن محمد بن مسلمة: أن خالد بن الوليد تلك الليلة أقبل في مئة فارس، من جهة العقيق حتى وقفوا بالمزداد وجاء قبة النبي «صلى الله عليه

(١) سيرة المصطفى ص ٤٩٩.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٨.

وآله» فنذرت بالقوم، فقلت لعباد بن بشر - وكان على حرس قبة النبي «صلى الله عليه وآله» وكان قائماً يصلي - أتيت، فركع، ثم سجد، وأقبل خالد في ثلاثة نفر هو رابعهم، فأسمعهم يقولون: هذه قبة محمد، إرموا. فرموا، فناهضناهم حتى وقفنا على شفير الخندق، وهم بشفير الخندق من الجانب الآخر.

فترامينا، وثاب إلينا أصحابنا، وثاب إليهم أصحابهم، وكثرت الجراحة بيننا وبينهم.

ثم اتبعوا الخندق على حافته وتبعناهم، والمسلمون على محارسمهم، فكلما نمر بمحرس نهض معنا طائفة، وثبت طائفة، حتى انتهينا إلى راتج، فوقفوا وقفة طويلة، وهم ينتطرون قريظة، يريدون أن يغيروا على بيضة المدينة، فما شعرنا إلا بخيل سلمة بن أسلم يحرس، قد أتت من خلف راتج.

فلاقوا خالدًا، فاقتتلوا واختلطوا، فما كان إلا حلب شاة حتى نظرت إلى خيل خالد مولية. وتبعه سلمة بن أسلم حتى رده من حيث جاء.

فأصبح خالد، وقريش، وغطفان، تزري عليه وتقول: ما صنعت شيئاً فيمن في الخندق، ولا فيمن أصحر لك.

فقال خالد: أنا أقعد الليلة، وابعثوا خيلاً حتى أنظر أي شيء تصنع^(١). ونقول:

إن هذه الرواية موضع ريب وشك، لأن إصهار سلمة بن أسلم ومن معه لخالد ومن معه واختلاطهم بهم يصعب تصديقه، لأن عبور سلمة وأصحابه

إلى الجانب الآخر من الخندق أو مجيئهم من خلف راتج، من طرف الخندق، إلى جهة المشركين ينطوي على مخاطرة كبرى لما فيه من تعريض أنفسهم للإبادة الحتمية على يد ألوف المقاتلين من المشركين الذين كانت تعج بهم المنطقة.

ويلفت نظرنا هنا: أن الرواية لم تشر إلى مبادرة خالد لمطاوله هذه الجماعة القليلة، ثم طلب المدد من الجيش الذي هو أحد قواده. وقد كان عليه أن ينتهزها فرصة ذهبية نادرة ليلحق بالمسلمين نكبة هائلة ومروعة.

ثم إن تلك الرواية قد تحدثت: عن أن خالداً كان في مئة فارس، ولكنه حين أراد أن يرمي قبة النبي «صلى الله عليه وآله» كان في ثلاثة نفر هو رابعهم.

وحين ترامى خالد وأصحابه، ومحمد بن مسلمة وأصحابه أين كان عنه أصحابه، حتى يقول الراوي - وهو محمد بن مسلمة - وثاب إلينا أصحابنا، وثاب إليهم أصحابهم؟!

وما معنى قوله: ثم اتبعوا الخندق على حافتيه وتبعناهم. فهل كان خالد وأصحابه على حافتي الخندق؟! الأمر الذي يعني أن خالداً ومن معه قد عبروا الخندق إلى جهة المسلمين، أو العكس.

ثم إننا لا ندري مدى صحة هذه الرواية التي لم يروها لنا إلا محمد بن مسلمة، الرجل الذي كانت تهتم السلطة في إعطائه الأدوار الحساسة، لأنه كان من أعوانها.

ولكن الغريب في الأمر: أننا نجد المؤرخين لم يعيروا هذه الرواية أي اهتمام رغم أهمية وحساسية المعلومات التي تدعيها فيما يرتبط بحرب الخندق.

دعوى قتل طليعة للنبي ﷺ:

وعن مالك بن وهب الخزاعي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعث سليطاً وسفيان بن عوف الأسلمي طليعة يوم الأحزاب، فخرجا حتى إذا كانا بالبيداء التفت عليهما خيل لأبي سفيان، فقاتلا حتى قتلا، فأتي بهما رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فدفنا في قبر واحد. فهما الشهيذان القرينان^(١).

ونحن نشك في صحة ذلك، لما يلي:

أولاً: بالنسبة لسنده، قال البزار: «لا نعلم روى مالك إلا هذه»^(٢).

وقال: الهيثمي: «فيه جماعة لم أعرفهم»، وقريب من ذلك عند العسقلاني^(٣).

وثانياً: إن من الواضح: أن سفيان بن عوف الأسلمي وهو الغامدي، هو الذي كان يغير على أطراف علي «عليه السلام»، ويرتكب الجرائم، ويهتك الحرمات، وقد ذكره أمير المؤمنين «عليه السلام» بقوله: «وإن أخا غامد الخ..» وكان من قواد معاوية الأساسيين، وكان يعظمه. وقد مات سنة اثنتين أو ثلاث، أو أربع وخمسين^(٤).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥١٤ وكشف الاستار عن مسند البزار ج ٢ ص ٣٣٢ و ٣٣٣ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٣٥ وأسد الغابة ج ٤ ص ٢٩٧ عن أبي نعيم وأبي موسى والإصابة ج ٣ ص ٣٥٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ وراجع: الرسول العربي وفن الحرب ص ٢٤٥.

(٢) كشف الأستار عن مسند البزار ج ٢ ص ٣٣٣.

(٣) مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٣٥ والإصابة ج ٣ ص ٣٥٨.

(٤) راجع: الإصابة ج ٢ ص ٥٦ وتهذيب تاريخ دمشق ج ٦ ص ١٨٣ - ١٨٥ وغير ذلك من كتب التراجم.

ولنا أن نحتمل: أن تكون دعوى صحابية سفيان هذا قد جاءت لأجل إعطائه بعض المصونية والشأن الرفيع، حفاظاً على سيده معاوية من جهة، وإضعافاً لموقف علي «عليه السلام» من جهة ثانية، وتبريراً لمواقفه المخزية، وجرائمه الخطيرة التي ارتكبها بحق المسلمين الذين أغار عليهم وقتلهم، وهتك حرمتهم من جهة ثالثة.

حديث أم سلمة:

عن أم سلمة قالت: كنت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» في الخندق، فلم أفارقه مقامه كله، وكان يحرس بنفسه في الخندق، وكنا في قرٍّ شديد. فإني لأنظر إليه قام فصلى ما شاء الله أن يصلي في قبته، ثم خرج فتظر ساعة، ثم قال: هذه خيل المشركين تطيف بالخندق، من لهم؟

ثم نادى: يا عباد بن بشر!

قال: لبيك.

قال: أمعك أحد؟

قال: نعم، أنا في نفر من أصحابي حول قبتك.

قال: فانطلق في أصحابك، فأطف بالخندق، فهذه خيل المشركين تطيف بكم، يطمعون أن يصيبوا منكم غرة، اللهم ادفع عنا شرهم، وانصرنا عليهم، واغلبهم، لا يغلبهم غيرك.

فخرج عبّاد في أصحابه، فإذا هو بأبي سفيان في خيل المشركين يطيفون بمضيق الخندق، فرماهم المسلمون بالحجارة والنبل، فرجعوا منهزمين.

ثم جاء عبّاد إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فوجده يصلي، فأخبره،

قالت أم سلمة: فنام حتى سمعت غطيته^(١).

ويستوقفنا في هذا الحديث:

١ - قول أم سلمة أنها كانت مع رسول الله في غزوة الخندق. وأنها لم تفارقه فيها أصلاً. وهذا يكذب ما يقوله البعض: من أنه «صلى الله عليه وآله» كان يعقب بينها وبين عائشة وزينب بنت جحش.

٢ - عبارة أم سلمة: فنام حتى سمعت غطيته. لا ندرى مدى صحة حصول الغطي من «صلى الله عليه وآله»، ونحن نتوقع منه خلاف ذلك. فإن الغطي من المنفرات التي يتنزه عنها النبي «صلى الله عليه وآله».

٣ - قولها: وكنا في قرٍّ شديد. قد تقدم في الفصل الأول ما يوجب الشك في هذا الأمر.

٤ - لا ندرى كيف لم يلتفت عبّاد بن بشر ومن معه إلى خيل المشركين وهي تطيف بالخندق، وكيف رآها النبي «صلى الله عليه وآله» دونهم؟ فهل علم «صلى الله عليه وآله» ذلك عن طريق الوحي؟! إن ظاهر الرواية: هو أنه «صلى الله عليه وآله» علم ذلك بواسطة عينه الباصرة.

٥ - أين كان سائر المسلمين عن حراسة خندقهم، ألم يكونوا يتناوبون عليه يحرسونه، ويطوفون به؟ لكن ذلك لا يعني أن تكون الرواية كاذبة من أساسها، فلعل النبي «صلى الله عليه وآله» قد نبه المسلمين لمحاولة تسلل من المشركين لم يكونوا قد التفتوا إليها، لأنشغالهم بحديث فيما بينهم.

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٤. ولا بأس بمراجعة: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٩ و ٥٣٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٤ وإمتاع الأسعاج ج ١ ص ٢٢٩ و ٢٣٠.

حديث آخر ينسب لأم سلمة:

عن أم سلمة قالت: والله، إني لفي جوف الليل في قبة النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو نائم إلى أن سمعت الهيعة^(١)، وقائل يقول: يا خيل الله (وكان رسول الله قد جعل شعار المهاجرين: يا خيل الله) ففزع «صلى الله عليه وآله» بصوته، وخرج من القبة، فإذا نفر من الصحابة عند قبه يجرسونها منهم عباد بن بشر، فقال «صلى الله عليه وآله»: ما بال الناس؟ قال عباد: يا رسول الله هذا صوت عمر بن الخطاب، الليلة نوبته، ينادي: يا خيل الله، والناس يثوبون إليه، وهو من ناحية حسيكة، ما بين ذباب ومسجد الفتح.

فأمر «صلى الله عليه وآله» عباداً أن يأتيه بالخبر، فذهب ثم رجع إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فقال: يا رسول الله، هذا عمرو بن عبد في خيل المشركين، معه مسعود بن رخيعة في خيل غطفان، والمسلمون يرامونهم بالنبل والحجارة.

قالت: فدخل «صلى الله عليه وآله» فلبس درعه ومغفره وركب فرسه، وخرج معه أصحابه، حتى أتى تلك الثغرة، فلم يلبث أن رجع وهو مسرور، فقال: صرفهم الله، وقد كثرت فيهم الجراحة.

ثم دخل «صلى الله عليه وآله» فنام، فسمعوا هائعة أخرى، فانتبه «صلى الله عليه وآله» فأخبروه أنه ضرار بن الخطاب، فلبس «صلى الله عليه وآله» درعه ومغفره وركب فرسه إلى تلك الثغرة، وعاد في وقت السحر، وهو

يقول: رجعوا مفلولين قد كثرت فيهم الجراحة^(١).

ونقول:

قد يمكن للبعض أن يشكك في صحة هذه الرواية، على اعتبار: أن الروايات الأخرى قد تحدثت عن هزيمة عمر بن الخطاب أمام ضرار، وأنه كاد أن يقتله، ثم كف عنه، لأنه كان لا يقتل قرشياً قدر عليه، كما سيأتي. كما أن الطبري وغيره يذكرون: أنه قد اختبأ هو وطلحة وغيرهما في بستان إبان حرب الخندق، كما سيأتي عن قريب.

ولكن هذا التشكيك يمكن دفعه: بأن عمر لم يواجه حرباً بنفسه هنا، بل واجهها بغيره، أي بواسطة المسلمين الذين تصدوا للمشركين، وليس بالضرورة أن يصل به الرعب والخوف إلى حد الهزيمة من ساحة الحرب، حتى حين يكون المتحاربون هم الآخرون.

غير أن ما يلفت نظرنا هنا: هو ما نراه بوضوح من محاولات جادة لإيجاد دور ما لأشخاص بأعيانهم، كان لهم دور سلطوي بعد وفاة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، أو دور في تركيز دعائم السلطة بعده «صلى الله عليه وآله» أو مناوأة آل أبي طالب بشكل أو بآخر، فنجد الاهتمام بإبراز دور ما لأبي بكر، ولعمر، وللزبير، ولمحمد بن مسلمة، ولسلمة بن أسلم، وعباد بن بشر، وسعد بن أبي وقاص، وأسيد بن حضير.

والمطلع على تاريخ هؤلاء يجد: أنهم كانوا على العموم من المناوئين

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٦ و ٤٦٧ وإمتاع الأسعاج ج ١ ص ٢٣٠ و

٢٣١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٥.

لعلي وأهل البيت عليهم الصلاة والسلام، ومنهم من هو من أركان الحكم وأعوانه، أو من المشاركين في الاعتداء على الزهراء «عليها السلام» حين قيامهم بعدة هجمات على بيئتها صلوات الله وسلامه عليها.

إصابة سعد بن معاذ بسهم:

ويذكر المؤرخون: أنه كان للمشاركين رماة يقدمونهم إذا غدوا متفرقين، أو مجتمعين بين أيديهم وهم حبان بن العرقعة، وأبو أسامة الجشمي في آخرين. فتناوشوا يوماً بالنبل ساعة، وهم جميعاً في وجه واحد، وجاء قبة رسول الله، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» قائم بسلاحه على فرسه، فرمى حبان بن العرقعة سعد بن معاذ بسهم، فأصاب أكحله.

وقال: خذها وأنا ابن العرقعة.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: عرق الله^(١) وجهك بالنار، (أو قال له سعد نفسه ذلك).

ويقال: بل رماه أبو أسامة الجشمي، وقيل: خفاجة بن عاصم^(٢).

(١) عرق وجهه: أي أغلاه بالماء الحار.

(٢) راجع النص المتقدم في: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣١ و ٢٣٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٨ و ٤٦٩ وراجع قسماً مما تقدم في المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٨ والكمال في التاريخ ج ٢ ص ١٨٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٠ وراجع ص ٢٤١ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٨ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ وجوامع السيرة النبوية ص ١٥١ وإعلام الورى (ط دار المعرفة) ص ١٠١ ومجمع البيان ج ٨ =

٨٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

وقال سعد: اللهم إن أبقيت من حرب قريش شيئاً فأبقني لها، فإنه لا قوم أحب إليّ أن أجاهدهم من قوم آذوا رسولك، وأخرجوه وكذبوه. اللهم إن كنت وضعت الحرب بيننا وبينهم، فاجعلها لي شهادة، ولا تمتني حتى تقر عيني من بني قريظة، وكانوا حلفاءه ومواليه في الجاهلية^(١).
أضاف البعض هنا قوله: فلما قال سعد ما قال إنقطع الدم^(٢).

-
- = ص ٣٤٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٦ و ٢٠٧
وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ وأنساب الأشراف
ج ١ ص ٣٤٧ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٧٠ و ١٧١ ودلائل النبوة ص ٤٣٦ والعبر
وديان المتبدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٣ والسيرة النبوية لابن
هشام ج ٣ ص ٢٣٨ ودلائل النبوة لليهقي ج ٣ ص ٤٠٤ و ٤٤١ و ٤٤٢.
- (١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٧ راجع: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٢ وتاريخ
الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٨ و ٢٣٩
والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٣٢ و ٢٠٧
ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ ودلائل النبوة ص ٤٣٦
والعبر وديوان المتبدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٣ وتاريخ
الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٠ والبدة والتاريخ ج ٤ ص ٢١٨ وبهجة المحافل
وشرحه ج ١ ص ٢٦٧ و ٢٦٨ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ وجوامع السيرة النبوية
ص ١٥١ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٧٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٧
و ٢٠٨ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٨١ و ٢٨٢ راجع مسند أحمد ج ٦ ص ١٤١
والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٣.
- (٢) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٢ والبداء والنهاية ج ٤ ص ١٠٨ ودلائل النبوة
لليهقي ج ٣ ص ٢٨ و ج ٣ ص ٤٤١.

حديث عائشة حول سعد:

وتقول عائشة - كما روي - : إن ابن معاذ مر عليها، وهي في الحصن، حصن بني حارثة، وكان من أحرز حصون المدينة - وذلك قبل أن يفرض علينا الحجاب^(١) - وعليه درع مقلصة قد خرجت منها أذرعها كلها، وفي يده حربة يرقد (يرقل) بها، وهو يقول:

لبثت قليلاً يشهد الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل
فقلت له أمه: الحق بني فقد - والله - أخرت.

فقلت لها عائشة: والله لوددت أن درع سعد كانت أسبغ مما هي عليه،
قالت: وخفت عليه حيث أصاب السهم منه.
فقلت أم سعد: يقضي الله ما هو قاض.
فقضى الله أن أصيب يومئذ^(٢).

(١) هذا العبارة ذكرها الواقدي، والديار بكري، وابن سيد الناس، وابن هشام، وابن كثير، والكلاعي، وابن إسحاق والبيهقي فراجع الهامش التالي.

(٢) راجع فيما تقدم - وإن اختلفت في بعض الألفاظ - المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٧.

وراجع: تاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٦٥ و ٢٦٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٨ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٠ والروض الأنف ج ٢ ص ١٩٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٠ و ٤٤١ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٩ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٨١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٢ و ٦٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٧.

ونقول:

إننا نرجح أن يكون أبو أسامة الجشمي هو الذي قتل ابن معاذ، وذلك:
 أولاً: لأن بعض المصادر تذكر لأبي أسامة الجشمي أبياتاً فيها أنه هو
 الذي رمى سعداً فأصابه، فقد قال مخاطباً عكرمة، ومشيراً إلى قتله سعداً:
 أعكرم هلا لمتني إذ تقول لي فذاك بأطام المدينة خالد
 ألسـت الذي ألزمت سعداً مريشة لها بين أثناء المرافق عائد
 قضى نـحبه منها سعيداً فاعولت عليه مع الشـمـط العذاري النواهد
 الأبيات^(١).

ثانياً: ذكرت الروايات: أن سعد بن أبي وقاص قد رمى يوم أحد حبان
 بن العرقـة بسهم فوقـع في ثغرة نـحره (أو في نـحره) فوقـع على ظهره وبدت
 عورته، فضحك «صلى الله عليه وآله» حتى بدت نواجذه.

فهل عاش حبان من جديد؟ أو لم يمت من سهم أصابه في نحره!! -
 وعاش - حتى رمى سعد بن معاذ في أكحله في الخندق؟^(٢).

إلا أن تكون قصة أحد: قد صنعها محبو سعد بن أبي وقاص لإثبات
 فضيلة له، وذلك عن هؤلاء غير بعيد، فقد رأيناهم يفعلون ذلك في كثير
 من المواضع، ثم سرعان ما ينسيهم الله ذلك، فتظهر الحقيقة على ألسنتهم
 من جديد، ويكذبون أنفسهم من حيث لا يشعرون.

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٨.

(٢) إمتاع الأسماع ج ١ ص ١٣٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٧ و ٢٢٩ وسبل الهدى
 والرشاد (ط دار الكتب العلمية) ج ٤ ص ٢٠١.

الاختلاف في من قتل سعد بن معاذ:

وأما الاختلاف في قاتل سعد بن معاذ، فهو يعود - فيما يظهر لنا - إلى أن الذين كانوا يرمون باتجاه سعد والمسلمين كانوا أكثر من واحد، فاختلطت السهام، واستطاع كل منهم أن يدَّعي لنفسه أنه تمكن من قتل سيد قبيلة الأوس في المدينة وهو - باعتقادهم - شرف عظيم أراد كل منهم أن يخص نفسه به، مع أنه في الحقيقة غاية الخزي والعار، لو كانوا يعلمون.

سعد في خيمة رفيدة:

وأمر «صلى الله عليه وآله» بنقل سعد حينما جرح إلى خيمة رفيدة التي كانت أقامتها في مسجد النبي «صلى الله عليه وآله» لمدّاة الجرحى.
زاد القمي قوله: وكان يتعاهده بنفسه^(١).

(١) عيون الأثر ج ٢ ص ٧٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٥٠ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٠٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٧ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٧٢ عن البغوي والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٦ وجوامع السيرة النبوية ص ١٥٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٢١ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٩١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٣٣ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٦٧ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٨٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٣٨ وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٧ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٣٢ والاستيعاب بهامش الإصابة ج ٤ ص ٣١١ والمفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام ج ٨ ص ٣٨٧ والتراتب الإدارية ج ٢ ص ١١٣ وج ١ ص ٤٦٢ و ٤٥٣ و ٤٥٤ والإصابة ج ٤ ص ٣٠٢ و ٣٠٣ عن ابن إسحاق، وعن البخاري في الأدب المفرد. وفي التاريخ بسند صحيح، والمستغفري، وأبي موسى.

٨٦..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

ونستفيد من ذلك: إمكانية أن تتولى المرأة مداواة الجرحى. وقد تحدثنا عن ذلك بشيء من التفصيل في كتابنا: الآداب الطبية في الإسلام، فنحن نرجع القارئ الذي يريد التوسع إليه.

إصابة أبي بن كعب في أكحله:

وتذكر بعض الروايات عن جابر: أن أبي بن كعب، رمي يوم الأحزاب على أكحله، فكواه رسول الله «صلى الله عليه وآله».

وعنه أبي عن جابر: بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى أبي بن كعب طبيباً فقطع منه عرقاً، ثم كواه عليه^(١).

ونحن نساءل عن السبب الذي لم يقدم لأجله النبي «صلى الله عليه وآله» على معالجة سعد بن معاذ بهذه الطريقة حتى يشفى، أم أنه عاجله، لكن لم يفده العلاج لأن جراحته تختلف عن جراحة أبي؟!

هل فر عمر وطلحة في غزوة الخندق؟

والذي يثير فينا العجب هنا: أننا نجد عائشة تروي لنا ما يدل على فرار جماعة من الصحابة في حرب الخندق، واختبائهم في حديقة هناك.

قال الطبري: «حدثنا سفيان بن وكيع قال: حدثنا محمد بن بشر، قال حدثنا محمد بن عمرو، قال: حدثني أبي عن علقمة، عن عائشة قالت:

خرجت يوم الخندق أقفو آثار الناس، فوالله إني لأمشي إذ سمعت وئيد الأرض خلفي - يعني حس الأرض - فالتفت فإذا أنا بسعد، فجلست إلى

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩ عن مسلم. كذا في المشكاة.

الأرض، ومعه ابن أخيه الحارث بن أوس - شهد بدرًا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله»، حدثنا بذلك محمد بن عمرو - يحمل مجنه، وعلى سعد درع من حديد، قد خرجت أطرافه منها، قالت: وكان من أعظم الناس وأطولهم.

قالت: فأنا أتخوف على أطراف سعد، فمر بي، يرتجز ويقول:

لبث قليلاً يدرك الهيجا حمل ما أحسن الموت إذا حان الأجل

قالت: فلما جاوزني قمت، فافتحمت حديقة فيها نفر من المسلمين، فيهم عمر بن الخطاب، وفيهم رجل عليه تَسْبِغَةٌ له - قال محمد: والتسبغة: المغفر لا ترى إلا عيناه - فقال عمر: إنك لجريئة، ما جاء بك؟ ما يدريك؟ لعله يكون تحوُّز، (تحرف) أو بلاء.

فوالله ما زال يلومني حتى وددت أن الأرض تنشق لي فأدخل فيها، فكشف الرجل التَسْبِغَةَ عن وجهه: فإذا هو طلحة.

فقال: إنك قد أكثرت، أين الفرار، وأين التحوُّز (التحرف) إلا إلى الله عز وجل^(١).

نقول:

إن طلحة يتضايق من جهر عمر بالفرار أمام عائشة، ثم لما رأى أنه يكرر ذلك لها، يستنكر أن يكون هذا فراراً، ويعتبره فراراً إلى الله عز وجل. ونلفت النظر هنا: إلى تجاهل جل المؤرخين لهذه الرواية، رغم أنهم

(١) تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤١ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٤٣٥ و ٤٣٦ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٦٦ وسير أعلام النبلاء ج ١ ص ٢٨٤ والطبقات الكبرى ج ٣ قسم ٢ ص ٣ وكنز العمال ج ١ ص ٢٨٠ عن ابن عساکر.

يرون في الطبري المثل الأعلى لهم، وهم ينقلون عنه ويعتمدون عليه، ولعله هو بالإضافة إلى سيرة ابن هشام، يأتي على رأس القائمة في أي مراجعة للسيرة، أو تسجيل أي حدث، أو موقف منها.

كما أننا لا نستبعد: أن تكون هذه هي القضية الصحيحة، لا قضية عائشة مع أم سعد.

ثم إننا لا ننسى أن نسجل هنا تساؤلاً يبقى حائراً، وهو أنه كيف سوّغت عائشة لنفسها أن تخرج من الحصن الذي وضعها النبي «صلى الله عليه وآله» فيه، مع خطورة الموقف وحساسيته المتناهية، ومع عدم إذن النبي «صلى الله عليه وآله» لها بذلك، إذ لو كانت مأذونة منه «صلى الله عليه وآله» لاحتجت به على عمر، ولم تصبر على هذا التقرير المر الذي واجهها به، حتى إنها لتود أن تنشق لها الأرض، فتدخل فيها.

ولعل مما يؤيد فرار الكثيرين يوم الخندق: ما سيأتي في حديث حذيفة حينما أرسله النبي «صلى الله عليه وآله» لكشف خبر قريش، حيث ذكر أنه لم يبق مع النبي سوى اثني عشر رجلاً فقط^(١).

والرواية الأخرى تقول: إن الناس تفرقوا ولم يبق من العسكر غير ثلاثة مئة^(٢).

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣١ وتلخيصه للذهبي بهامشه وصحاحه ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٥٠ و ٤٥١ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٩ و ٢٥٠.

(٢) سيأتي ذلك في الفصل الأخير من هذا الباب.

من بطولات سعد بن أبي وقاص:

ويقولون: «كان يوم الخندق رجل من الكفار معه ترس، وكان سعد رامياً. وكان الرجل يقول كذا بالترس، يغطي جبهته، فتزع له سعد بسهم، فلما رفع رأسه رماه سعد لم يخطئ هذه منه، يعني جبهته، فانقلب وأشال برجله، فضحك النبي «صلى الله عليه وآله» حتى بدت نواجذه، يعني من فعله بالرجل»^(١).

ونقول:

إننا نشك في صحة ذلك:

ألف: إن الذين قتلوا من المشركين معروفون، وستأتي أسماؤهم، وأسماء الذين قتلوهم، وهم:

- ١ - عمرو بن عبد ود، وقد قتله علي أمير المؤمنين «عليه السلام».
- ٢ - حسل بن عمرو بن عبد ود، قتله علي «عليه السلام» أيضاً.
- ٣ - نوفل بن عبد الله، قتله علي «عليه السلام»، وقيل: بل قتله الزبير، وسيأتي أنه غير صحيح.

٤ - منبه بن عثمان، أو عثمان بن أمية بن منبه، أصابه سهم غرب فمات منه بمكة، وسيأتي ذلك مع مصادره في الفصل الأخير من هذا الباب.

فأين ذلك الرجل الذي قتله سعد بسهم؟!.

إلا أن يقال: إنه أصابه في جبهته، وانقلب وأشال برجله، لكنه لم يمت. ب: إن هذه الرواية هي - تقريباً - نفس الحكاية التي تحكى لسعد مع

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ عن الترمذي في الشئائل.

حبان بن العرقه في غزوة أحد.

إلا أنها ذكرت: أن هذا كان يتلاعب بترسه، فرماه سعد في جبهته، وقد أشرنا غير مرة إلى أننا نجد اهتماماً خاصاً بتسطير الفضائل لسعد لتعويضه عن فراره في المواطن، ولرد الجميل له على مواقفه المؤيدة للسلطة التي اغتصبت مقام الخلافة بعد الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله».

وقد أشرنا إلى ذلك: في غزوة أحد حين الكلام عن بطولات سعد الموهومة، فراجع.

بطولات وهمية للزبير:

روى البيهقي من طريق حماد بن زيد، عن هشام بن عروة، عن أبيه، عن عبد الله بن الزبير، قال: جعلت يوم الخندق مع النساء والصبيان في الأطم (يعني حصناً) ومعني عمر بن أبي سلمة، فجعل يطأطئ لي، فأصعد على ظهره، فأنظر إليهم كيف يقتلوا، وأطأطئ له فيصعد فوق ظهري، فينظر.

قال: فنظرت إلى أبي، وهو يحمل مرة ها هنا، ومرة ها هنا، فما يرتفع له شيء إلا أتاها.

فلما أمسى جاءنا إلى الأطم، قلت: يا أبة، رأيتك اليوم وما تصنع.

قال: ورأيتني يا بني؟!

قلت: نعم.

قال: أما إن رسول الله قد جمع لي أبويه.

قال: فداً لك أبي وأمي^(١).

ونقول:

قد قدمنا في فصل: غدر بني قريظة: أن عبد الله بن الزبير كان آثماً طفلاً صغيراً جداً، ولم يكن بحيث يمكن أن يصدر منه ذلك فقد كان عمره أقل من سنتين على ما يظهر، فراجع ما قدمناه.

هذا بالإضافة إلى أننا: لم نفهم معنى لما يدّعيه ابن الزبير من حملات لأبيه هنا، وحملات هناك، ونحن نعلم أن ذلك لم يحدث في الخندق، بل الذي كان هو المراماة بالنبل والحصا في بعض الأحيان. أما قضية المباشرة فإنها كانت بين علي «عليه السلام» وعمرو بن عبد ود، كما سيأتي.

هذا بالإضافة إلى: أن هذا الحديث زبيري سنداً ومتناً، ولم نجد من روى لنا هذه المواقف البطولية للزبير في حرب الأحزاب.

قدامة بن مظعون في حرب الخندق:

عن نافع، عن ابن عمر، قال: «بعثني خالي عثمان بن مظعون لأتية بلحاف، فأتيت النبي «صلى الله عليه وآله»، فاستأذنته - وهو بالخندق - فأذن لي، وقال لي: من لقيت منهم، فقل لهم: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأمركم أن ترجعوا.

قال: فلقيت الناس، فقلت لهم..

(١) راجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٩ و ٤٤٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٦ و ٢٠٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٦.

إلى أن قال ابن عمر: والله ما عطف عليّ منهم اثنان أو واحد^(١).

ونقول:

ألف: إن هذه الرواية موضع ريب، لأن عثمان بن مظعون قد توفي قبل الخندق بزمان، فإنه أول من مات بالمدينة من المهاجرين. وذلك بعد بدر في السنة الثانية من الهجرة الشريفة.

وقد احتمل البعض: أن يكون المقصود هو قدامة بن مظعون فراجع^(٢).

ب: قد يقال: إن هذه الرواية تدل على أن طائفة من الناس قد فروا يوم الخندق، وفقاً لما تقدم من فرار جماعة فيهم عمر وطلحة، وقد اختبأوا في حديقة هناك، فاكتشفتهم عائشة.

وسأيت أيضاً: أن الناس قد تفرقوا عن النبي «صلى الله عليه وآله» حتى بقي في ثلاث مئة. بل في اثني عشر رجلاً كما في رواية القمي، والحاكم في المستدرک بسند صححه هو والذهبي.

لكن قد يجاب عن ذلك: بأن من الممكن أن تكون الرواية ناظرة إلى حالة المسلمين لما بلغهم فرار المشركين، فإنهم تركوا النبي وقصدوا المدينة لا يلوون على شيء، وسأيت ذلك في آخر فصل: نهاية حرب الخندق.

إلا أن هذا الجواب لا يكفي: إذ لا معنى لطلب النبي من الناس الرجوع إلى مواقعهم، بعد ذهاب الأحزاب.

ج: إن هذه الرواية تشير إلى أنه قد كان ثمة دقة في التنظيم، وهيمنة قيادية،

(١) عيون الأثر ج ٢ ص ٥٦ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٩ بإسناد صحيح عن الطبراني.

(٢) عيون الأثر ج ٢ ص ٥٦.

قد فرضت عدم تغيب أي عنصر مشارك في الحرب إلا بإذن من الرسول «صلى الله عليه وآله» مباشرة، الأمر الذي يتيح للقيادة أن تبقى على اطلاع تام على حجم وفعالية القوة التي تعمل تحت قيادتها، فتتمكن من التخطيط الدقيق والسليم وفي نطاق وحدود القدرات المتوفرة لديها، والاستئذان هذا كان من الجميع حتى من المنافقين لأعذار مختلفة.

القتال بين المسلمين وبين بني قريظة:

قد ذكرت النصوص التاريخية عدة موارد يقال: إنها حصلت فيها مناوشات فردية بين المسلمين واليهود، وذكرت أيضاً حوادث محدودة في نطاق التدبير العسكري فيما بين الفريقين.

بالإضافة إلى: تحركات عامة في دائرة التفاهم لشن هجوم مشترك على المسلمين، ونذكر هذه الأمور في ضمن النقاط التالية:

ألف: التفكير بمباغطة المدينة:

قال الديار بكري: «واستعان بنو قريظة من قريش لبييتوا المدينة فعلم به النبي «صلى الله عليه وآله»، فبعث سلمة بن الأسلم في ماءقي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاث مئة رجل حتى حرسوا حصون المدينة ومحلاتها»^(١). ويفضّل ذلك البعض، فيقول: همت بنو قريظة أن يغيروا على بيضة المدينة ليلاً، فأرسلوا حيي بن أخطب إلى قريش أن يأتيهم منهم ألف رجل، ومن غطفان ألف فيغيروا بهم.

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٤.

فجاء الخبر بذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فعظم البلاء، وبعث سلمة بن أسلم في مئتي رجل، وزيد بن حارثة في ثلاث مئة يحرسون المدينة، ويظهرون التكبير، ومعهم خيل المسلمين، فإذا أصبحوا أمنوا. فكان أبو بكر يقول: لقد خفنا على الذراري بالمدينة من بني قريظة أشد من خوفنا من قريش وغطفان. ولقد كنت أوفي على سلع، فأنظر إلى بيوت المدينة، فإذا رأيتهم هادين حمدت الله عز وجل، فكان مما رد الله به بني قريظة عما أرادوا: أن المدينة كانت تحرس»^(١).

ونقول:

إنه ربما يستفاد من قوله تعالى: ﴿إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ﴾ أن بني قريظة قد تحركوا لقتال المسلمين، أو لمحاصرتهم، أو عملوا على ذلك بطريقة أو بأخرى.

هذا.. ولم تذكر لنا الرواية سبب عدم استجابة قريش وغطفان لطلب بني قريظة، ولا الطريقة التي علم بها رسول الله بإرسال بني قريظة تلك الرسالة إلى الأحزاب.

كما أننا لا نكاد نطمئن: إلى أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يبادر إلى حراسة المدينة إلا بعد أن علم بعزمهم على تبسيتها. فإن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يكن ليغفل عن حراسة المدينة من أول يوم خرج فيه لحفر الخندق

(١) راجع المصادر التالية: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٢٦٠ وامتاع الاسماع ج ١ ص ٢٢٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٤ و ٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٨.

ومواجهة الأحزاب، بل من أول ساعة.

أضف إلى ذلك كله: أن تخصيص خمس مئة مقاتل لحراسة المدينة، أي ما ربما يزيد على نصف جيش المسلمين، ثم الإكتفاء بالنصف أو بأقل من ذلك - حسبما تقدم عن عدة المسلمين - ليواجهوا جيش الأحزاب - إن هذا - قد يكون أمراً مبالغاً فيه، فلعله كان يرسل مئتين على التناوب، فتارة يرسل سلمة، وتارة يرسل زيداً، وهكذا.

ب: قصة خوات بن جبير واليهودي:

وبعث «صلى الله عليه وآله» خوات بن جبير لينظر غرة لبني قريظة، أو خلاً من موضع، فكمّن لهم، فنام، فحمّله رجل منهم وقد أخذه النوم، فأفاق، فعرف أن حامله طليعة لبني قريظة، فأمكنه الله من الرجل وقتله، ولحق بالنبى «صلى الله عليه وآله» وأخبره، بعد أن كان «صلى الله عليه وآله» قد عرف بالقضية من جهة جبرئيل^(١).

ونقول:

إننا لا ندري لماذا يفضل ذلك اليهودي حمل عدوه على ظهره؟! ولا يبادر إلى قتله، والتخلص منه.

والذي نعلمه في حالات كهذه هو أن يكون نوم من ينام قلقاً وغير مستقر، حتى إن النائم ليتنبه لأدنى حركة أو لمسة له، ونجد أن هذا اليهودي يحمل هذا النائم ويرفعه إلى كتفه ولا يشعر به.

(١) إمتاع الأسباع ج ١ ص ٢٢٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٠ و ٤٦١.

٩٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

ثم كيف عرف خوات بن جبير أن حامله طليعة لبني قريظة؟! هذا ما لم تصرح لنا الرواية به.

وإذا أغمضنا النظر عن ذلك: فإن اهتمام النبي «صلى الله عليه وآله» بالعمل الإستخباري في حروبه ظاهر للعيان.

ولكن طلب الغرة لبني قريظة والخلل من موضع، إنما يتناسب مع التخطيط لمهاجمتهم، وذلك لم يكن متيسراً، أو فقل: لم يكن مطروحاً للتداول به والتخطيط له في غزوة الخندق.

فلعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يمهد لغزوهم حين فراغه من الأحزاب، فكان إرسال الطلائع تمهيداً لذلك.

ج: تحركات، وتحركات:

وخرج نباش (ولعل الصحيح: شاس) بن قيس في عشرة من اليهود يريد المدينة، ففطن بهم نفر من أصحاب سلمة بن أسلم، فرموهم حتى هزموهم^(١).

ومر سلمة في من معه، فأطاف بحصون يهود، فخافوه، وظنوا: أنه البيات.

ومن الواضح: أن هؤلاء اليهود لا يشكلون خطراً جدياً على المسلمين، إلا من حيث أنهم طليعة للعدو، وتريد أن تحصل على معلومات تفيد في توجيه ضربة عسكرية للمسلمين، أو من حيث أنهم يريدون الحصول على

(١) إمتاع الأسباع ج ١ ص ٢٢٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٢.

مكاسب مادية، لظنهم أن المسلمين في غفلة عن بعض المواقع التي يمكنهم التسلل إليها للحصول على ما يمكن الحصول عليه منها.

أو من حيث إحداث بلبلة في صفوف المسلمين، حين يشعرون أن نساءهم في معرض خطر أكيد من قبل الأعداء.

ومن الملفت للنظر أيضاً: هذا الرعب من قبل اليهود لمجرد رؤيتهم سلمة بن أسلم يطيف بحصونهم، مع أنهم يظنون أنهم مانعتهم حصونهم.

د: قتل مغامر:

روى الطبراني بسند رجاله ثقات عن رافع بن خديج، قال: لم يكن حصن أحصن من حصن بني حارثة، فجعل النبي «صلى الله عليه وآله» النساء والصبيان والذراري فيه.

وقال هن: إن لم يكن أحد فالمعن بالسيف. فجاءهن رجل من بني (ثعلبة) حارثة بن سعد، يقال له: نجدان، أحد بني جحاش على فرس، حتى كان في أصل الحصن، ثم جعل يقول هن: انزلن إلي خير لكن. فحركن السيف، فأبصره أصحاب رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فابتدر الحصن قوم فيهم رجل من بني حارثة، يقال له: ظفر بن رافع، فقال: يا نجدان ابرز.

فبرز إليه، فقتله، وأخذ رأسه فذهب به إلى النبي «صلى الله عليه وآله»^(١).

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩ عن الوفاء عن الطبراني ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠١ و ٣٠٢ عن الطبراني وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٤.

٩٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

ولنا ملاحظة على هذا النص، وعلى نص سابق شبيه به: وهو أنه «صلى الله عليه وآله» قد قال لمن: إن لم يكن أحد فالمعن بالسيف، فهل هذا يعني: أن يلمعن بالسيف لإيهام الأعداء وجود أسلحة معهم؟!
الجواب: قد يكون لا، لأن هذا لو صح لكان الأنسب أن يقول لمن، فالمعن بالسيف، إلا أن يكون المقصود هو جنس السيف، لا السيف الواحد.
والظاهر: أنه «صلى الله عليه وآله» يريد أن يلمعن بالسيف لو تعرضن لأي هجوم من الأعداء ليعرف المسلمون بالأمر، لينجدوهن بالرجال.
ومعنى ذلك: هو أن موضع النساء كان قريباً من جيش المسلمين، وفي مقابلهم. كما أن هذه الطريقة لن تنفعهم إلا في وقت النهار، وحيث تكون السماء صافية والشمس طالعة لا مطلقاً. إذ في الليل وحيث لا شمس لا يلمع السيف.

صفية وحسان بن ثابت واليهودي:

روى الزبير بن العوام: أن صفية كانت في حصن فارع.
وفي نص آخر: «في حصن حسان بن ثابت» مع نساء النبي «صلى الله عليه وآله»، وكان معهن حسان بن ثابت، فرقى يهودي الحصن حتى أشرف عليهن، فقالت صفية: يا حسان قم إليه حتى تقتله.
وفي نص آخر: أن اليهودي جعل يطوف بذلك الحصن، فخافت صفية أن يدل على عورة الحصن.
قال: لا والله، ما ذاك فيّ، ولو كان فيّ لخرجت مع رسول الله «صلى الله عليه وآله».

قالت صفية: فاربط السيف على ذراعي. ثم تقدمت إليه حتى قتلتها، وقطعت رأسه، فقالت له: خذ الرأس وارم به على اليهود.
قال: وما ذاك فيّ.

فأخذت الرأس فرمت به على اليهود.
فقالت اليهود: قد علمنا: أنه لم يك يترك أهله خلوفاً، ليس معهم أحد.
ويذكر نص آخر: أنها طلبت منه أن يسلبه فرفض.
ونص آخر يذكر: أنها قتلتها بواسطة عمود.
وفي غيره: قتلتها بفهر. وتذكر رفض حسان لسلبه، ولا تذكر حديث قطع رأسه^(١).

وقد زاد أبو يعلى: «فأخبر بذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله» فضرب

(١) راجع المصادر التالية: وفاة الوفاء ج ١ ص ٣٠٢ عن البزار. وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٤ و ٥٢٥ عن ابن إسحاق، والواقدي، وأبي يعلى، والبزار بسند حسن عن الزبير، بسند رجاله رجال الصحيح عن عروة مرسلاً، وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤١ و ٢٤٢ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٦ وأسد الغابة ج ٢ ص ٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩ عن الوفاء، والهيثمي، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٧ ومسند أحمد والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٢ و ٤٤٣ وأمالى الشيخ الطوسي ص ٢٦٧ و ٢٦٨ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٤٥ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٨ و ٢٠٩ وتاريخ الإسلام للذهبي (الغازي) ص ٢٤٠ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٩ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٧ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٣ وغرر الخصائص الواضحة ص ٣٥٨.

١٠٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١
لصفية بهم، كما يضرب للرجل»^(١).

لكن نصاً آخر يقول: إن غزال بن سموأل أقبل مع عشرة من اليهود
نهاراً فجعلوا يستترون ويرمون الحصن. «وقد حاربت قريظة، ورسول الله
«صلى الله عليه وآله» في نحر العدو، لا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا
إذا أتاهم آت»^(٢).

ونقول:

يلفت نظرنا في هذه الرواية أمور عدة، نذكر منها:

ألف: جبن حسان:

قال البلاذري والوقدائي: «كان حسان رجلاً جباناً»^(٣).
وقال ابن الأثير: «كان حسان من أجبن الناس حتى إن النبي «صلى الله
عليه وآله» جعله مع النساء في الآطام يوم الخندق»^(٤).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٤ و ٥٢٥.

وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٢ و ٤٦٣ وسيرة المصطفى ص ٥٠٥ و ٥٠٦
وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٢ و ٤٤٣
والإكتفاء ج ٢ ص ١٧١.

(٣) أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٦٢ و ٤٦٣ وفاء
الوفاء ج ١ ص ٣٠٢ و ٣٠٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩.

(٤) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩ وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١٥
وراجع: الروض الأنف ج ٣ ص ٢٨١ وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٢ وسبل الهدى
والرشاد ج ٤ ص ٥٦٤ وأسد الغابة ج ٢ ص ٦.

وقال الحلبي: «وهذا يدل على ما قيل: إن حسان بن ثابت كان من أجبن الناس كما تقدم»^(١).

وقد صرحوا: بأن حساناً لم يشهد مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» مشهداً قط لأنه كان جباناً^(٢). وكان حسان ضارباً وتداً في ناحية الأطم، فإذا حمل أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» على المشركين حمل على الوند فضربه بالسيف، وإذا أقبل المشركون ترك الوند كأنه يقاتل قرناً. كان يرى أنه يجاهد جبناً عن القتال^(٣).

وقال الإسكافي: «لو كان الضعيف والجبان يستحقان الرياسة بقلة بسط الكف، وترك الحرب وأن ذلك يشاكل فعل النبي، لكان أوفر الناس في الرياسة، وأشدّهم لها استحقاقاً حسان بن ثابت»^(٤).

وقال ابن الكلبي: «كان حسان بن ثابت لسنّاً، شجاعاً، فأصابته علة، أحدثت فيه الجبن، فكان لا ينظر إلى قتال ولا يشهده»^(٥).

وقالت صفية: «كنت أعرف انكشاف المسلمين وأنا على الأطم برجوع حسان إلى أقصى الأطم»^(٦).

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٧.

(٢) المعارف (ط سنة ١٩٦٠م) ص ٣١٢ وغرر الخصاص الواضحة ص ٣٥٨ وأسد الغابة ج ١ ص ٦.

(٣) كنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٦.

(٤) شرح النهج للمعتزلي الشافعي ج ١٣ ص ٢٨٢.

(٥) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٤.

(٦) شرح النهج للمعتزلي ج ١٥ ص ١٦ والمغازي للواقدي ج ١ ص ٢٨٨.

١٠٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

وكلام ابن الكلبي هذا: يدل على عدم صحة ما رد به السهيلي وغيره على هذا بحجة أنه لو صح أنه كان جباناً لهجاه به الشعراء، لأنه كان يهاجهم كضرار وابن الزبيري. فلعل حسناً - لو صح أنه كان مع النساء في الأطم - كان معتلاً بعله منعه من شهود القتال^(١).

أضف إلى ذلك: أن المؤرخين قد حكموا على حسان بالجبن بصورة مطلقة معللين إبقاءه مع النساء بذلك، الأمر الذي يظهر منه أن جبنه كان معروفاً لديهم، لا أنهم استندوا في ذلك إلى خصوص هذه الرواية.

وأما لماذا لم يعيّر الشعراء حسناً بالجبن، فقد قال الزرقاني: «إن ابن إسحاق لم ينفرد به، بل جاء بسند متصل حسن كما علم، فاعتضد حديثه. وقال ابن السراج: سكوت الشعراء عن تعييره بذلك من أعلام النبوة لأنه شاعره «صلى الله عليه وآله»^(٢)».

ونزيد نحن على ذلك: أن هجاءهم لحسان لا مبرر له، وإنما هم يريدون هجاء الإسلام، ورسول الإسلام، وجماعة المسلمين، ولا يهمهم حسان كشخص من قريب ولا من بعيد. وهذا بالذات هو ما يطغى على شعرهم المتبادل فيما بينهم.

ب: قصة حسان في الخندق أم في أحد؟!

وقد رويت قصة جبن حسان، وقتل صفية لليهودي في غزوتي أحد

(١) راجع: الروض الأنف ج ٣ ص ٢٨١ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٢ و ٣٠٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٤.

(٢) هامش السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٤٠ تحقيق الأبياري، والسقا، وشلبي.

وقد تقدمت هذه الرواية في غزوة أحد أيضاً.
ونرجح أنها كانت في الخندق لأن اليهود إنما غدروا في الخندق^(٢)، وهذا هو ما رجحه السمهودي أيضاً استناداً إلى ذلك، وإلى أن الطبراني قد روى بسند رجاله رجال الصحيح عن عروة مرسلاً: أنها كانت في الخندق، ومن ذكر القصة في الخندق ابن إسحاق أيضاً^(٣).

ج: تأثير هذه القضية على اليهود:

قد ذكرت بعض النصوص المتقدمة: أن قتل صفية لليهودي قد جعل اليهود يعتقدون: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد جعل أناساً لحماية النساء والذرية، وليحفظوا مؤخرة الجيش عن أن تتعرض لأي عمل حربي، حيث قالت اليهود: إنه لم يك يترك أهله خلفاً، ليس معهم أحد.
وذكر في نص سابق: أن عشرة من اليهود «جعلوا يستترون ويرمون الحصن، ورسول الله «صلى الله عليه وآله» في نحر العدو، ولا يستطيعون أن ينصرفوا عنهم إلينا إذا أتانا آت».

ولكننا نشك في صحة ذلك: إذ قد كان ثمة حرس للمدينة يبلغ حوالي خمس مئة مقاتل، وقد كان يكفي لرد هؤلاء العشرة عشرة مثلهم، فضلاً عن

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٢ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٢٨٨ وشرح النهج

للمعتزلي ج ١٥ ص ١٥ و ١٦.

(٢) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٩.

(٣) المصدران السابقان.

ثم إن وصول عشرة من بني قريظة إلى مكان قريب من الجيش الإسلامي، وفي قبال ذلك الجيش، مع احتمالهم أن يكون ثمة حرس يعتبر مجازفة منهم، لا نرى أن اليهود يقدرّون عليها.

وقلنا: إن موضع النساء قريب من جيش المسلمين، لأن النبي «صلى الله عليه وآله» كما تقدم قد طلب من النساء أن يلمعن بالسيف إذا تعرضن لأي مكروه.

فلماذا لم يلمعن بالسيف كما صنعن في قصة أحد بني جحاش، الذي تم التخلص منه بهذه الطريقة بالذات؟

إلا أن يكون الناس في ذلك الوقت قد شغلّتهم الحرب حتى لا يستطيع أحد منهم، ولا حتى مفرزة صغيرة بمقدار خمسين فارساً: أن تنجد النساء والأطفال.

ونحن لا نظن: أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم يحسب حسابه لساعات كهذه، وترك الأمر يتطور إلى أن يصل إلى هذه الدرجة من الخطورة.

ولهذا فنحن نعتقد: أن هذه مبادرة من صفية «رحمها الله» لمواجهة رجل تسلل إلى موضع قريب، وقد نجحت في المهمة التي أحبت أن تبادر لإنجازها، ثم زاد الآخرون ما شاؤوا على ذلك إكراماً لولدها الزبير، ولآل الزبير. ولعل هذه الزيادات لا تبعد كثيراً عن نشاطات عروة ونظرائه ممن يسرون في نفس الخط الذي هو فيه.

د: ربط السيف على الذراع وتناقض الرواية:

ولا ندرى كيف يربط السيف على الذراع، ولا ندرى أيضاً كيف يمكن تفسير هذه الاختلافات والتناقضات لنصوص هذه الرواية، فإن ذلك مما يضعف وثوقنا بها أيضاً.

غنيمة المسلمين من المشركين:

وقال أبو سفيان الحبي بن أخطب: قد نفدت علافتنا فهل عندكم من علف؟! فقال حبي: نعم.

فكلم كعب بن أسد، فقال: مالنا مالك. فأرسل المشركون إليهم عشرين بعيراً، فحملوها لهم شعيراً، وتمرّاً وتبنّاً، وخرجوا بها إلى قريش، فلما كانوا بصفنة، وهم يريدون أن يسلكوا العقيق، جاؤوا جمعاً من بني عمرو بن عوف، وهم يريدون منازلهم بأنصاف النهار، يطلبونهم، وهم عشرون رجلاً، فيهم أبو لبابة، وعويم بن ساعدة ومعن بن عدي، خرجوا لميت مات منهم في أطمهم ليدفنوه.

فناهضوا الحمولة، وقتلهم القرشيون ساعة، وكان فيهم ضرار بن الخطاب، فمنع الحمولة، ثم جَرَحَ وجَرَحَ، ثم أسلموها، وكثرهم المسلمون، وانصرفوا بها يقودونها، حتى أتوا بني عمرو بن عوف، فدفنوا ميتهم، ثم ساروا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» بها.

فكان أهل الخندق يأكلون منها، فتوسعوا بذلك، وأكلوه حتى نفد، ونحروا من تلك الإبل أبخرة في الخندق، وبقي منها ما بقي حتى دخلوا به المدينة.

فلما رجع ضرار بن الخطاب أخبرهم الخبر، فقال أبو سفيان: إن حياً

١٠٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

لمشؤوم، ما أعلمه إلا قطع بنا، ما نجد ما نتحمل عليه إذا رجعنا^(١).

ولكننا نسجل تحفظاً هنا: ينطلق من كلام أبي سفيان هذا، فإن حياً لم يقطع بهم. كما أن هذه الغنيمة لم تكن خيلاً ولا إبلاً بل كانت شعيراً وتمرأً وتبناً، وبعض الإبل، فما معنى قوله: ما نجد ما نتحمل عليه إذا رجعنا.

الجن الذين في المدينة:

وكان رجال يستأذنون أن يطلعوا إلى أهليهم، فيقول «صلى الله عليه وآله»: «إني أخاف عليكم بني قريظة، فإذا ألحوا يأمرهم بأخذ السلاح معهم.

» وكان فتى حديث عهد بعرس، فأخذ سلاحه وذهب، فإذا امرأته قائمة بين البابين، فهياً لها الرمح ليطعنها، فقالت: اكفف حتى ترى ما في بيتك، فإذا بحية على فراشه، فركز فيها رمحه، فاضطربت، وخر الفتى ميتاً. فما يدري أيهما كان أسرع موتاً.

فقال رسول الله - لما أخبر بذلك -: إن بالمدينة جنأً قد أسلموا، فإذا رأيتم منهم شيئاً فأذنوه ثلاثة أيام، فإن بدا لكم بعد ذلك فاقتلوه، فإنما هو شيطان^(٢).

(١) راجع القصة في: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٩ و ٥٤٠ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٣.

(٢) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٤ و ٢٣٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٨ والمغازي ج ٢ ص ٤٧٥.

والذي يلفت نظرنا في هذا النص:

ألف: لماذا يؤذنون ثلاثة أيام، لا أقل ولا أكثر؟! فإن الجن إذا كان مؤمناً، فإنه لا يعتدي على الناس، ولا يأخذ فراش الناس، ويكون فيه.

ب: لماذا يبادر إلى طعن زوجته بالرمح إذا رآها بين البابين ألم يكن بوسعه أن يسألها عن سبب كونها في ذلك المكان؟ وهل وجودها في هذا المكان دليل خيانة وانحراف؟!

ج: هل الجن قادر على مواجهة الإنسان بهذه الصورة؟ وهل لم يكن بوسع تلك الحية الجنية أن تتخلص من رمح ذلك الفتى؟!

وهل إذا مات الجن يبقى جسده ماثلاً للعيان؟ ويكون من لحم ودم؟!.

إشتباك مع الإخوة:

وخرجت طليعتان للمسلمين ليلاً، فالتقتا، ولا يشعر بعضهم ببعض، ولا يظنون إلا أنهم العدو، فكانت بينهم جراحة وقتل، ثم نادوا بشعار الإسلام: حم، لا ينصرون.

فكف بعضهم عن بعض، وجاؤوا، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: جراحكم في سبيل الله، ومن قتل منكم فإنه شهيد. فكانوا بعد ذلك إذا دنا المسلمون بعضهم من بعض نادوا بشعارهم^(١).

(١) إمتاع الأسباع ج ١ ص ٢٣٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٧ و ٥٣٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١.

لعن الله الراكب والقائد والسائق:

قال سبط بن الجوزي: إن الإمام الحسن «عليه السلام» قال لمعاوية: «نظر النبي «صلى الله عليه وآله» إليك يوم الأحزاب، فرأى أباك على جمل يحرض الناس على قتاله، وأخوك يقود الجمل، وأنت تسوقه، فقال: «لعن الله الراكب والقائد والسائق»^(١).

آية قرآنية في خوات بن جبير:

محمد بن إسماعيل، عن الفضل بن شاذان، وأحمد بن إدريس، عن محمد بن عبد الجبار، جميعاً عن صفوان بن يحيى، عن ابن مسكان، عن أبي بصير، عن أحدهما «عليهما السلام» في قول الله تعالى: ﴿أَجِلْ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيَامِ الرَّفَثُ إِلَى نِسَائِكُمْ..﴾ الآية^(٢).

فقال: نزلت في خوات بن جبير الأنصاري، وكان مع النبي «صلى الله عليه وآله» في الخندق وهو صائم، فأمسى وهو على تلك الحال، وكانوا قبل أن تنزل هذه الآية إذا نام أحدهم حرم عليه الطعام والشراب.

فجاء خوات إلى أهله حين أمسى، فقال: هل عندكم طعام؟!

فقالوا: لا تنم حتى نصلح لك طعاماً.

فاتكأ فنام، فقالوا له: قد فعلت؟

قال: نعم.

(١) تذكرة الخواص ص ٢٠١ والغدير ج ١٠ ص ١٦٩ عنه.

(٢) الآية ١٨٧ من سورة البقرة.

فبات على تلك الحال، فأصبح ثم غدا إلى الخندق، فجعل يغشى عليه، فمر به رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فلما رأى الذي به أخبره كيف كان أمره، فأنزل الله عز وجل فيه الآية: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ..﴾^(١).

والحديث صحيح السند: كما هو ظاهر، لكن صرح في رسالة المحكم والمتشابه بأن ذلك كان حين حفر الخندق في شهر رمضان المبارك، وأن اسم الرجل هو مطعم بن جبير.
ونقول:

- ١ - الذي نعرفه في رجال الصحابة هو جبير بن مطعم، لا العكس.
- ٢ - قد وصف رواية القمي والسيد المرتضى خوات بن جبير بأنه كان حينئذ شيخاً كبيراً ضعيفاً.

مع أنهم يقولون: إن خوات بن جبير قد توفي سنة أربعين، أو اثنتين وأربعين وهو ابن أربع وسبعين سنة^(٢)، ومعنى ذلك هو أنه كان يوم الخندق

(١) الكافي ج ٤ ص ٩٩ وتفسير نور الثقلين ج ١ ص ١٤٤ و ١٤٥ وتفسير القمي ج ١ ص ٦٦ ومن لا يحضره الفقيه (ط مؤسسة النشر الإسلامي) ج ٢ ص ١٣٠ و ١٣١ والوسائل ج ٧ ص ٨٠ و ٨١ ورسالة المحكم والمتشابه ص ١٠ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤١ و ٢٤٢ وتفسير البرهان ج ١ ص ١٨٦ و ١٨٧ عن الكافي والقمي، وعن تفسير العياشي. ومجمع البيان ج ١ ص ٢٨٠.

(٢) راجع: الإصابة ج ١ ص ٤٥٨ وسير أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٣٠ وأسد الغابة ج ٢ ص ١٢٦ وراجع: الطبقات الكبرى لابن سعد (ط دار صار) ج ٣ ص ٤٧٧ و ٤٧٨ والفتا ج ٣ ص ١٠٩ ومشاهير علماء الأمصار ص ٣٩ وخلاصة تذهيب تهذيب =

١١٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

في عز شبابه، وغاية نشاطه وقوته.

وقيل: كان سنه حين توفي إحدى وسبعين سنة^(١) عن ابن نمير. وإن كان الإستيعاب قد سجل أربعاً وتسعين سنة^(٢)، ولعلها تصحيف سبعين، فإن الاشتباه بينهما كثير.

٣ - إن الرواية تقول: إنها نزلت في خوات، لكن روايات أخرى ذكرت: أنها نزلت في صرمة بن قيس أو غيره^(٣).

٤ - الرواية تقول: إن المسلمين كانوا إذا نام أحدهم قبل أن يفطر حرم عليه الطعام والشراب إلى الليلة القابلة - وهذا هو المروي بكثرة عجيبة - من طرق غير أهل البيت «عليهم السلام». ونقول:

إن هذه كانت طريقة أهل الكتاب. وقد نزلت الآية لردع المسلمين عنها^(٤) فلعل بعض المسلمين بسبب انبهاره قد انساق وراء أهل الكتاب في ذلك فنزلت الآية لتردعهم عنه، وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» أيضاً: فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحر^(٥).

= الكمال ص ١٠٨ والمستدرک للحاکم ج ٣ ص ٤١٢ وسیر أعلام النبلاء ج ٢ ص ٣٣٠.

(١) تهذيب التهذيب ج ٣ ص ١٧١.

(٢) الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ١ ص ٤٤٤ وكذا في تهذيب الأسماء ج ١ ص ١٧٩.

(٣) الدر المنثور ج ١ ص ١٩٧ و ١٩٨ عن مصادر كثيرة.

(٤) الدر المنثور ج ١ ص ١٩٨ عن عبد بن حميد.

(٥) الدر المنثور ج ١ ص ١٩٨ عن ابن أبي شيبة وأبي داود، والترمذي، والنسائي.

الفصل الثاني:

ضربة علي عليه السلام يوم الخندق
تعادل عبادة الثقلين

يخالفنا راجعاً

وقد علمنا ووجدنا راجعاً
يخالفنا راجعاً

عبور الخندق:

يقول المؤرخون: إنه بعد أن جرح سعد بن معاذ أجمع رؤساء المشركين أن يغدو جمعياً، وجاؤا يريدون مضيقاً يقحمون منه خيلهم إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فوجدوا مكاناً ضيقاً أغفله المسلمون، فلم تدخله خيولهم، فعبره عكرمة بن أبي جهل، ونوفل بن عبد الله المخزومي، وضرار بن الخطاب الفهري، وهبيرة بن أبي وهب وعمرو بن عبد ود.

وزاد المفيد «رحمه الله»: مرداساً الفهري.

وزاد البعض: حسل بن عمرو بن عبد ود في من عبر الخندق أيضاً.

ووقف سائر المشركين وراء الخندق^(١).

(١) راجع: المصادر التالية: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٢ و ٥٣٣ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٥ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٢٨٦ والإرشاد للمفيد ص ٥٢ ومناقب آل أبي طالب ج ٨ ص ١ و ١٩٨ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ١٩٧ و ١٩٨ و ٢٠٣ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٣٩ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٢ و ٢٥٣ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٥ وتهذيب سيرة ابن =

١١٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

ويقول القاضي النعمان: إن النبي «صلى الله عليه وآله» أمر علياً بأن يمضي بمن خف معه ليأخذ الثغرة عليهم، وقال: «فمن قاتلكم عليها فاقتلوه»^(١).

فخرج علي أمير المؤمنين «عليه السلام» في نفر من المسلمين، حتى أخذ الثغرة وسلمها إليهم.

وتقدم عمرو، فلما رأى المسلمين، وقف هو والخيـل التي معه، وقال: هل من مبارز^(٢).

= هشام ص ١٩٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٦ و ٤٣٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٢ وجوامع السيرة النبوية ص ١٥٠ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٠٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٨ و ٢٣٩ وراجع: الوفاء ص ٦٩٣ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠.

(١) شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٤.

(٢) راجع المصادر التالية: مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ والإرشاد للمفيد ص ٥٢ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٧ و ٢٠٣ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨١ وتاريخ الأسم والملوك ج ٢ ص ٢٣٩ وإعلام الوري (ط دار المعرفة) ص ١٠٠ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ وبحار الأنوار ج ٢ ص ٣٠٢ و ٢٥٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٥ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٧ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٨ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١١٥
وكان ذلك كما يقول القاضي النعمان بعد شهر من الحصار^(١) وقال غيره
غير ذلك، كما ذكرناه في موضع آخر.

وصفهم لعمر:

قالوا: وكان عمرو قد بلغ تسعين سنة، وقد حرم الدهن حتى يثار بمحمد
وأصحابه. وذلك أنه في بدر قد أثبتته الجراحة، وارتث فلم يشهد أحداً^(٢).
ونعتقد: أنهم يبالغون في مقدار عمر عمرو، ولعله بهدف بيان أنه كان
في هذا الوقت قد ضعف وشاخ ولم يعد قتله بذلك الأمر المهم. ولكن جبن
المسلمين عن مواجهته - كما سنرى - وهم جيش بأكمله، وكذلك ما قاله
النبي «صلى الله عليه وآله» في حق قاتله، وغير ذلك مما سيأتي، يبطل كيد
الخائنين، إن شاء الله تعالى.
وقالوا أيضاً: كان عمرو بن عبد ود فارس قريش^(٣)، وكان يعد بألف

(١) شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٣.

(٢) راجع المصادر التالية، فقد تعرضت لذلك كله أو بعضه: إمتاع الأسماع ج ١
ص ٢٣٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٣
والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ وتاريخ
الخميس ج ١ ص ٤٨٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣
ص ٤٣٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٢
و ٦٣ و ج ١٥ ص ٨٥ و ٨٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٢ و ٢٠٣
وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩ ووفاء الوفاء ص ٦٩٣ والعبر
وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠.

(٣) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٢ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٧.

١١٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

فارس^(١)، ويسمى فارس يليل^(٢)، لأنه أقبل في ركب من قريش حتى إذا هو بيليل، وهو واد قريب من بدر عرضت لهم بنو بكر في عدد، فقال لأصحابه: امضوا.

فقام في وجوه بني بكر حتى منعهم من أن يصلوا إليه، فعرف بذلك^(٣). وكان: «من مشاهير الأبطال، وشجعان العرب»^(٤).

وعن علي «عليه السلام»: «وفارسها (أي قريش) وفارس العرب يومئذ عمرو بن عبد ود يهدر كالبعير المغتلم..»

إلى أن قال: والعرب لا تعد لها فارساً غيره»^(٥).

وسأتي: أن مسافع بن عبد مناف يبكي عمرواً، ويقول:

عمرو بن عبد كان أول فارس جزع المذاذ، وكان فارس يليل

وقال أبو زهرة: «كان - كما قيل - لم يهزم في مبارزة قط»^(٦).

(١) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٦ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦١ وينابيع المودة ص ٩٥.

(٢) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٣ و ٢٢٦ وج ٤١ ص ٨٨ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٣ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥.

(٣) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٢ وج ٤١ ص ٨٨ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥.

(٤) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٦.

(٥) الخصال ج ٢ ص ٣٦٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٤ والإختصاص ص ١٦٧ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٨٧.

(٦) خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٨.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١١٧

«وكان أشد من فيهم وأنجدهم، يعرف له ذلك جميعهم»^(١).

وكان عمرو يلقب بعماد العرب، وكان في مئة ناصية من الملوك، وألف مفرقة من الصعاليك^(٢).

المواجهة بين عمرو والمسلمين

وذكر القمي «رحمه الله»: أنه لما جاء الفرسان إلى الخندق ليعبروه كان «صلى الله عليه وآله» قد صف أصحابه بين يديه، فلما طفروا الخندق، صاروا قبال رسول الله «صلى الله عليه وآله» مباشرة، والمسلمون خلف ظهر النبي «صلى الله عليه وآله».

رواية مشكوكه:

وادعى بعضهم: أن بعض المهاجرين قال لرجل من إخوانه بجنبه: أما ترى هذا الشيطان عمرواً؟! لا والله لا يفلت من يديه أحد، فهلموا ندفع إليه محمداً ليقتله، ونلحق نحن بقومنا، فأنزل الله على نبيه في ذلك الوقت قوله: ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنْكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا، أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ..﴾ إلى قوله: ﴿..وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾^(٣)^(١).

وصرح في موضع آخر: أن هذه الآية نزلت في عمر بن الخطاب لما قال

(١) شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٤ والبحار ج ٤١ ص ٨٨ عنه.

(٣) الآيتان ١٨ و ١٩ من سورة الأحزاب.

(٤) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٢ و ١٨٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٥.

١١٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

لعبد الرحمن بن عوف: هلم ندفع محمداً إلى قريش ونلحق بقومنا: يحسون الأحزاب لم يذهبوا الخ..^(١).

ونقول:

إن هذه الرواية موضع شك وريب.

أولاً: إن مضمون الآيات لا ينسجم مع هذا الحدث الذي تقول الرواية: إن الآية نزلت لأجله، ولا يتطابق معه، بل هي لا تشير إليه لا من قريب ولا من بعيد.

ثانياً: ما معنى قوله: هلموا ندفع إليه محمداً ليقتله ونلحق نحن بقومنا؟ فهل إن محمداً، الذي معه سائر المهاجرين والأنصار أصبح الآن خاضعاً لابن عوف ولرفيقه، وأصبحا هما أصحاب القرار في أمره؟!

ثالثاً: ولو أنها جهرها بهذا القول، ألم يكونا يخافان بأس علي «عليه السلام» وصولته، فضلاً عن غيره من أصحابه المخلصين؟!

أخذ الثغرة على عمرو وأصحابه:

وقد لاحظنا: أن علياً «عليه السلام» قد بادر إلى أخذ الثغرة التي عبر منها الفرسان، عليهم، حتى لا يمكنهم الرجوع منها، وليمنع بقية قوى الأحزاب من عبورها لمساعدة عمرو ومن معه.

وهذه المبادرة تعتبر من وجهة نظر عسكرية هي الإجراء الأمثل والأفضل لأنها أيضاً قد أدت إلى محاصرة المجازفين، والسيطرة على الموقف،

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣٢.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١١٩ وإفشال خطتهم.

ولكن علينا: أن لا نهمل التذكير بأن هؤلاء الذين جاؤوا مع علي «عليه السلام»، وأخذوا الثغرة على عمرو ومن معه، ما كانوا ليجرؤوا على الوقوف في مواقعهم لولا وجود علي «عليه السلام» إلى جانبهم، ثم اطمئنانهم إلى أنه سيكون هو الذي ينجدهم لو تعرضوا لأي مكروه من قبل عدوهم عمرو وأصحابه.

فإننا إلى علي «عليه السلام» استندوا، وعلى مبادرته لحمايتهم، والدفاع عنهم اعتمدوا، يدلنا على ذلك: أن المسلمين كانوا كأن على رؤسهم الطير خوفاً ورفقاً من عمرو كما سنرى.

طلب البراز، وخروج علي عليه السلام لعمرو:

لما وقف عمرو وأصحابه على الخندق قالوا: والله هذه مكيدة ما كانت العرب تكيدها، فقال عمرو:

يا لك من مكيدة ما أنكرك لا بد للملهوب من أن يعبرك ثم زعق على فرسه في مضيق، فقفز به إلى السبخة، بين الخندق و«سلع»^(١).

وجعلوا يجيلون خيلهم فيما بين الخندق و«سلع»، والمسلمون وقوف لا يقدم أحد منهم عليهم.

وجعل عمرو بن عبد ود يدعو للبراز - وكان قد أعلم ليرى مكانه -

(١) مناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨.

١٢٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

ويعرض بالمسلمين، فقال «صلى الله عليه وآله» على ما في الروايات: من لهذا الكلب؟ فلم يقم إليه أحد.

فلما أكثر قام علي «عليه السلام»، فقال: أنا أبارزه يا رسول الله، فأمره بالجلوس، انتظاراً منه ليتحرك غيره.

وأعاد عمرو النداء والناس سكوت كأن على رؤوسهم الطير، لمكان عمرو، والخوف منه ومن معه، ومن وراءه.

فقال عمرو: أيها الناس، إنكم تزعمون: أن قتلاكم في الجنة، وقتلانا في النار؟ أفما يحب أحدكم أن يقدم على الجنة، أو يقدم عدوآ له إلى النار؟ فلم يقم إليه أحد.

فقام علي «عليه السلام» دفعة ثانية، قال: أنا له يا رسول الله، فأمره بالجلوس.

فجال عمرو بفرسه مقبلاً مدبراً، وجاءت عطاء الأحزاب، ووقفت من وراء الخندق، ومدت أعناقها تنظر، فلما رأى عمرو: أن أحداً لا يجيبه قال:

ولقد بحثت من النداء بجمعهم هل من مبارز
ووقفت مذجبن المشجع موقف القرن المناجز
إنني كذلك لم أزل متسرعا قبل الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

فقام علي «عليه السلام»، فقال: يا رسول الله ائذن لي في مبارزته. فلما طال نداء عمرو بالبراز، وتتابع قيام أمير المؤمنين «عليه السلام»، قال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ادن مني يا علي.

فدنا منه، فقلده سيفه (ذا الفقار)، ونزع عمامته من رأسه، وعممه بها،

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٢١
وقال: امض لشأنك.

فلما انصرف، قال: اللهم أعنه عليه^(١).

ولكن ابن شهر آشوب قال: إن عمرواً جعل يقول: هل من مبارز؟!
والمسلمون يتجاوزون عنه.

فركز رحمه على خيمة النبي «صلى الله عليه وآله»، وقال: ابرز يا محمد.

فقال «صلى الله عليه وآله»: من يقوم إلى مبارزته فله الإمامة بعدي؟!
فنكل الناس عنه.

إلى أن قال: روي أنه لما قتل عمرو وأنشد علي «عليه السلام»:

ضربته بالسيف فوق الهامة بضربة صارمة هدامة
أنا علي صاحب الصمصامة وصاحب الحوض لدى القيامة
أخو رسول الله ذي العلامة وقال إذ عممني عمامة
أنت الذي بعدي له الإمامة^(٢)

وعند الحسكاني عن حذيفة قال: فألبسه رسول الله «صلى الله عليه

(١) راجع المصادر التالية: شرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٣ و ٦٤ والإرشاد للمفيد ص ٥٩ و ٦٠ و عيون الأثر ج ٢ ص ٦١ وإعلام الوري ص ١٩٤ و ١٩٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ و ٤٧١ و حبيب السير ج ١ ص ٣٦١ و راجع: مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥ والبحار ج ٤١ ص ٨٨ و ٨٩ و ج ٢٠ ص ٢٢٥ - ٢٢٨ - ٢٠٣ و ٢٠٥ و ٢٥٤ - ٢٥٦ و تفسير القمي ج ٢ ص ١٨١ - ١٨٥ وكشف الغمة ج ١ ص ٢٠٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ و ٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥ والبحار ج ٤١ ص ٨٨.

١٢٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

وآله» درعه ذات الفضول، وأعطاه سيفه ذا الفقار، وعممه بعمامة السحاب على رأسه تسعة أكوار، ثم قال: تقدم.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله» لما ولى: اللهم احفظه من بين يديه، ومن خلفه، وعن يمينه، وعن شماله، ومن فوق رأسه، ومن تحت قدميه^(١).

ويضيف البعض: «أنه رفع عمامته، ورفع يديه إلى السماء بمحضر من أصحابه، وقال: اللهم إنك أخذت مني عبدة بن الحرث يوم بدر، وحزة بن عبد المطلب يوم أحد، وهذا أخي علي بن أبي طالب. ﴿رَبِّ لَا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ﴾^(٢)»^(٣).

وتصور لنا رواية عن علي «عليه السلام» الحالة حين عبور الفرسان الخندق، فهو يقول: «وفارسها وفارس العرب يومئذ عمرو بن عبد ود، يهدر كالبعير المغتم، يدعو إلى البراز، ويرتجز، ويخطر برمحه مرة، وبسيفه مرة، لا يقدم عليه مقدم، ولا يطمع فيه طامع، فأنهضني إليه رسول الله

(١) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٣ وج ٤١ ص ٨٨. وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ.ق) ج ٢ ص ١١ وينابيع المودة ص ٩٥ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥.

(٢) الآية ٨٩ من سورة الأنبياء.

(٣) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦١ وج ١٣ ص ٢٨٣ و ٢٨٤ وكثر الفوائد للكراجكي (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٢٩٧، والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢١٥ وكثر العمال ج ١٢ ص ٢١٩ وج ١٠ ص ٢٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٢١.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٢٣

«صلى الله عليه وآله»، وعممني بيده، وأعطاني سيفه هذا - وضرب بيده إلى ذي الفقار - فخرجت إليه ونساء أهل المدينة بواك إشفاقاً عليّ من ابن عبد ود، فقتله الله عز وجل بيدي، والعرب لا تعد لها فارساً غيره»^(١).

ونحن نشك في الفقرة التي تذكر خروج نساء المدينة بواك إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ويذكر البعض: أنه «صلى الله عليه وآله»: «أدناه، وقبله، وعممه بعمامته، وخرج معه خطوات كالمودع له، القلق لحاله، المنتظر لما يكون منه. ثم لم يزل «صلى الله عليه وآله» رافعاً يديه إلى السماء، مستقبلاً لها بوجهه، والمسلمون صموت حوله، كأن على رؤوسهم الطير الخ..»^(٢).

برز الإسلام كله إلى الشرك كله:

وقال «صلى الله عليه وآله» حينئذٍ: برز الإسلام أو الإيمان كله، إلى الشرك كله»^(٣).

(١) الخصال ج ٢ ص ٣٦٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٤ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٨٧ و ٢٨٨ والإختصاص ص ١٦٦.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٥.

(٣) راجع: كشف الغمة ج ١ ص ٢٠٥ وينايع المودة ص ٩٤ و ٩٥ وإعلام الوری ص ١٩٤ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٦ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٦١ و ٢٨٥ وج ١٩ ص ٦١ والطرائف ص ٦٠ وكثر الفوائد للكراچكي ص ١٣٧ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٥ و ٢٧٣ وج ٤١ ص ٨٨ وج ٣٩ ص ١ ونهج الحق ص ٢١٧.

١٢٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

فخرج له علي «عليه السلام» وهو راجل، وعمرو فارساً، فسخر به عمرو، ودنا منه علي^(١) ومعه جابر بن عبد الله الأنصاري «رحمه الله»، لينظر ما يكون منه ومن عمرو^(٢).

وصرحت بعض الروايات: بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لأصحابه: أيكم يبرز إلى عمرو وأضمن له على الله الجنة؟ فلم يجبه منهم أحد هيبة لعمرو، واستعظاماً لأمره. فقام علي ثلاث مرات والنبي «صلى الله عليه وآله» يأمره بالجلوس^(٣).

وحسب نص ابن إسحاق، وغيره من المؤرخين: خرج عمرو بن عبد ود، وهو مقنع بالحديد، فنادى: من يبارز؟!..

فقام علي بن أبي طالب، فقال أنا (له) يا نبي الله.

فقال: إنه عمرو، إجلس.

ثم نادى عمرو: ألا رجل يبرز؟ فجعل يؤنبهم، ويقول: أين جنتكم التي تزعمون أنه من قتل منكم دخلها؟ أفلا تُبرزون إليّ رجلاً؟!

فقام علي، فقال: أنا يا رسول الله.

فقال: إجلس.

ثم نادى الثالثة، فقال:

ولقد بححت من النداء لجمعهم هل من مبارز

(١) إمتاع الأسباع ج ١ ص ٢٣٢.

(٢) راجع الإرشاد للمفيد ص ٥٩ و ٦٠ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦١ وكشف الغمة

ج ١ ص ٢٠٤ وإعلام الوری ص ١٩٤.

(٣) كنز الفوائد للكرجكي ص ١٣٧.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٢٥

ووقفت إذ جبن المشجع موقف القرن المناجر
ولذاك إنسي لم أزل متسرعاً قبل الهزاهز
إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الغرائز

قال: فقام علي رضي الله عنه، فقال: يا رسول الله، أنا له.

فقال: إنه عمرو.

فقال: وإن كان عمرواً.

فأذن له رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فمشى إليه حتى أتاه وهو

يقول:

لا تعجلن فقد أتاك مجيب صوتك غير عاجز
ذو نية وبصيرة والصدق منجا كل فائز
إنسي لا رجو أن أقيم عليك نائحة الجنائز
من ضربة نجلاء يبقى ذكرها عند الهزاهز

وفي الديوان المنسوب لعلي «عليه السلام» بيتان آخران هما:

ولقد دعوت إلى البراز فتى يجيب إلى المبارز
يعليك أبيض صارماً كاللح حتفاً للمبارز

فقال له عمرو: من أنت؟.

قال: أنا علي.

قال: ابن عبد مناف؟.

قال: أنا علي بن أبي طالب.

فقال: يا ابن أخي، من أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهرق دمك.

١٢٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

فقال له علي: لكني والله لا أكره أن أهرق دمك.

فغضب، فنزل، وسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي «عليه السلام» مغضباً، واستقبله علي بدرقته، فضربه عمرو في درقته، فقدما، وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه فشجه. وضربه علي «عليه السلام» على حبل عاتقة فسقط، وثار العجاج، فسمع رسول الله التكبير، فعرنا أن علياً قد قتله، فثم يقول علي:

أعلي تقتحم الفوارس هكذا عني وعنهم أخروا أصحابي
الآيات.

إلى أن قال: وخرجت خيولهم منهزمة، حتى اقتحمت الخندق^(١).

(١) راجع المصادر التالية: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٦ عن البيهقي في دلائل النبوة، عن ابن إسحاق. وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٤ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ والبحار ج ٢٥ ص ٢٠٣ و ٢٠٤ و ٢٣٩ وج ٤١ ص ٨٩ وراجع: مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٥ و ١٣٦. وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٦ و ٤٨٧ وعيون الأثر ج ١ ص ٦١ و ٦٢ والروض الأنف ج ٣ ص ٢٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٨ و ٤٣٩.

وراجع أيضاً: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ و ٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩ و ٣٢٠ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٦١ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٧ و ١٦٨ وراجع: ديوان أمير المؤمنين علي «عليه السلام» ص ٦٧ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢ و ٣٣ والمناقب للخوارزمي ص ١٠٤ وراجع: ينابيع المودة ص ٩٥ و ٩٦ وراجع أيضاً كثر الفوائد للكرجكي ص ١٣٧.

الخصال الثلاث وقتل عمرو:

وقد ذكرت بعض النصوص: أن علياً «عليه السلام» لما بارز عمرواً عرض على عمرو خصلتين، وهما: الإسلام، فرفضه، أو النزال، فاعتذر بالخلعة بينه وبين أبي طالب، أو بغير ذلك^(١).

لكن بعض الروايات ذكرت: أنه عرض عليه ثلاث خصال.

فهي تقول:

قال علي لعمر: يا عمرو، إنك كنت تقول في الجاهلية: لا يدعوني أحد إلى واحدة من ثلاث إلا قبلتها.

قال: أجل.

قال علي: فإني أدعوك إلى: أن تشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، وتسلم لرب العالمين.

(١) راجع عرض الخصلتين على عمرو، ثم قتل علي «عليه السلام» له في المصادر التالية: الإرشاد للمفيد ص ٥٨، وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٣ و ١٩٨ و ١٩٩ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨١ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٠. وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٣ و ٢٥٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ و ٧ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٦٦ و ٢٦٧ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٣ و ١٧٤ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٨ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٦ و ١٦٧ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦١ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٦ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٣ و ١٩٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٦ و ٤٣٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٥.

قال: يا ابن أخي، أخر عني هذه.

قال: وأخرى، ترجع إلى بلادك، فإن يك محمد صادقاً كنت أسعد الناس به، وإن كاذباً كان الذي تريد.

وفي نص آخر: كفتهم ذؤبان العرب أمره.

قال: هذا ما لا تحدث به نساء قريش أبداً، وقد نذرت ما نذرت، وحرمت الدهن^(١).

قال: فالثالثة؟

قال: البراز.

فضحك عمرو، وقال: إن هذه لخصلة ما كنت أظن أن أحداً من العرب يرومني عليها، فمن أنت؟!

قال: أنا علي بن أبي طالب.

قال: يا ابن أخي، من أعمامك من هو أسن منك، فإني أكره أن أهريق دمك.

فقال علي رضي الله عنه: لكنني والله لا أكره أن أهريق دمك.

فغضب عمرو، فتزل عن فرسه وعقرها، وسل سيفه كأنه شعلة نار، ثم أقبل نحو علي مغضباً، واستقبله علي بدرقته.

ودنا أحدهما من الآخر واثرت بينهما غبرة، فضربه عمرو، فاتقى علي الضربة بالدركة، فقدها، وأثبت فيها السيف، وأصاب رأسه، فشجه الخ..

(١) زاد في نص القمي: ولا تنشد الشعراء في أشعارها أنه جبن ورجع، وخذل قوماً رأسوه عليهم. وعند المعتزلي: إذن تتحدث نساء قريش عني: أن غلاماً خدعني.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٢٩

أما المفيد وغيره، فقالوا: إن عمرواً قال لعلي «عليه السلام»: إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك، وقد كان أبوك لي نديماً.

وعند الواقدي: «فأنت غلام حدث إنما أردت شيخني قريش: أبا بكر وعمر.

فقال علي «عليه السلام»: لكنني أحب أن أقتلك، فانزل إن شئت،

فأسف عمرو، ونزل، وضرب وجه فرسه حتى رجع» انتهى.

وعند آخرين: أنه عرقب فرسه، وضرب علياً «عليه السلام» بالسيف،

فاتقاه بدرقته، فقطعها، فثبت السيف على رأسه.

وقال القمي وغيره: فقال له «عليه السلام»: أما كفالك أني بارزتك،

وأنت فارس العرب، حتى استعنت علي بظهر؟!.

فالتفت عمرو إلى خلفه، فضربه على ساقه، فقطعها جميعاً.

وعبارة حذيفة هكذا: «وتسيف علي رجله بالسيف من أسفل فوق

على قفاه»^(١).

وتستمر رواية القمي فتقول: وارتفعت بينهما عجاجة، فقال المنافقون:

قتل علي بن أبي طالب، ثم انكشفت العجاجة، فنظروا، فإذا أمير المؤمنين

«عليه السلام» على صدره أخذ بلحيته، يريد أن يذبحه.

فذبحه، ثم أخذ رأسه، وأقبل إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»،

والدماء تسيل على رأسه من ضربة عمرو، وسيفه يقطر منه الدم، وهو يقول

والرأس بيده:

(١) راجع عبارة حذيفة في: مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٤ وج

٤١ ص ٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٦ و ١٣٧.

١٣٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

أنسا علي وأنا ابن المطلب الموت خير للفتى من الهرب

فقال له «صلى الله عليه وآله»: يا علي، ماكرته؟!.

قال: نعم يا رسول الله، الحرب خدعة.

وينقل المفيد عن جابر، ونقله غيره من دون تصريح باسم الراوي قوله: فثارت بينهما قترة، فما رأيتها. فسمعت التكبير تحتها، فعلمت أن علياً «عليه السلام» قد قتله.

فانكشف أصحابه، حتى طفرت خيولهم الخندق.

وتبادر أصحاب النبي «صلى الله عليه وآله» حين سمعوا التكبير ينظرون ما صنع القوم، فوجدوا نوفل بن عبد الله الخ.^(١)

(١) راجع فيما تقدم بتفصيل أو إجمال المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ والإرشاد للمفيد ص ٥٩ و ٦٠ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٤ و ٢٠٣ وإعلام الوري ص ١٩٤ و ١٩٥ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨١ - ١٨٥، والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٥ - ٢٢٨ و ٢٠٣ فما بعدها و ٢٥٤ - ٢٥٦ وج ٤١ ص ٩٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٦ و ٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩، والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٠ و ٤٧١ و شرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٣ و ٤٦ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٦٦ و ٢٦٧ وحبیب السیر ج ١ ص ٣٦١ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٣٥.

وراجع المصادر التالية: شواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ. ق) ج ٢ ص ١١ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٨ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٦ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٥ و ٢٩٦ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٩٠ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٩.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٣١

وعند المعتزلي: ثارت الغبرة، وسمعوا التكبير من تحتها، فعلموا أن علياً قتل عمرواً فكبر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكبر المسلمون تكبيرة سمعها من وراء الخندق من عساكر المشركين^(١).

وروي: أن عمرواً جرح رأس علي «عليه السلام»، فجاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فشدّه، ونفث فيه، فبرئ وقال: أين أكون إذا خضب هذه من هذه؟!^(٢).

وفي القاموس وغيره: كان علي ذا شجيتين في قرني رأسه، إحداها من عمر بن عبد ود، والثانية من ابن ملجم، ولذا يقال له: ذو القرنين^(٣).

وعنه «عليه السلام» أنه قال عن عمرو: «وضربني هذه الضربة. وأوماً بيده إلى هامته»^(٤).

نص الحسكاني:

وقد ذكر لنا الحاكم الحسكاني بعض التفصيلات الهامة هنا، فقال:

«ثم ضرب وجه فرسه فأدبرت، ثم أقبل إلى علي «عليه السلام»، وكان

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج ١٣ ص ٢٨٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٢٢٠.

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ وتاج العروس ج ٩ ص ٣٠٧ والنهاية لابن الأثير ج ٤ ص ٥٢ و ٥١ والقاموس المحيط ج ٤ ص ٢٥٨ ولسان العرب ج ١٣ ص ٣٣٢ و ٣٣٣ وراجع: مستدرك الحاكم ج ٣ ص ١٢٣ لتجد حديث: إنك لذو قرنيها. وكذا نوادر الأصول ص ٣٠٧.

(٤) الخصال ج ٢ ص ٢٦٨ و ٢٦٩ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٤.

١٣٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

رجلاً طويلاً، يدوأي دبرة البعير وهو قائم.

وكان علي في تراب دق، لا يثبت قدماه عليه، فجعل علي ينكص إلى ورائه يطلب جلدأ من الأرض يثبت قدمه، ويعلوه عمرو بالسيف. وكان في درع عمرو قصر، فلما تشاك بالضربة، تلقاها علي بالترس، فلحق ذباب السيف في رأس علي، حتى قطعت تسعة أكوار، حتى خط السيف في رأس علي.

وتسيف علي رجله بالسيف من أسفل، فوقع على فقا.

وثارت بينهما عجاجة، فسمع علي يكبر.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: قتله والذي نفسي بيده.

فكان أول من ابتدر العجاج عمر بن الخطاب، فإذا علي يمسح سيفه بدرع عمرو.

فكبر عمر بن الخطاب، فقال: يا رسول الله، قتله.

فحز علي رأسه، ثم أقبل يخطر في مشيته، فقال له رسول الله: يا علي، إن هذه مشية يكرهاها الله عز وجل إلا في هذا الموضع الخ...^(١).

وفي نص آخر عند الحسكاني عن علي «عليه السلام»: أنه لما برز لعمرو دعا بدعاء علمه إياه رسول الله «صلى الله عليه وآله»: اللهم بك أصول، وبك أجول، وبك أدرأ في نحره^(٢). لكن البعض يقول:

(١) شواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ. ق) ج ٢ ص ١١ و ١٢ ومجمع البيان ج ٨ ص ٢٤٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٤ عنه.

(٢) شواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ. ق) ج ٢ ص ١٣.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٣٣
«أتى برأسه وهو يتبختر في مشيته، فقال عمر: إلا ترى يا رسول الله إلى
علي كيف يتيه في مشيته؟!
فقال «صلى الله عليه وآله»: إنها مشية لا يمقتها الله في هذا المقام»^(١).

نصوص أخرى:

وذكر نص آخر: أنه احتز رأسه، وحمله، وألقاه بين يدي النبي «صلى
الله عليه وآله»، فقام أبو بكر وعمر فقبلا رأس علي، ووجه رسول الله «صلى
الله عليه وآله» يتهلل، فقال: هذا النصر، أو قال: هذا أول النصر^(٢).
وقال له أبو بكر: المهاجرون والأنصار رهين شكرك ما بقوا^(٣).
وقالوا: إن علياً «عليه السلام» ضرب عمرواً على حبل العاتق فسقط
وثار العجاج.
وقيل: طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه، فسقط وسمع رسول
الله «صلى الله عليه وآله» التكبير، فعرف أن علياً قتله^(٤).

(١) كنز الفوائد للكراچكي من ١٣٧.

(٢) راجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٢ والإرشاد للمفيد ص ٦١ وكشف
الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٥ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٦
وج ٤١ ص ٩١ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٢.

(٣) مناقب آل طالب ج ٣ ص ١٣٨.

(٤) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ من ٥٣٣ و ٥٣٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٦
و ١٠٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٥ وخاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٧.

١٣٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

وحكى البيهقي عن ابن إسحاق: أن علياً طعنه في ترقوته^(١).
وقالوا أيضاً: أنه حين قتل علي عمرواً ومن معه «انصرف إلى مقامه الأول،
وقد كادت نفوس القوم الذين خرجوا معه إلى الخندق تطير جزعاً»^(٢).
وقال علي «عليه السلام» في المناسبة أبياتاً نذكرها، ونضم ما ذكره بعضه
إلى بعض، وهي:

أعلي تفتحم الفوارس هكذا	عني وعنهم أخرجوا أصحابي
اليوم تمنعني الفرار حفيظتي	ومصمم في الرأس ليس بناب
آلى ابن ود حين شد أليّة	وحلفت فاستمعوا إلى الكذاب
أن لا أصد ولا يولي والتقى	رجلان يضطربان كل ضراب
عرف ابن عبد حين أبصر صارماً	يهتز أن الأمر غير لعاب
أرديت عمرواً إذ طغى بمهند	صافي الحديد مجرب قضاب
نصر الحجارة من سفاهة رأيه	ونصرت رب محمد بصواب
فصدرت حين تركته متجدلاً	كالجذع بين دكادك وروابي
وعففت عن أثوابه ولو أنني	كنت المقطر بزني أثوابي
لا تحسبن الله خاذل دينه	ونبيه يا معشر الأحزاب ^(٣)

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧.

(٢) راجع: الإرشاد للمفيد ص ٦٠ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٥٤.

(٣) هذه الأبيات توجد موزعة ومجمعة في مصادر كثيرة، لكن رواية السهيلي لها تختلف
جزئياً عما ذكرناه هنا، ومهما يكن من أمر، فإن ما ذكرناه مذكور كله أو بعضه =

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٣٥
قال ابن هشام: وأكثر أهل العلم بالشعر يشك فيها لعلي رضي الله تعالى عنه^(١).

وستأتي لنا: وقفة مع ابن هشام فيما يرتبط بكلامه هذا، وما أشبهه مما سيأتي.

وخرجت خيولهم منهزمة حتى اقتحمت الخندق.
قال ابن هشام وغيره: وألقى عكرمة بن أبي جهل رمحه يومئذ، وهو منهزم عن عمرو، فقال حسان بن ثابت في ذلك:
فرّ وألقى لنا رمحه لعلك عكرم لم تفعل

= في المصادر التالية وغيرها: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٦ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ١٩٩ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٣ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٥ والإرشاد للمفيد ص ٥٩ و ٦١ وإعلام الوری (ط دار المعرفة) ص ١٠٠ و ١٠١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩ وراجع: مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ و ٣٤٤ والبحار ج ٤١ ص ٩١ عن المناقب وج ٢٠ ص ٢٠٥ و ٢٠٦ عنه وص ٢٥٤ و ٢٥٧ عن الإرشاد وص ٦٥ عن الديوان المنسوب لأمر المؤمنين «عليه السلام» ص ٢٣ و عيون الأثر ج ٢ ص ٦١ والبدء والتاريخ ج ٤ ص ٢١٨ و حبيب السير ج ١ ص ٣٦٢ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٨ و ١٦٩ و مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٧ و ١٣٨ و شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٦ و كثر الفوائد للكرجكي ١٣٧ و ١٣٨.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٦ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣ عن ابن هشام.

١٣٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

ووليت تعدو كعدو الظليم ما إن تجور عن المعدل

ولم تلق ظهرك مستأنساً كأن قفاك قفا فرعل^(١)

وحول مبارزة علي لعمره، وقتله على يده، راجع المصادر الموجودة في الهامش^(٢)، وبعضها قد صرح بأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد رد علياً «عليه السلام» مرتين، وأجازه في الثالثة^(٣).

وذكرت أبيات عمرو في طلب البراز، وجواب علي له بشعر على نفس

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ و ٥٣٥ وراجع: خاتم النبیین ج ٢ ص ٩٣٨ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٤ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٣٧ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٤ وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦. والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٣ و ٢٠٥ وشرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٦.

(٢) راجع فيما عدا المصادر التي تقدمت في الهوامش السابقة ما يلي: مرآة الجنان ج ١ ص ١٠ وزاد المعاد ج ٢ ص ١١٨ وراجع: جوامع السيرة النبوية ص ١٥٠ والوفاء ج ٢ ص ٦٩٣ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٢ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ وتاريخ البعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦ و ٢٦٧ وراجع: إعلام الوری (ط دار المعرفة) ص ١٠٠ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٠ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٣٩ وتجارب الأمم ج ٢ ص ١٥٣ والأوئل للعسكري ج ٢ ص ٢٢٣ والطوائف ص ٦٠ والبحار ج ٣٩ ص ١ عنه.

(٣) خاتم النبیین ج ٢ ص ٩٣٧ وينابيع المودة ص ٩٤ و ١٣٦ وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ.ق) ج ٢ ص ١٠.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٣٧
الوزن والقافية في كثير من المصادر أيضاً^(١).

يقول أهلك ما لبدأ:

وفي رواية أبي الجارود عن أبي جعفر في قوله: ﴿يَقُولُ أَهْلَكْتُ مَا لَا
لُبْدَاءُ﴾^(٢)، قال:

هو عمرو بن عبد ود، حين عرض عليه علي بن أبي طالب الإسلام يوم
الخندق، وقال: فأين ما أنفقت فيكم ما لبدأ؟! وكان قد أنفق ما لا في
الصد عن سبيل الله، فقتله علي^(٣).

ولم نجد هذه الرواية إلا في تفسير القمي، فليلاحظ ذلك ولنا مع ما
تقدم وقفات، هي التالية:

لماذا طلب عمرو من علي أن يرجع؟!

قال المعتزلي الشافعي، حين بلغ في حديثه الموضع الذي يطلب فيه
عمرو من علي «عليه السلام» أن يرجع لأنه لا يحب أن يقتله:

(١) راجع عدا المصادر المتقدمة ما يلي: كشف الغمة للأربلي ج ١ ص ١٩٨ و ١٩٩
وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٥ و ٢٦٦ و ٢٣٩ وعن ديوان
أمير المؤمنين ص ٦٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٣ وسبل الهدى
والرشاد ج ٤ ص ٥٣٣ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٧ و ١٦٨ والبداية
والنهاية ج ٤ ص ١٠٦ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ و ٣١٩.

(٢) الآية ٦ من سورة البلد.

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ٤٢٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٢.

١٣٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

«كان شيخنا أبو الخير مصدق بن شبيب النحوي يقول - إذا مررنا في القراءة عليه بهذا الموضع - : والله، ما أمره بالرجوع إبقاء عليه، بل خوفاً منه، فقد عرف قتلاه ببدر وأحد، وعلم أنه إن ناهضه قتله. فاستحيا أن يظهر الفشل، فأظهر الإبقاء والإرعاء وإنه لكاذب فيهما»^(١).

علي عليه السلام غلام حدث؟! وشيخا قريش:

وقد تقدم أن رواية الواقدي تقول: «فأنت حدث، إنما أردت شيخي قريش، أبا بكر وعمر»^(٢).

ورواية المعتزلي تقول: «إذن تتحدث نساء قريش عني: أن غلاماً خدعني»^(٣).

ونقول:

ألف: أما بالنسبة لصغر سن علي «عليه السلام» فقد كان عمره الشريف حينئذ سبعة وعشرين، أو ثمانية وعشرين عاماً. كما هو الأصح والأقوى.

بل بعض الأقوال تزيد في عمره عدة سنوات أخرى على ذلك، ولا يقال لمن هو بهذا السن: أنه غلام حدث.

ب: بالنسبة لأبي بكر وعمر، فإنهما لم يكونا شيخي قريش آنئذ، ولا قبل ذلك أيضاً.

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤ وراجع: البحار ج ٢٠ ص ٢٧٤ وسيرة المصطفى ص ٥٠٢.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧١.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٣٩

ولم يكونا أيضاً معروفين بالفروسية والشجاعة ليقصدهما عمرو بالبراز الذي يريد أن يكتسب به مجداً وشهرة عامة. فقتلهما لم يكن ليكسر شوكة المسلمين العسكرية. أما قتل علي «عليه السلام» فهو المقصود بعد النبي «صلى الله عليه وآله» لهم، لأنه هو الذي قتل فرسانهم في بدر وأحد.

ومن جهة ثالثة: فقد تقدم أن ضرار بن الخطاب، وخالد بن الوليد لم يقتلا عُمر في أحد وفي الخندق، رغم تمكنهما من ذلك.

بل كان موقفهما منه يرشح بروائح المودة والمحبة، والاهتمام بنجاته. وهل خلص أسرى المشركين في بدر غير أبي بكر حسبما تقدم بيانه؟.

جرح علي عليه السلام:

وهل جرح علي «عليه السلام» حقاً بسيف عمرو؟! وكان ذا شجتين؟! أم أن المقصود هو أظهار شجاعة عمرو وفروسيته في مقابل علي «عليه السلام»؟!.

إن البلاذري يقول: ويقال: إن علياً لم يجرح قط^(١).

الكبرياء والغطرسة:

ذكر الحاكم الحسكاني: أن علياً «عليه السلام» حينما برز لعمرو وكان عمرو طويلاً: «جاء حتى وقف على عمرو، فقال: من أنت؟!». فقال عمرو: ما ظننت أني أقف موقفاً أجهل فيه، أنا عمرو بن عبد ود، فمن أنت؟!.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥.

قال: أنا علي بن أبي طالب.

فقال: الغلام الذي كنت أراك في حجر أبي طالب؟.

قال: نعم.

قال: إن أباك كان لي صديقاً، وأنا أكره أن أقتلك.

فقال له علي «عليه السلام»: لكني لا أكره أن أقتلك.

ثم ذكر تخييره بين الخصال الثلاث، فرفضها، فقال له علي «عليه السلام»: فأنت فارس وأنا راجل.

فنزّل عن فرسه وقال: ما لقيت من أحد ما لقيت من هذا الغلام^(١).

فعلي «عليه السلام» إذن يريد إذلال عمرو، وتخطيم كبريائه. وقد تحقّق له ما أراد، حتى شكّا ذلك عمرو نفسه كما ترى.

إنه عمرو:

قد اعتبر الإسكافي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ضنّ بعلي «عليه السلام» عن مبارزة عمرو، حين دعا عمرو الناس إلى نفسه مراراً، وفي كلها يحجمون، ويقدم علي، فيسأل الإذن له في البراز، حتى قال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنه عمرو.

فقال: وأنا علي^(٢).

ونقول:

إننا لا نعتقد: أن هذا الكلام دقيق، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» كان

(١) شواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ.ق) ج ٢ ص ١١.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج ١٣ ص ٢٨٣ و ٢٨٤.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٤١

يعلم قدرات علي عليه الصلاة والسلام، ومدى ما عنده من استعداد للتضحية والإقدام في سبيل الله سبحانه، ومواقفه في بدر، وصده للكتائب في أحد، حتى نادى الملك بين السماء والأرض:

لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار

وقد كانت هذه المواقف معروفة لدى النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» أكثر من أي شخص آخر، وهو الذي ربي علياً «عليه السلام»، وعلمه وهذبه، ودربه.

والصحيح هو: ما ذكره بعض المؤرخين حسبما تقدم وهو: أنه أراد أن يفسح المجال أمام الآخرين، فكان يأمره بالجلوس، انتظاراً منه ليتحرك غيره. وليعلم بذلك فضله، ويظهر زيف دعوى من سوف يحاول الدس والتشويه، وإطلاق الدعاوى الفارغة، لأهداف سياسية، وغيرها.

إذن، فنستطيع أن نلخص الأسباب في ضمن النقاط التالية:

١ - لكي يظهر للجميع: أن غير علي «عليه السلام» قد أحجم عن مبارزة عمرو خوفاً وجبناً. ولولا أنه «صلى الله عليه وآله» أمره بالجلوس ثلاث مرات لكان من الممكن للبعض أن يدّعي: أن كل واحد من المسلمين كان قادراً على مبارزة عمرو وقتله، لكن علياً سبقهم إلى الاستئذان لمبارزته، رغبة منه في الثواب والأجر. وهو أمر يشكر عليه.

٢ - إنه «صلى الله عليه وآله» كان يريد أن يظهر للناس جمعياً: أن عليهم النظر إلى بواطن الأمور، فلا تغرهم الدعاوى العريضة والشعارات الرنانة والانتفاخات الكاذبة في حالات الأمن والرخاء. ولا يجوز أن يخططوا ويقرروا ويتخذوا المواقف استناداً إلى ذلك بل لا بد من اختبار القدرات

والطاقات في الحالات الصعبة، واللحظات المصيرية..

٣- وكان لا بد من التنويه بجهاد علي «عليه السلام»، وتعريف الناس بمن يضحي ويذلل نفسه في سبيل الله سبحانه، وبمن يستثمر تضحيات الآخرين ويسرق جهدهم وجهادهم لمصلحة نفسه أو من يمت إليه بصلة أو رابطة.. ويتضح ذلك من قوله «صلى الله عليه وآله» لعلي: إنه عمرو^(١). وبذلك يتضح: أن عدم الإذن لعلي «عليه السلام» بمبارزة عمرو في بادئ الأمر، لم يكن رغبة بعلي عن المخاطر، وحجاً بالإبقاء عليه، وتعريض غيره لذلك.

٤- وقوله «صلى الله عليه وآله» له: إنه عمرو، فارس ليليل أو نحو ذلك، ليفهم الناس: أن هذا الإقدام من علي «عليه السلام» ليس مجرد نزوة طائشة، ألقى نفسه بسببها في المهالك، دون أن يكون عارفاً بحقيقة عمرو، ومكانته في الفروسية، ثم حالفه الحظ فقتله، لأن علياً رجل شجاع، ولكن لا علم له بالحرب، كما يريد أعداؤه أن يقولوا.

بل كان هذا الإقدام منه عن علم وثبت، واطلاع تام على شجاعة عمرو، ومكانته بين فرسان العرب.

الخصال الثلاث:

وحين عرض علي «عليه السلام» الخصال الثلاث على عمرو، نجد أن هذه الخصال قد جاءت من خلال الوعي والإحساس بالمسؤولية، وفي أعلى

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٦ و ٢٠٣ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٤٣

درجات السداد، وفي منتهى الموضوعية والنصفية. وتركت عمرواً يبوء بعار البغي، والعدوان، والتجني بلا مبرر، ولا سبب على الإطلاق.

فلم يفرض عليه أن يسلم فقط، بل هو كما عرض عليه أن يسلم من منطلق الإنصاف في الدعوة، ولإعطائه فرصة أخيرة لينقذ نفسه من النار، فإنه أيضاً يقدم له خياراً آخر لا يتعارض مع رغبته وطموحاته، ولا مع آرائه ومعتقداته، وهو أن يرجع عن حرب محمد والمسلمين. ثم قدم له ما يثير اهتمامه، ويقربه إلى اختيار هذه الخصلة مثيراً أمامه ما يوجب إعادة النظر في صوابية القرار الذي اتخذته في خصومته لمحمد «صلى الله عليه وآله»، مستثيراً في نفسه نوازع الطموح ومستحثاً في داخله المشاعر القبلية التي ينزع إليها، ويعتمد عليها، حين ذكر له: أنه إن يكن محمد صادقاً كان أسعد الناس به، وإن يك كاذباً كفتهم ذؤبان العرب أمره.

وفي كلمته الأخيرة تلويح يقرب من التصريح بما يراود النفوس عادة من حب السلامة والراحة والابتعاد عن المشاكل والمخاطر.

ولكن ما احتج به عمرو لاتخاذ قراره برفض هذه الخصلة الثانية ما كان غير سراب خادع ينطلق من غرور وعنجهية لا مبرر لهما، إلا روح الاستكبار والبغي والتجني والظلم الذي جره بالتالي إلى الخزي والخسران في الدنيا وفي الآخرة، وساء للظالمين بدلاً.

ولم يبق أمام أمير المؤمنين «عليه السلام» إلا أن يبادر إلى دفع غائلة هذا الظالم المتجبر فكان النصر على يديه، وكانت ضربته له التي تعدل عبادة الثقلين.

قطع رجل عمرو:

ويقول ابن شهر آشوب: «وتبادر المسلمون يكبرون، فوجدوه على فرسه برجل واحدة، يحارب علياً «عليه السلام»، ورمى رجله نحو علي، فخاف من هيبتها رجالان، ووقعا في الخندق»^(١).

وهذا النص غير معقول: وذلك لأنه إذا كان على فرسه برجل واحدة، فإنه لا يستطيع أن يأخذ رجله عن الأرض يرمي بها علياً «عليه السلام» أو غيره، لأنها حين تقطع لا بد أن يقع القسم المقطوع منها على الأرض إلا أن يكون قد فعل ذلك بعد وقوعه على الأرض.

علي عليه السلام ودرع عمرو:

لما قتل علي «عليه السلام» عمرواً، وأقبل نحو رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ووجهه يتهلل قال له عمر بن الخطاب: هلا سلبته يا علي درعه؟! فإنه ليس في العرب درع مثلها.

فقال علي «عليه السلام»: إني استحييت أن أكشف سواة ابن عمي، أو قال: ضربته فاتقاني بسواته، فاستحييت من ابن عمي أن أسلبه. وعند الحسكاني: أن النبي «صلى الله عليه وآله» سأل علياً عن سبب عدم سلبه له^(٢).

(١) مناقب آل طالب ج ٣ ص ١٣٧.

(٢) راجع: الإرشاد للمفيد ص ٦١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ وشواهد التنزيل ج ٢ ص ١٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٧ و ٢٠٤ وج ٤١ ص ٧٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٤ و ٥٣٥ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٣ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ =

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٤٥

ويقال: إنه حين جلس على صدر عمرو، يريد أن يذبحه، وهو يكبر الله ويمجده طلب منه عمرو أن لا يسلبه حلته، فقال له علي «عليه السلام»: هي عليّ أهون من ذلك، ثم ذبحه^(١).

وزعم الحلبي: أن هذا اشتباه من الرواة، وأن ذلك كان في حرب أحد مع طلحة بن أبي طلحة^(٢).

ويردّ قوله: أنه في قضية أحد كان السؤال من سعد لعلي «عليه السلام»، وفي الخندق كان السؤال من عمرو لعلي «عليه السلام»، فهما قضيتان.

ونعود فنذكر كلام المعتزلي وهو يقارن بين علي وسعد بن أبي وقاص في ذلك:

«قلت: شتان بين علي وسعد، هذا يجاحش على السلب، ويتأسف على فواته (كما في قصة أحد) وذلك يقتل عمرو بن عبد ود يوم الخندق، وهو فارس قریش وصنديدها، ومبارزه فيعرض عن سلبه، فيقال له: كيف تركت سلبه، وهو أنفـس سلب؟!».

فيقول: كرهت أن أبزّ السبي ثيابه.

فكأن حبيباً (أي أبا تمام) عناه بقوله:

= والروض الأنف ج ٣ ص ٢٨٠ ودلائل النبوة لليهقي ج ٣ ص ٤٣٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠ وخاتم النبیین ج ٢ ص ٩٣٨ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٤.

(١) كنز الفوائد للكراجكي ص ١٣٧.

(٢) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠.

١٤٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

إن الأسود أسود الغاب همتها يوم الكربة في المسلوب لا السلب^(١)
ونقول:

إننا لا نريد أن نضيف إلى ذلك شيئاً، غير أن ما يستوقنا هنا هو ما
نجدّه من حرص واهتمام ظاهر لعمر بن الخطاب بأمر الدرع كي لا تفوت
عليّاً، وكأنه يظن أنه «عليه السلام» إنما يحارب ليحصل على الغنائم
والأسلاب.

ولم يلتفت إلى أن ما يهيم عليّاً «عليه السلام» هو الدفاع عن أساس
الدين، وفتح باب الأمل على مصراعيه أمام المسلمين المهزومين نفسياً، كما
أخبر الله عنهم: ﴿إِذْ جَاؤُوكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ
الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللّهِ الظُّنُونَا، هُنَالِكَ ابْتُلِيَ
الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا...﴾.

إلى أن قال: ﴿... وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا^(٢)﴾.

أما جواب أمير المؤمنين «عليه السلام» لعمر، ففيه تأكيد منه على أنه
«عليه السلام»: لم يزل ولا يزال يتصرف وفق قواعد النبل والرجولة
والقيم، حتى في مثل هذا الموقف، الذي هو أكثر المواقف صعوبة وخطراً،
حيث تزل فيه الأقدام، وتضيق فيه المعايير والضوابط في زحمة الأهوال
والمخاطر، وفي خضم ثورات النفوس والمشاعر.

فسلام الله عليك يا أبا الحسن، يوم ولدت في الكعبة، ويوم اغتالتك يد

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٣٧.

(٢) الآيات ١٠ - ٢٥ من سورة الأحزاب.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٤٧
الإفك والحقْد في مسجد الكوفة، ويوم تبعث حياً، حيث تقف لتسقي
المؤمنين والمجاهدين من يدك على حوض الكوثر.

قتله في الله:

ولما أدرك علي «عليه السلام» عمرو بن عبد ود لم يضربه، فوقعوا في
علي «عليه السلام»، فرد عنه حذيفة، فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: مه يا
حذيفة، فإن علياً سيذكر سبب وقفته.

ثم إنه ضربه، فلما جاء سأله النبي «صلى الله عليه وآله» عن ذلك،
فقال: قد كان شتم أُمي، وتفل في وجهي، فخشيت أن أضربه لحظ نفسي،
فتركته حتى سكن ما بي، ثم قتلته في الله^(١).

ونقول:

إننا لا نشك في أن علياً «عليه السلام» لا يمكن أن يقتل عمرواً غضباً
لنفسه، وإن كان ذلك جائزاً له.. ولكنه «عليه السلام» أراد أن يتعامل مع الأمور
كما لو كان رجلاً عادياً ليتمكن أن يقدم للناس العظة والأمثلة بصورة عملية
وحية ليروا بأم أعينهم كيف يكون هو الرجل الإلهي، الذي يتعامل مع كل
الأمور من موقع المعرفة، والوعي، والثبات والتثبت، ويصل كل أعماله، ما دق
منها وقل، وما عظم وجل بالله سبحانه، ليقربه خطوة إليه.

إنه ذلك الجبل الأشم الشامخ، الذي لا تزلله الرياح العواصف، وهو الإنسان
القوي والرصين، الذي لا يثور ولا يغضب إلا لله، والله فقط، وحده لا شريك له.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ١١٥ والبحار ج ٤١ ص ٥١.

فإرادة الله ورضاه يسل سيفه، ويقا تل الأبطال، ويسحق كل جبروتهم وكبريائهم، وهو يغم د سيفه ويستسلم لإرادة الله سبحانه وامثالاً لأمره، حين يهجمون عليه في بيته، ويضربون زوجته، ويسقطون جنينها، ويحرقون عليه بيته، أو يكادون. وهو علي هنا، وهو علي هناك، ولا أحد غير علي يستطيع أن يفعل ذلك.

الوسام الإلهي:

عن ابن مسعود، وعن بهز بن حكيم، عن أبيه، قال: قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: لمبارزة علي (أو قتل علي) لعمر بن عبد ود (أو ضربة علي يوم الخندق) أفضل (أو خير) من عبادة الثقلين، أو أفضل من أعمال أمتي إلى يوم القيامة^(١).

(١) راجع النصوص التي تشير إلى ذلك في: كنز العمال ج ١٢ ص ٢١٩ وتاريخ بغداد ج ١٣ ص ١٩ ومقتل الحسين للخوارزمي ص ٤٥ ومستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٢ وتلخيصه للذهبي بهامشه، والمناقب للخوارزمي ص ٥٨ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٨ وشرح المواقف ج ٨ ص ٣٧١ وفرائد السمطين ج ١ ص ٢٥٦ وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١هـ) ج ٢ ص ١٤ والغدير عن بعض من تقدم، وعن هداية المرتاب ص ١٤٨ والتفسير الكبير للرازي ج ٣٢ ص ٣١ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ٢ ص ٣٢٣ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٢ وينابيع المودة ص ٩٤ و ٩٥ و ٩٦ وسعد السعود ص ١٣٩ والطرائف ص ٦٠ وكنز الفوائد للكرجكي ص ١٣٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٩ و ٣٢٠ وشرح المقاصد للفتنازاني ج ٥ ص ٢٩٨ وفردوس الأخبار ج ٣ ص ٤٥٥ ونفحات اللاهوت ص ٩١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ والبحار ج ٤١ ص ٩١ و ٩٦ =

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٤٩

وفي نص آخر عن ابن مسعود: أبشر يا علي، فلو وزن عملك اليوم بعمل امتي لرجح عملك بعملهم^(١)، زاد المجلسي والطبرسي قوله:

«وذلك أنه لم يبق بيت من بيوت المشركين إلا وقد دخله وهن بقتل عمرو. ولم يبق بيت من بيوت المسلمين إلا وقد دخله عز بقتل عمرو»^(٢).

تمحلات وتعصبات ابن تيمية:

وقد اعتبر ابن تيمية حديث: قتل علي لعمره أفضل من عبادة الثقلين، ونحوه، من الأحاديث الموضوعة، التي ليس لها سند صحيح، ولم يروه أحد من علماء المسلمين في شيء من الكتب التي يعتمد عليها. بل ولا يُعرف له أسناد صحيح ولا ضعيف. وهو كذب لا يجوز نسبته إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فإنه لا يجوز أن يكون قتل كافر أفضل من عبادة الجن والإنس، فإن ذلك يدخل فيه عبادة الأنبياء.

وقد قُتل من الكفار من كان قتله أعظم من قتل عمرو، مثل أبي جهل

= وج ٢٠ ص ٢٠٥ وإحقاق الحق (الملحقات) ج ٨ وج ٦ ص ٥ وج ١٦ ص ٤٠٣

عن بعض من تقدم، وعن حياة الحيوان (ط القاهرة) ص ٢٧٤ وعن المصادر

التالية: نهاية العقول (مخطوط) ص ١١٤ وروضة الاحباب للدشتكي (مخطوط)

ص ٣٢٧ وتجهيز الجيش للدهلوي (مخطوط) ص ٤٠٧ و ١٦٣ ومفتاح النجاة ص ٢٦

وتاريخ آل محمد لبهجت أفندي ص ٥٧ ومناقب علي ص ٢٦ ووسيلة النجاة ص ٨٤.

(١) ينابيع المودة ص ٩٤ وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ) ص ١٢.

(٢) راجع: مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٥ وشواهد التنزيل (ط سنة ١٤١١ هـ) ج ٢ ص ١٢ وكنز الفوائد للكرجكي ص ١٣٧.

وعقبة بن أبي معيط، وشيبة. وقصته في الخندق لم تذكر في الصحاح^(١).
أما الذهبي، فقال عن حديث: ضربة علي أفضل من عبادة الثقلين:
«قبح الله رافضياً افتراه»^(٢).
ونقول:

قد رد الحلبي استبعاده أن تكون ضربة عمرو أفضل من عبادة الثقلين
بقوله: «فيه نظر، لأن قتل هذا كان فيه نصرة للدين، وخذلان للكافرين»^(٣).
فإنه إذا كانت قد زاعت الأبصار، وبلغت القلوب الحناجر، وصاروا
يظنون الظنون السيئة بالله سبحانه. وإذا كان المسلمون قد أحجموا عن
مبارزة عمرو، خوفاً ورعباً، وكانوا كأن على رؤوسهم الطير.
وإذا كان عمرو هو فارس الأحزاب، الذين هم ألوف كثيرة، وقد
جاؤوا لاستتصال المسلمين، وهم قلة، وقد جاءهم اليهود من جانب،
وقريش من جانب، وغطفان من جانب، وكانوا في أشد الخوف على نساءهم
وذرائعهم،

وإذا كان المنافقون لا يألون جهداً في تخذيل الناس وصرفهم عن
الحرب، حتى أصبح الرسول «صلى الله عليه وآله» في قلة قليلة، لا تزيد على
ثلاث مئة رجل، بل قيل: لم يبق معه سوى اثني عشر رجلاً كما سنرى،
وإذا كان الجوع والبرد يفتكان فيهم، ويضعفان من عزائمهم..

(١) منهاج السنة ج ٤ ص ١٧١ و ١٧٢ باختصار. والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠
وسيرة الرسول (ط سنة ١٩٦٨ دار الفكر للجميع) ص ٢٢٠.
(٢) تلخيص مستدرك الحاكم للذهبي ج ٣ ص ٣٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠.
(٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٥١

نعم.. إذا كان ذلك، فمن الطبيعي: أن يكون قتل هذا الكافر فيه حياة الإسلام، وانتعاش المسلمين، وفيه خزي الأحزاب، وفشلهم، وسيأتي بعض الكلام حول: أن النصر كان بسبب قتل عمرو في الفصل التالي إن شاء الله. وأما بالنسبة لضعف سنده، وعدم ذكره في الصحاح، فلا يقلل ذلك من قيمته واعتباره إذ ما أكثر الأحاديث الصحيحة، والمتواترة التي لم تذكر في كتب الصحاح.

وقد عرفنا تحصب أصحاب الصحاح على علي «عليه السلام» وأهل بيته، وقول ابن تيمية ليس له سند ضعيف ولا صحيح، يكذبه رواية المستدرک لهذا الحديث عن بهز بن حكيم بن معاوية بن حيدة، عن أبيه، عن جده، وقد قال أبو داود: بهز بن حكيم أحاديثه صحاح^(١).

شهادة حذيفة:

قال المفيد: «روى قيس بن الربيع، قال: حدثنا أبو هرون العبدى، عن ربيعة السعدي، قال: أتيت حذيفة بن اليمان، فقلت له: يا أبا عبد الله، إنا نتحدث عن علي «عليه السلام» ومناقبه، فيقول لنا أهل البصرة: إنكم تفرطون في علي «عليه السلام». هل أنت محدثي بحديث فيه؟»

فقال حذيفة: يا ربيعة، وما تسألني عن علي «عليه السلام»! فالذي نفسي بيده، لو وضع جميع أعمال أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» في كفة الميزان، منذ بعث الله محمداً إلى يوم الناس هذا، ووضع عمل علي «عليه السلام» في

(١) خلاصة تهذيب الكمال ص ٣٨١، وراجع سائر كتب الرجال والتراجم مثل تهذيب التهذيب، وتهذيب الكمال، وغير ذلك.

الكفة الأخرى لرجح عمل علي «عليه السلام» على جميع أعمالهم.

فقال ربيعة: هذا الذي لا يقام له ولا يقعد.

فقال حذيفة: يا لكح: وكيف لا تحمل؟ وأين كان أبو بكر، وعمر، وحذيفة، وجميع أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» يوم عمرو بن عبد ود دعا إلى المبارزة، فأحجم الناس كلهم ما خلا علياً «عليه السلام»؟! فإنه برز إليه وقتله الله على يده. والذي نفس حذيفة بيده، لعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من عمل أصحاب محمد «صلى الله عليه وآله» إلى يوم القيامة^(١).

شهادات ومواقف أخرى:

شهادة أبي الهذيل والمعتزلي.

قال المعتزلي:

١ - «فأما الخرجة التي خرجها يوم الخندق إلى عمرو بن عبد ود، فإنها أجل من أن يقال: جليلة، وأعظم من أن يُقال: عظيمة.

٢ - وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهذيل، وقد سأله سائل: أبا أعظم منزلة عند الله: علي أم أبو بكر؟

فقال: يا ابن أخي، والله، لمبارزة علي عمرواً يوم الخندق تعدل أعمال

(١) الإرشاد ص ٥٥ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٥ وسيرة المصطفى ص ٥٠٤
شرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٠ و ٦١ وإعلام الوري (ط دار المعرفة)
ص ١٩٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٦ و ٢٥٧ ونهج الحق ص ٢٤٩ و ٢٥٠ وشرح
الأخبار ج ١ ص ٢٢٩ و ٣٠٠.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٥٣

المهاجرين والأنصار وطاعاتهم كلها، وتربي عليها، فضلاً عن أبي بكر وحده.

٣- وقد روي عن حذيفة بن اليمان ما يناسب هذا، بل ما هو أبلغ منه الخ...^(١).

وعن حذيفة: لو قسمت فضيلة علي «عليه السلام» بقتل عمرو يوم الخندق بين المسلمين بأجمعهم لوسعتهم^(٢).

٤ - وقال أبو بكر بن عياش: لقد ضَرَبَ علي ضربة ما كان في الإسلام أعزَّ منها - يعني ضربة عمرو بن عبد ود - ولقد ضُرِبَ علي ضربة ما ضرب الإسلام أشأم منها - يعني ضربة ابن ملجم لعنه الله^(٣).

٥ - وقال الحافظ يحيى بن آدم - عن جابر بن عبد الله الأنصاري: ما شبهت قتل علي عمرواً إلا بقوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾^(٤).

-
- (١) شرح النهج لابن أبي الحديد ج ١٩ ص ٦٠. وعنه في إحقاق الحق (الملحقات) ج ٦ ص ٨ وسيرة المصطفى ص ٥٠٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٧٣.
- (٢) شرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٤.
- (٣) شرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦١ والنص للمفيد في الإرشاد ص ٦١ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٥ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٦ و ٢٥٨ وج ٤١ ص ٩١ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٨.
- (٤) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٥ والإرشاد للمفيد ص ٦٠ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٥ ومستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٤ وتلخيصه للذهبي بهامشه، وإعلام الوری (ط دار المعرفة) ص ١٩٦ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٦ وج ٤١ ص ٩١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج ١٩ ص ٦١ و ٦٢ والمناقب للخوارزمي ص ١٠٦ وكنز الفوائد للكراجكي ص ١٣٨ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٧.

٦ - وروي أن عمرواً قال لعلي: ما أكرمك قرناً^(١).

لا نأكل ثمن الموتى:

قال ابن إسحاق - كما رواه البيهقي عنه - : وبعث المشركون إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يشترون جيفة عمرو بن عبد ود بعشرة آلاف. فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» : هو لكم، لا نأكل ثمن الموتى^(٢). وقال أبو زهرة: «ويظهر: أنه كان عظيماً بين المشركين، يعتزونه، فأرسلوا يطلبون جثمانه^(٣)».

وقد ذكرت نفس هذه الحادثة: بالنسبة لجيفة نوفل بن عبد الله بن المغيرة، ونكاد نشك في صحة ذلك. ولعل الزبيرين قد حرفوا ما جرى لجيفة عمرو ليكون لصالح جيفة نوفل وذلك بهدف تضخيم شأن نوفل، ليصبح أهم من عمرو بن عبد ود، زعماً منهم أن روايتهم المكذوبة: أن الزبير قد قتل نوفلاً قد راجت على الناس.

وسيأتي أن علياً «عليه السلام» أيضاً هو الذي قتل نوفلاً وغيره. وإن كنا نحتمل أيضاً: أن يكون بنو مخزوم قد طلبوا جيفة صاحبهم ليرفعوا من شأنه حتى لا يكون أقل من عمرو.

(١) مناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٦ والبحار ج ٤١ ص ٩٠.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٥ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٥ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠.

(٣) خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٣٨.

فرح الملائكة بقتل عمرو:

عن الصادق «عليه السلام»: لما قتل علي «عليه السلام» عمرو بن عبد ود أعطى سيفه الحسن «عليه السلام»، وقال: قل لأمك تغسل هذا الصيقل. فردّه وعلي «عليه السلام» عند النبي «صلى الله عليه وآله» وفي وسطه نقطة لم تنق، قال: أليس قد غسلته الزهراء.

قال: نعم.

قال: فما هذه النقطة؟

قال النبي «صلى الله عليه وآله»: يا علي، سل ذا الفقار يخبرك.

فهزه، وقال: أليس قد غسلتك الطاهرة، من دم الرجس النجس؟!

فأنطق الله السيف فقال: بلى، ولكنك ما قتلت بي أبغض إلى الملائكة من عمرو بن عبد ود، فأمرني ربي فشربت هذه النقطة من دمه، وهو حظي منه، فلا تتضيئني يوماً إلا ورأته الملائكة وصلت عليك^(١).

وليس لدينا ما يثبت أو ينفي صحة هذه الرواية. وحين يصعب علينا فهم بعض ما ورد فيها، فإن علينا أن نكل علم ذلك إلى أهله، ما دام أن ذلك لا يمس أساس العقيدة، ولا يؤثر على الضوابط والمرتكزات العامة للبحث العلمي الرصين.

أين المقداد وعمار؟!

وقد يقال: أين كان المخلصون الأوفياء، والأبرار الأتقياء آنئذٍ عن

(١) البحار ج ٢٠ ص ٢٤٩ و ١٥٠ والخرائج والجرائح ج ١ ص ٢١٥ و ٢١٦.

مبارزة عمرو بن عبد ود؟!

ولماذا لم يبادروا إلى إجابة طلب النبي «صلى الله عليه وآله»، لينالوا الجنة، التي وعد بها رسول الله من يبارز عمرواً؟!

ونجيب: إنه قد كانت هناك مهمات كثيرة كان لا بد من التصدي لها وإنجازها على يد أهل الإيمان، ومنها: حراسة أبواب الخندق الثمانية، وحراسة الجيش الإسلامي، ومنع جيش الأعداء من التسلل والالتفاف، ورصد جميع تحركات الأعداء، حتى لا يجدوا أنهم في فسحة من أمرهم، ويستطيعوا أن يتصرفوا كما يحلو لهم. وهذا يفرض إفراز قوات تكفي لإنجاز هذه المهمات في المواقع المختلفة ..

ولعل من يستطيع النبي «صلى الله عليه وآله» أن يطمئن لسلامة أداائهم، أو عدم تأثرهم بإغراءات العدو وتسويلاته هم أمثال عمار، والمقداد، وسلمان..

وكانت الكثرة من المقاتلين الآخرين موجودة في محضر رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان هو الذي يضبط حركتها، ويهيمن على قرارها، ويراقب مسارها..

ويفترض فيها هي: أن تتولى صد العدو، ومبارزة فرسانه، وتحطيم استكباره وإسقاط عنفوانه..

وقد واجههم عمرو بن عبد ود بالتحدي القوي، وجاءت كلمات رسول الله «صلى الله عليه وآله» لتعبر عن مدى خطورة الموقف، وأهمية الإنجاز الذي يتمثل بسحق هذا التحدي القوي،

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٥٧
الذي يتمثل بسحق هذا التحدي، من خلال قتل عمرو هذا..

وكان الطامحون والطامعون وأصحاب الدعاوى العريضة، وكذلك سائر من يلتقي معهم في الفكر، والرأي والمصالح، يتحلقون حول رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ويتصدرون مجالسه، قد فشلوا أمام أنفسهم، وأمام الناس كلهم في اتخاذ القرار الحاسم بالخروج من سجن ذواتهم وذاتياتهم وخصوصياتهم إلى آفاق الحرية في رحاب التقوى والورع، والعزوف عن الدنيا، وطلب رضا الله تبارك وتعالى..

ولذلك امتلأت قلوبهم رعباً وخوفاً من مواجهة أعداء الله، طلباً لمرضاته تبارك وتعالى، وحباً برسوله «صلى الله عليه وآله»..
فأحجموا عن هذا الأمر، حباً بالدنيا، وبادر إليه علي بن أبي طالب «عليه السلام» صفوة الخلق، وعبد الله، وأخو رسوله، بل نفسه كما صرح به القرآن الكريم.. فأنزل صلوات الله وسلامه عليه ضربته الخالدة، التي تعدل عبادة الثقلين: الجن والإنس إلى يوم القيامة. أنزلها بعدو الله عمرو بن عبد ود.. وألحقه بالفراغة والجبارين، إلى درك الجحيم.

قتل عمرو هزم بني قريظة والأحزاب:

وحين أرسل النبي «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» إلى بني قريظة قال له: «إن الذي أمكنك من عمرو بن عبد ود، لا يخذلك»^(١).
قال علي «عليه السلام»: «فاجتمع الناس إلي، وسرت حتى دنوت من

(١) الإرشاد للمفيد ص ٥٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦١ وج ٤١ من ٩٥ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٤٥.

١٥٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

سورهم، فأشرفوا عليّ، فلما رأوني صاح صائح منهم: قد جاءكم قاتل عمرو، وقال آخر: قد أقبل إليكم قاتل عمرو.

وجعل بعضهم يصيح ببعض، ويقولون ذلك، وألقى الله في قلوبهم الرعب، وسمعت راجزاً يرتجز:

قتل علي عمروا صاد علي صقرا
قصم علي ظهرا أبرم علي أمرا
هتك علي سترا

فقلت: الحمد لله الذي أظهر الإسلام وقمع الشرك^(١).

وكما كان قتل عمرو سبباً لهزيمة بني قريظة فإنه كان أيضاً سبباً لهزيمة الأحزاب كما سيأتي.

وقد أقنع قتله وقتل ابنه ونوفل بن عبد الله، أقنع قريشاً ومن معها: أن أية مغامرة من هذا القبيل سيكون مصيرها الفشل الذريع، والخيبة القاتلة. وسيأتي في أواخر الفصل التالي نصوص تدل على أن قتل عمرو ومن معه كان سبب هزيمة الأحزاب فانتظر.

الخوارج وحديث قتل عمرو:

كنا نتوقع كل شيء من أعداء علي عليه الصلاة والسلام، إلا أننا لم نتوقع أبداً أن يشككوا في قتل علي «عليه السلام» لعمر بن عبد ود.

(١) الإرشاد للمفيد ص ٥٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦١ و ٢٦٢ وج ٤١ ص ٩٥ و ٩٦

ومناقب آل طالب ج ٣ ص ١٤٥.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٥٩

وقد ألفت نظري الحاكم النيسابوري، وهو يورد في مستدركه أحاديث صحيحة تثبت قتل علي «عليه السلام» لعمر، فتساءلت في نفسي عن الداعي لإيراد أحاديث في أمر هو من أوضح الواضحات وأجلاها، وإذا به هو نفسه يصرح بسبب ذلك، ويبين لنا: أن أعداء علي قد حاولوا التشكيك حتى بهذا الأمر، فهو يقول:

«قد ذكرت في مقتل عمرو بن عبدود من الأحاديث المسندة، ومما عن عروة بن الزبير، وموسى بن عقبة، ومحمد بن إسحاق بن يسار ما بلغني، ليتقرر عند المصنف من أهل العلم: أن عمرو بن عبدود لم يقتله، ولم يشترك في قتله غير أمير المؤمنين علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

وانما حملني على هذا الاستقصاء فيه قول من قال من الخوارج: أن محمد بن مسلمة أيضاً ضربه ضربة، وأخذ بعض السلب.

والله، ما بلغنا هذا من أحد من الصحابة والتابعين رضي الله عنهم. وكيف يجوز هذا وعلي رضي الله عنه يقول ما بلغنا: إني ترفعت عن سلب ابن عمي، فتركته. وهذا جوابه لأمر المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه بحضرة رسول الله «صلى الله عليه وآله» انتهى.

متى قتل عمرو؟:

أما متى قتل عمرو، فإن اليعقوبي يقول: إن قتله كان بعد مضي خمسة أيام من الحصار^(١).

(١) مستدرك الحاكم ج ٣ ص ٣٤.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠.

١٦٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

لكن آخرين يقولون: إن ذلك كان بعد مضي بضع وعشرين ليلة منه^(١).
وفريق ثالث يقول: بعد مضي شهر من الحصار^(٢).

ونحن نستقرب هذا الأخير: وذلك لما تقدم من أن الحصار قد دام شهراً.
وقد علمنا أن قتل عمرو، كما سيأتي في أواخر الفصل التالي، كان سبب هزيمة
الأحزاب بالإضافة إلى الريح العاتية التي أرسلها الله تعالى عليهم.

قتل حسل بن عمرو بن عبد ود:

قال ابن هشام: حدثني الثقة أنه حدث عن ابن شهاب الزهري، أنه
قال: قتل علي بن أبي طالب يومئذ عمرو بن عبد ود، وابنه حسل بن عمرو.
قال ابن هشام: عمرو بن عبد ود، يقال: عمرو بن عبد^(٣).

قتل نوفل بن عبد الله:

قد ادّعت بعض الرويات: أن الزبير بن العوام هو الذي قتل نوفل بن
عبد الله فهي تقول: «رجع المشركون هاريين، وخرج في آثارهم الزبير وعمر

(١) الإرشاد للمفيد ص ٥٧ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٣ وإعلام الوري
ص ٩١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٢ و ٢٥١ و ٢٥٣
وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٦.

(٢) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٢ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٦٥.

(٣) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٥ وراجع: سيرة المصطفى ص ٥٠٢ و ٥٠٣
عنه والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٢ والعبر
وديون المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٢ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ١٩٨ و
١٩٨ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ وراجع: نهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٩.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٦١
بن الخطاب، فناوشوهم ساعة، وحمل الزبير بن العوام على نوفل بن عبد الله
بالسيف، حتى شقه باثنين، وقطع أبدوج (أو أندوج) سرجه، حتى خلص
إلى كاهل الفرس.

فقال: يا أبا عبد الله، ما رأينا سيفك!!.

فقال: والله، ما هو السيف، ولكنها الساعد^(١).

وذكر البعض: أن نوفلاً سأل المبارزة، فبارزه الزبير، فشقه باثنتين،
حتى فل في سيفه فلاً، وانصرف، وهو يقول:

إنني امرؤ أحمي وأحتمي عن النبي المصطفى الأمي^(٢)

لكن نصاً آخر يقول: إنه لما وقع نوفل في الخندق، وجعل المسلمون
يرمون، وطلب أن ينزل بعضهم إليه ليقاتله، فقتله الزبير بن العوام^(٣).

وفي الوفاء: بارزه الزبير، فقتله، ويقال قتله علي، ورجعت بقية الخيول
منهزمة^(٤).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٥ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧١ و ٤٧٢ لكنه

ذكره بلفظ يقال، وراجع المصادر التالية: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧
وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٨ وفيه: عثمان بن عبد الله.

(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ وراجع: الرسول العربي وفن الحرب ص ٢٤٩
ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٤ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣٧ والسيرة النبوية
لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٦، وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠.

(٣) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٥.

(٤) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٣ وراجع: فتح الباري ج ٧
ص ٣٠٧ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧.

١٦٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

قال دحلان: «ويمكن أن علياً والزبير رضي الله عنهما اشتركا في قتله»^(١).

ونقول:

إننا نشك في ذلك كثيراً، وذلك للأمور التالية:

- ١ - إن البعض ينسب قتل نوفل إلى المسلمين، فهو يقول عن عمرو: «ودنا منه علي، فلم يكن بأسرع من أن قتله علي، فولى أصحابه الأدبار، وسقط نوفل بن عبد الله عن فرسه في الخندق، فرمي بالحجارة حتى قتل»^(٢).
- ٢ - وقال البلاذري وغيره: «ونجا أصحاب عمرو إلا رجلاً سقط في الخندق، فتكسر، ورماه المسلمون حتى مات»^(٣).
- ٣ - أما ابن الأثير فقد حاول أن يبهם الأمر، حيث قال: «وقتل مع عمرو رجلان، قتل علي أحدهما، وأصاب الآخر سهم مات منه بمكة»^(٤). فإذا عرفنا: أن مقصوده بالرجل الآخر الذي قتله علي ليس هو حسل بن عمرو، لأن كثيراً من المؤرخين سكتوا عن ذكره، وهم مجمعون على قتل نوفل بن عبد الله،

(١) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧.

(٢) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥.

(٣) أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ عن معالم التنزيل، وراجع: عيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ عن ابن عائذ. وراجع أيضاً: المواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ و ٣٢٠. وراجع كذلك: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٩ عن ابن أبي شيبه.

(٤) الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٢.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٦٣
 وعرفنا أيضاً: أن الذي أصابه سهم فمات منه بمكة هو - كما سيأتي -
 منبه بن عثمان، أو عثمان بن أمية بن منبه^(١)،
 فإننا نعرف أنه يقصد بالذي قتله علي هو نوفل بن عبد الله بالذات.
 وثمة فريق آخر يقول بصراحة: إن علياً «عليه السلام» هو الذي قتل نوفلاً.
 ٤ - قال اليعقوبي: «وكبا بنوفل بن عبدالله بن المغيرة فرسه، فلحقه علي
 فقتله»^(٢).

وقال الطبرسي، وابن كثير، والطبري: إنه لما تورط في الخندق جعل
 يقول: قتلة أحسن من هذه يا معشر العرب، فنزل إليه علي فقتله، وطلب
 المشركون رمته، فمكنهم من أخذه^(٣).
 وذكرت بعض المصادر: أنه «عليه السلام» ضربه بالسيف فقطعه

(١) ستأتي مصادر ذلك حين الكلام عن عدد الشهداء من المسلمين، والقتلى من
 المشركين، وأواخر الفصل التالي إن شاء تعالى.

(٢) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وراجع: بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٦.
 (٣) راجع: تاريخ الأمم والملوك (ط مطبعة الإستقامة) ج ٢ ص ٢٤٠ وسبل الهدى
 والرشاد ج ٤ ص ٥٣٦ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ و ٤٨٨ ومناقب آل أبي
 طالب ج ٣ ص ١٣٧ والبحار ج ٤١ ص ٩٠ وخاتم النبیین ج ٢ ص ٩٣٨ والبدایة
 والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥ وراجع ص ٣٢٠ وسيرة
 المصطفى ص ٥٠٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٧٤ ومحمد رسول الله، لمحمد رضا
 ص ٢٣١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ و ٥ وشرح النهج للمعزلي ج ١٩
 ص ٦٤ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٧ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٢ والسيرة النبوية
 لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٦ والإرشاد للمفيد ص ٦٠ وكشف الغمة للأربلي ج ١
 ص ٢٠٤ وإعلام الوری ص ١٩٥.

١٦٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١
نصفين^(١).

وذكر ابن إسحاق: أن علياً طعنه في ترقوته حتى أخرجها من مراقه،
فمات في الخندق^(٢).

٥ - هذا كله، عدا عن أن الشعر المنسوب إلى الزبير أنه قاله في هذه
المناسبة غير مستقيم الوزن، فليلاحظ ذلك.
وأخيراً:

فإننا نذكر القارئ الكريم بأن هؤلاء الناس قد عودونا أن يغيروا على
فضائل علي وعلى مواقفه «عليه السلام»، وينسبونها لغيره، ممن لهم فيه هوى،
ولو لم يستطع أن يسجل حتى موقفاً رسالياً وجهادياً واحداً طيلة حياته.

إنما هي جيفة حمار:

وأرسلت بنو مخزوم يطلبون جيفة نوفل بن عبد الله، يشترونها، وأعطوا
فيها عشرة آلاف درهم، فقال «صلى الله عليه وآله»: إنها هي جيفة حمار،
وكره ثمنه، فخلى بينهم وبينه^(٣).

-
- (١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ و ٤٨٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥.
(٢) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٣ ودلائل النبوة ج ٣ ص ٤٣٨ عن ابن إسحاق والسيرة
النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٥ و ٢٥٦ وج ٤١ ص ٩٠
والإرشاد للمفيد ص ٥٩ و ٦٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤
ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٧.
(٣) إمتاع الأسع ج ١ ص ٢٣٤ وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٧ والمغازي
للواقدي ج ٢ ص ٤٧٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٥. وراجع: عيون الأثر ج ٢ =

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٦٥
وقال البعض: إنهم عرضوا الدية، فقال «صلى الله عليه وآله»: إنه
خبيث الدية، فلعنه الله ولعن ديته، فلا إرب لنا في ديته، ولسنا نمنعكم أن
تدفنوه^(١).

وفي رواية أخرى: أنهم عرضوا اثني عشر ألفاً ثمناً لجسد رجل من
المشركين يوم الأحزاب^(٢).

ونص آخر يقول: إن أبا سفيان هو الذي بعث بديته مئة من الإبل^(٣).

ولهذا الحديث نصوص مختلفة، فلترجع في مصادرها^(٤).

وبعد هذا، فلا يمكن الاعتماد على رواية الحاكم عن ابن عباس، قال:
قتل رجل من المشركين يوم الخندق فطلبوا أن يواروه فأبى رسول الله «صلى

= ص ٦٠ وحديث العشرة آلاف موجود في السيرة النبوية لابن هشام ج ٣
ص ٢٦٥ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٥.

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٦ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣
وراجع: عيون الأثر ج ٢ ص ٦٠ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٤ وخاتم
النبيين ج ٢ ص ٩٣٨.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٠ وتاريخ الإسلام (المغازي) للذهبي ص ٢٤٧
و ٢٤٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٣٠٥ و ٣٠٦.

(٣) راجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٤ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٩ عن ابن أبي
شيبه.

(٤) راجع بالإضافة إلى جميع المصادر المتقدمة ما يلي: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٠
وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ و ٤٩٢ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٠٦ وشرح
بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٧ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥٢.

الله عليه وآله» حتى أعطوه الدية^(١).

فإنها رواية لا تصح بأي وجه.

الزبير وهبيرة بن وهب:

يقول القمي: إنه بعد أن قتل علي «عليه السلام» عمرواً «بعث رسول الله «صلى الله عليه وآله» الزبير إلى هبيرة بن وهب، فضربه على رأسه ضربة ففلق هامته^(٢)».

وتقول رواية أخرى: أدرك الزبير هبيرة بن أبي وهب، فضربه، فقطع ثفر^(٣) فرسه، وسقطت درع كانت عليه، فأخذها الزبير^(٤).

ونص ثالث يقول: ومر عمر بن الخطاب في أثر القوم، فناوشهم ساعة وسقطت درع هبيرة بن أبي وهب، فأخذها الزبير^(٥).

وهبيرة هو زوج أم هاني أخت علي وأبو أولادها وكان فارس قريش

(١) مستدرک الحاکم ج ٣ ص ٣٢ وتلخيصه للذهبي (مطبوع بهامشه) وقالوا: إنه حديث صحيح.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٨.

(٣) الثفر: سير في مؤخر السرج (والسير: قطعة مستطيلة من الجلد).

(٤) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠

وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٥ والرسول العربي وفن الحرب ص ٢٤٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧.

(٥) إمتاع الأسعاع ج ١ ص ٢٣٢.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٦٧
كما يقولون^(١).

نحن نشك في صحة ذلك، وذلك استناداً إلى ما يلي:

١ - لو كان الزبير قد ضرب هبيرة بالسيف حتى فلق هامته، فاللزام أن يكون قد قُتل، مع أن الجميع متفقون على أنه لم يقتل آنئذٍ.

٢ - قد ذكرت بعض النصوص: أن علياً لحق هبيرة فأعجزه، وضرب قربوس سرجه، فسقطت درع كانت عليه وفر عكرمة، وهرب ضرار^(٢).

٣ - ويفصل ذلك نص آخر، فيقول: ثم حمل ضرار بن الخطاب وهبيرة على علي، فأقبل علي عليهما. فأما ضرار فولى هارباً ولم يثبت، وأما هبيرة فثبت أولاً، ثم ألقى درعه وهرب. وكان فارس قریش وشاعرها^(٣).

وسئل ضرار عن سبب فراره، فقال: خيل إلي أن الموت يريني صورته^(٤).

٤ - قد اعتذر هبيرة بن أبي وهب عن فراره من وجه علي «عليه

السلام»، فقال:

لعمرك ما وليت ظهراً محمداً وأصحابه جنأً ولا خيفة القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أجد لسيفي غناءً إن وقفت ولا نبلي
الخ...

(١) راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣١٨ و ٣٢٠ و ٣٢١.

(٢) راجع: الإرشاد للمفيد ص ٦٠ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٤ والبحار

ج ٢ ص ٢٥٤ و ٢٥٦ و راجع: إعلام الوري ص ١٩٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ و ٤٨٨ عن روضة الأحباب.

(٣) راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١.

(٤) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧.

١٦٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١
ويؤيد قولهم بأن الفرسان قد هاجموا علياً بعد قتله عمرواً، قوله «عليه السلام»:

أعلي تقتحم الفوراس هكذا عني وعنهم أخروا أصحابي
ولعل مواجهة هبيرة لعلي «عليه السلام» ولو للحظات جعلته يستحق
وسام فارس قریش وشاعرها.

٥- ثم إننا لم نفهم السبب في أن اللذين خرجا في أثر الهارين هما الزبير وعمر
فقط؟! وأين كان عنهم سائر فرسان المسلمين؟ ولماذا لم يتبعهم علي نفسه؟!

واحدي يا رسول الله:

وروى ابن أبي شيبه من مرسل عكرمة: أن رجلاً من المشركين قال يوم
الخنندق: من يبارز.

فقال النبي «صلى الله عليه وآله»: قم يا زبير.

فقال صفيّة بنت عبد المطلب: واحدي يا رسول الله.

فقال: قم يا زبير.

فقام الزبير فقتله. ثم جاء بسلبه إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فنقله إياه^(١).

ونقول: إننا نشك في صحة هذه الرواية.

أولاً: لأن صفيّة كانت مع النساء في حصن حسان حسبما تقدم، فما
الذي جاء بها إلى ساحة القتال، في هذه الساعة الحساسة والحاسمة بالذات؟
وهل كان «صلى الله عليه وآله» يسمح للنساء بالتردد إلى ساحة الحرب؟!.

(١) فتح الباري ج ٧ ص ٣١٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ وكتر العمال ج ١٠ ص ٢٨٩.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٦٩
ثانياً: إن هذا الحديث مرسل، وهو ينتهي أيضاً إلى عكرمة المعروف
بالكذب والوضع، وقد تحدثنا عن بعض حاله في كتابنا: «أهل البيت في آية
التطهير» فليراجع.

ثالثاً: إننا نستبعد أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد خص الزبير
بالطلب إليه أن يبارز ذلك الرجل، وهو قبل قليل قد طلب التطوع من
المسلمين بمبارزة عمرو. فما هذه السياسة، وما هي مبرراتها يا ترى؟!

عمر وضرار بن الخطاب:

قال المعتزلي: «وناوش عمر بن الخطاب ضرار بن عمرو، فحمل عليه
ضرار حتى إذا وجد مس الرمح رفعه عنه، وقال: إنها لنعمة مشكورة،
فاحفظها يا ابن الخطاب، إني كنت آليت أن لا تمكنني يداي من قتل قرشي،
فأقتله. وانصرف ضرار راجعاً إلى أصحابه»^(١) وهم عند جبل أبي عبيد.
وفي نص آخر: ذكر حملة الزبير وعمر بقية أصحاب عمرو، وقد كان
ضرار يفر، وعمر يشتد في أثره. فكر ضرار راجعاً، وحمل على عمر بالرمح
ليطعنه ثم أمسك وقال:
«يا عمر، هذه نعمة مشكورة أثبتها عليك، ويدٌ لي عندك غير مجزي بها
فاحفظها»^(٢).

(١) شرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤ والبحار ج ٢٠ ص ٢٧٤ عنه والمغازي
للواقدي ج ٢ ص ٤٧١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ والسيرة
النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧.

١٧٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

لكن القمي ذكر للرواية نصاً آخر، فقال: «أمر رسول الله صلى الله عليه وآله» عمر بن الخطاب أن يبارز ضرار بن الخطاب، فلما برز إليه ضرار انتزع له عمر سهماً.

فقال ضرار: ويحك يا بن صهاك، أترميني في مبارزة؟ والله، لئن رميتني لا تركت عدوياً بمكة إلا قتلته.

فانهزم عنه عمر، ومرو نحوه ضرار، وضربه على رأسه بالقناة، ثم قال: احفظها يا عمر، فإنني آليت أن لا أقتل قرشياً ما قدرت عليه. فكان عمر يحفظ له ذلك بعد ما ولي، فولاه^(١).

ونشير نحن هنا إلى ما يلي:

ألف: إن من الممكن أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد أمر عمر بمبارزة ضرار، أثناء مبارزة علي «عليه السلام» لعمر، فحمل عليه ضرار، حتى إذا وجد مس الرمح رفعه وقال له مقاتلته تلك. ثم لما قتل عمرو وحسل وهجم علي «عليه السلام» على ضرار وهيرة ونوفل فهربوا، عاد وقتل نوفلاً.

ب: إننا لا نصدق أن يكون ضرار قد فر من عمر، لأن ضراراً يعرف عمر ومدى شجاعته، إلا أن يكون فر من السهم الذي حاول عمر أن يرميه به، ثم عاد فهاجم عمر، وجرى بينهما ما جرى.

ج: إن هذه القضية قد حدثت أيضاً بين ضرار وبين عمر في غزوة أحد، وقال له نفس هذه المقالة المذكورة عنه آنفاً، وقد ذكرهما الواقدي في

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٨ عنه.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٧١
كتاب المغازي.

وحسب نص الحلبي: إنه ضرب عمر بالقناة ثم رفعها وقال: ما كنت لأقتلك يا ابن الخطاب^(١).

د: إننا نجد عمر يهتم بأمر ضرار بصورة ملفتة للنظر، فقد ذكر القمي: أنه ولاء - وقد تقدم - كما أنه حين قال عبد الرحمن بن عوف لرباح وهم في طريق مكة: غننا.

قال له عمر: إن كنت آخذاً فعليك بشعر ضرار بن الخطاب^(٢). وهذا التعظيم لضرار قد سرى إلى الآخرين حتى قالوا عنه: إنه فارس قریش وشاعرهم^(٣). ولعلهم أعطوه هذا الوسام لأنه أراد أن يقدم على علي ثم هرب.

عمر ليس أخا ضرار:

وقد قال البعض: إن ضرار بن الخطاب كان أخاً لعمر بن الخطاب^(٤). وهذا غير صحيح: فإن عمر بن الخطاب كان من بني عدي، أما ضرار فكان من بني فهر، وشتان ما بينهما. والذي أوجب الغلط لدى هؤلاء هو أن أبويهما كان اسمهما الخطاب، فتخيلوا أن الخطاب رجل واحد.

(١) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ وراجع: شرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٤ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٤ عنه، والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ و ٨.

(٢) الإصابة ج ٢ ص ٢٠٩.

(٣) الاستيعاب مطبوع بهامش الإصابة ج ٢ ص ٢١٠.

(٤) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١.

الآن نغزوهم ولا يغزونا:

قال المفيد «رحمه الله»: «فتوجه العتب إليهم، والتوبيخ والتقريع والخطاب، ولم ينجم من ذلك أحد بالاتفاق إلا أمير المؤمنين «عليه السلام»، إذ كان الفتح له وعلى يديه، وكان قتله عمرواً ونوفل بن عبد الله سبب هزيمة المشركين. وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد قتله هؤلاء النفر: الآن نغزوهم ولا يغزونا»^(١).

الأشعار في غزوة الخندق

هناك أشعار كثيرة في مناسبة غزوة الخندق نختار باقية منها وهي التالية:

عن علي «عليه السلام» أنه قال:

وكانوا على الإسلام إلباً ثلاثة فقد خر من تلك الثلاثة واحد
وفر أبو عمرو وهيرة لم يعد ولكن أخو الحرب المجرب عائد
نهتهم سيوف الهند أن يقفوا لنا غداة التقينا والرماح مصائد
وعنه «عليه السلام»:

الحمد لله الجميل المفضل المسبغ المولي العطاء المجزل
شكراً على تمكينه لرسوله بالنصر منه على الفؤاد الجهل
كم نعمة لا أستطيع بلوغها جهداً ولو أعملت طاقة مقول
لله أصبح فضله متظاهراً منه علي سألت أم لم أسأل

(١) الإرشاد للمفيد ص ٦٢. وستأتي فقرة: الآن نغزوهم ولا يغزونا، مع ما لها من

مصادر في أواخر الفصل التالي إن شاء الله تعالى.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٧٣

قد عاين الأحزاب من تأييده جند النبي وذو البيان المرسل
ما فيه موعظة لكل مفكر إن كان ذا عقل وإن لم يعقل

وعنه «عليه السلام» مخاطباً لعمر بن عبد ود:

يا عمرو قد لاقيت فارس بهمة عند اللقاء معاود الأقدام
من آل هاشم من سناء باهر ومهذبين متوجين كرام
يدعو إلى دين الإله ونصره وإلى الهدى وشرائع الإسلام
بمهند غضب رقيق حده ذي رونق يقري الفقار حسام
ومحمد فينا كأن جبينه شمس تجلت من خلال غمام
والله ناصر دينه ونبيه ومعين كل موحد مقدم
شهدت قريش والقبائل كلها أن ليس فيها من يقوم مقامي^(١)
وروي أنه لما قتل عمرو أنشد:

ضربته بالسيف فوق الهامة بضربة صارمة هدامة
أنا علي صاحب الصمصامة وصاحب الخوض لدى القيامة
أخو رسول الله ذي العلامة قد قال إذ عممني عمامة
أنت الذي بعدي له الإمامة^(٢)

(١) راجع المقطوعات الثلاثة المتقدمة في: البحار ج ٢٠ ص ٢٧٩ و ٢٨٠ و ج ٤١

ص ٨٩ و ٩١ و ٩٠ عن ديوان علي أمير المؤمنين «عليه السلام» ص ٤٦ و ١٠٩ و

١١٠ و ١٢٦ و ١٢٧ والمناقب لابن شهر آشوب ج ٣ ص ١٣٦ و ١٣٧.

(٢) البحار ج ٤١ ص ٨٨.

وقال حسان بن ثابت:

أمسى (الفتى) عمرو بن عبد يتيغي بجنوب يشرب عادة لم تنظر
ولقد وجدت سيوفنا مشهورة ولقد وجدت جياندا لم تقصر
ولقد رأيت غداة بدر عصابة ضربوك ضرباً غير ضرب المحسر
أصبحت لا تدعى ليوم عظيمة يا عمرو أو لجسيم أمر منكراً^(١)
قال ابن هشام: وبعض أهل العلم ينكرها لحسان فأجابه فتى من بني عامر:

كذبتهم وبيت الله لا تقتلوننا ولكن بسيف الهاشمين فافخروا
بسيف ابن عبد الله أحمد في الوغا بكف علي نلتهم ذاك فاقصروا
ولم تقتلوا عمرو بن عبد يباسكم ولكنه الكفو الهزبر الفضنفر
علي الذي في الفخر طال بناؤه فلا تكثرُوا الدعوى علينا فتحقروا
ببدر خرجتم للبراز فردكم شيوخ قريش جهرة وتأخروا
فلما أتاهم حمزة وعبيدة وجاء علي بالمهند يخطر
فقالوا: نعم أكفاء صدق فأقلبوا إليهم سراعاً إذ بغوا وتجبروا
فجال علي جولة هاشمية فدمرهم لما عتوا وتكبروا

(١) الإرشاد للمفيد ص ٥٦ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٩ وج ٤١ ص ٩٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٨١ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٦ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٩٠ والبيت الأول فيه وفي البحار عن الإرشاد هكذا:

أمسى الفتى عمرو بن عبد ناظراً كيف العبور وليته لم ينظر

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٧٥
 فليس لكم فخر علينا بغيرنا وليس لكم فخر نعد ونذكر^(١)
 وروي أن علياً عليه السلام لما قتل عمرو لم يسلبه، وجاءت أخت عمرو
 حتى قامت عليه فلما رأته غير مسلوب سلبه قالت: ما قتله إلا كفؤ كريم، ثم
 سألت عن قاتله، قالوا: علي بن أبي طالب، فأنشأت هذين البيتين^(٢):
 ولكن نصاً آخر يقول: لما نعي عمرو إلى أخته قالت: من ذا الذي اجتراً
 عليه؟!

فقالوا: ابن أبي طالب.

فقالت: لم يعد موته إلا على يد كفؤ كريم. لأرقأت دمتي إن هرقتها عليه.
 قتل الأبطال، وبارز الأقران، وكانت منيته على يد كفؤ كريم من قومه.
 وفي لفظ آخر: «على يد كريم قومه» ما سمعت بأفخر من هذا يا بني
 عامر. ثم أنشأت تقول:

لو كان قاتل عمرو غير قاتله لكنت أبكي عليه آخر الأبد
 لكن قاتل عمرو لا يعاب به من كان يدعى قديماً بيضة البلد^(٣)
 وقال المعتزلي: «فأما قتلاه، فافتخار رهطهم بأنه «عليه السلام» قتلهم
 أظهر وأكثر، أخت عمرو بن عبد ود ترثيه:

(١) الإرشاد للمفيد ص ٥٦ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٦ والبحار ج ٢٠
 ص ٢٥٩ وج ٤١ ص ٩٩.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٢.

(٣) الإرشاد للمفيد ص ٥٧ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٩ وكشف الغمة ج ١
 ص ٢٠٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦٠ وج ٤١ ص ٧٣ و ٩٧.

١٧٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

لو كان قاتل عمرو غير قاتله
لكن قاتله من لا نظير له
وقالت أيضاً في ذلك:

أسدان في ضيق المكر تصاولا
فتخالسا مهج النفوس كلاهما
وكلاهما حضر القراع حفيظة
فأذهب علي فما ظفرت بمثله
والشار عندي يا علي فليتني
ذلت قريش بعد مقتل فارس
وكلاهما كفؤ كريم باسل
وسط المدار مخاتل ومقاتل
لم يشنه عن ذاك شغل شاغل
قول سديد ليس فيه تحامل
أدركه والعقل مني كامل
فالذل مهلكها وخزي شامل

ثم قالت: والله، لا تأثر قريش بأخي ما حنت النيب^(١).

وقال مسافع بن عبد مناف يكي عمرو بن عبد ود، لما جزع المذاذ، أي
قطع الخندق:

عمرو بن عبد كان أول فارس
جزع المذاذ وكان فارس مليل^(٢)
إلى أن قال:

سأل النزال هناك فارس غالب
بجنوب سلع ليته لم ينزل

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١ ص ٢٠ والبيتان في لسان العرب أيضاً ج ٨ ص ١٩٥ وفيه: بكيته ما أقام الروح في جسدي. وراجع مستدرک الحاكم ج ٣ ص ٣٣.

(٢) الإرشاد للمفيد ص ٥٧ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٩ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦٠ وج ٤١ ص ٩٨.

(٣) الصحيح: يليل، وهو واد ببدر.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٧٧
فاذهب علي ما ظفرت بمثلها فخرأ ولو لا قيت مثل المعضل
نفي الفداء لفارس من غالب لاقى حمام الموت الخ ..^(١)
وعند ابن هشام: تسل النزال علي فارس غالب.

وقال هبيرة بن أبي وهب المخزومي، يعتذر من فراره عن علي بن أبي
طالب وتركه عمروأ يوم الخندق، ويبيكه:
لعمرك ما وليت ظهراً حمداً وأصحابه جنباً ولا خيفة القتل
ولكنني قلبت أمري فلم أجد لسيفي عناء إن وقفت ولا نبلي
إلى أن يقول:

كفتك علي لن ترى مثل موقف وقفت على شلو المقدم كالفحل
فما ظفرت كفاك يوماً بمثلها أمنت بها ما عشت من زلة النعل^(٢)
وقال هبيرة بن أبي وهب يرثي عمروأ، ويبيكه:

لقد علمت علياً لأبي غالب لفارسها عمرو إذ ناب نائب
وفارسها عمرو إذا ما يسوقه^(٣) علي، وإن الموت لا شك طالب
عشية يدعوه علي وإنه لفارسها إذ خام عنه الكتائب

(١) راجع: شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٨٨ وذكرها في آخر العثمانية
ص ٣٣٦ عنه، وراجع: مجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٢ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٣
والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٧٨ و ٢٧٩.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ٣ ص ٢٨٩ و عيون الأثر ج ٢ ص ٦٧ والسيرة
النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٨٠ والملحق بالعثمانية ص ٣٣٦.

(٣) وفي نسخة (يسومه).

فيا لهف نفسي إن عمرواً لكائن
لقد أحرز العلياً علي بقتله
وقال حسان:

لقد شقيت بنو جمح بن عمرو
وعمره كالحسام فتى قریش
فتى من نسل عامر أرمي
دعاه الفارس المقدام لما
أبو حسن فقتله حساماً
فغادره مكباً مسلحاً
وغزوم وتيم ما نقييل
كان جبينه سيف صقيل
تطاوله الأسنة والنصول
تكشفت المقانب والخيول
جرازاً لا أفل ولا نكول
على عفراء لا بعد القتيل^(١)

وقال مسافع يؤنب الفرسان الذين كانوا مع عمرو، فأجلوا عنه وتركوه:

عمرو بن عبد والحياد يقودها
أجلت فوراسه وغادر رهطه
عجباً وإن أعجب فقد أبصرته
لا تبعدن فقد أصبت بقتله
وهبيرة المسلوب ولي مدبراً
عند القتال مخافة أن يقتلوا
خيل تقادله وخيل تنعل
ركناً عظيماً كان فيها أول
مهما تسوم علي عمرواً ينزل
ولقيت قبل الموت أمراً يثقل
عند القتال مخافة أن يقتلوا

(١) المصدر السابق ج ٣ ص ٢٨٩ و ٢٩٠ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٨١
والملاحق بالعثمانية ص ٣٣٧.

(٢) مسلح: منطوح. والأبيات في شرح نهج البلاغة للمعتزلي، ج ١٣ ص ٢٩٠
والملاحق بالعثمانية ص ٣٣٧.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٧٩

وضرار كان الباس منه محضراً ولى كما ولى اللئيم الأعزل^(١)

قال ابن هشام: بعض أهل العلم بالشعر ينكرها له. وقال حسان بن ثابت يفتخر بقتل عمرو بن عبد ود:

بقيتكم عمرو أبحناء بالقنا بيثرب نحمي والحماة قليل
ونحن قتلناكم بكل مهند الخ..

قال ابن هشام: وبعض أهل العلم بالشعر ينكرها لحسان^(٢).

وروى المعتزلي عن بعض شعراء الإمامية قوله:

إذ كنتم ممن يروم لحاقه فهلا برزتم نحو عمرو ومرحب^(٣)
ولا ننسى هنا قول الأذري «رحمه الله»:

فانتضى مشرفيه فتلقى ساق عمرو بضربة فبراها
وإلى الحشر رنة السيف منه يملأ الخافقين رجع صداها
يا لها ضربة حوت مكرمات لم يزن ثقل أجرها ثقلها
هذه من علاه إحدى المعالي وعلى هذه فقس ما سواها

المكر المفضوح:

إن من يلاحظ سيرة ابن هشام، التي ادّعى أنها تلخيص لسيرة ابن إسحاق، ويقارن بينها وبين ما وصل إلينا من سيرة ابن إسحاق، من طرق

(١) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٨٠.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٣٨١.

(٣) شرح النهج للمعتزلي ج ٥ ص ٧.

الآخرين يجد: أن ابن هشام لم يكن يريد مجرد تلخيص سيرة ذلك الرجل العلامة الخبير والمعتمد في شأن السيرة النبوية الشريفة.

بل أراد أيضاً: أن يستبعد نصوصاً ذات طابع معين رأى أن الاحتفاظ بها يضر ببعض الاتجاهات، أو يضع علامة استفهام كبيرة عليها.

وهذا الأمر: يضع عمل ابن هشام في السيرة في عداد الأعمال الخيانية بالنسبة للحق وللحقيقة، من منطلق تعصب مذهبي بغض ومقبت.

والذي يلاحظ تعليقات ابن هشام على الأشعار المتقدمة يجد: أنه يحاول التشكيك في خصوص ذلك النوع من الشعر الذي يمقته ويغضه، ولا يطيقه، فيدعي أن أكثر أهل العلم ينكره لحسان، أو لعلي، أو لمسافع الخ..

رغم أننا لم نعر ولو على رجل واحد قد أنكر أياً من تلك المقطوعات، أو شكك في نسبتها لأصحابها. ما عدا أولئك الذين لا وجود لهم إلا في خيلة ابن هشام.

ولا نريد بعد هذا أن نسأل ابن هشام ولا غيره: عن سبب تشكيكهم ذاك. فإننا لن نسمع منه جواباً مقنعاً ولا مقبولاً، مهما طال بنا الانتظار.

تعصب يشير الغثيان:

كنا نتوقع كل شيء من التجني، والافتراء، والتحريف للحقائق الثابتة، بدافع من الحقد والتعصب ضد علي وأهل بيته «عليهم السلام»، إلا أننا لم نتوقع أن يتجاهل هؤلاء الحاقدون الأغبياء مواقف وبطولات وأثر علي في حرب الخندق، خصوصاً قتله كبش كتيبة جيش الشرك عمرو بن عبد ود العامري، لأن تجاهل مثل هذا الحدث المصيري، الذي شاع وذاع، يحتاج إلى

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٨١
درجة كبيرة من الشجاعة النادرة، أو فقل إلى درجة عالية من الوقاحة
الفاجرة.

وهذا ما حصل بالفعل: حيث نجد بعضهم ليس فقط لا يذكر لعلي
«عليه السلام» خبراً، ولا يورد في مواقفه أثراً. بل هو يكاد يجهر بإنكار تلك
المواقف الرسالية الرائدة.

حيث يقول أحدهم: «ولم يكن بين القوم قتال إلا الرمي بالنبل والحصا،
فأوقع الله بينهم التخاذل، ثم أرسل الله عليهم في ظلمة شديدة من الليل ريح
الصبا الشديدة في برد شديد، فأسقطت خيامهم، وأطفأت نيرانهم، وزلزلتهم،
حتى جالت خيولهم بعضها في بعض في تلك الظلمة فارتحلوا خائبين»^(١). ثم
يذكر إرسال الزبير بن العوام لكشف خبر القوم.

بينما نجد رجلاً مسيحياً، لا يرغب بالاعتراف للمسلمين بشيء ذي بال،
يعتبر قتل علي «عليه السلام» لعمرو ولصاحبه «سبب هزيمة الأحزاب على
كثرة عددهم، ووفرة عددهم»^(٢).

فشتان ما بين هذا الرجل، وبين أولئك، ولا حول ولا قوة بالله.

من تشكيكات الجاحظ وتعصباته:

قد ادّعى ابن تيمية: أن عمرو بن عبد ود لم يعرف له ذكر إلا في هذه

(١) حقائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٠ وراجع: الزمخشري في الكشاف ج ٣ ص ٥٢٦ وقد

تعجب منه في سعد السعود ص ١٣٨ و ١٣٩.

(٢) تاريخ مختصر الدول ص ٩٥.

وقد حاول الجاحظ أن يدّعي: أن شهرة عمرو بن عبد ود بالشجاعة مصنوعة، من قبل محبي علي، حتى تركوه أشجع من عامر بن الطفيل، وعتيبة بن الحارث، وبسطام بن قيس، مع أنه لم يسمع لعمرو ذكر في حرب الفجار، ولا في الحروب بين قريش ودوس.

وقد رد عليه الإسكافي بما حاصله: أن أمر عمرو بن عبد ود أشهر من أن يذكر، ولينظر ما رثته به شعراء قريش لما قتل. ثم ذكر شعر مسافع بن عبد مناف، وشعره الآخر في رثائه له.

وليس أحد يذكر عمرواً إلا قال: كان فارس قريش وشجاعها، وقد شهد بدرأً وجرح فيها، وقتل قوماً من المسلمين. وكان عاهد الله عند الكعبة أن لا يدعوه أحد إلى إحدى ثلاث خصال إلا قبلها، وآثاره في أيام الفجار مشهورة.

كما أنه لما جزع الخندق في ستة فرسان هو أحدهم، جبن المسلمون كلهم عنه، وهو يوبخهم ويقرعهم، وملكهم الرعب والوهل، فإما أن يكون هذا أشجع الناس كما قيل عنه، أو يكون المسلمون كلهم أجبن العرب وأذلهم وأفشلهم.

ولأنما لم يذكر مع الفرسان الثلاثة لأنهم كانوا أصحاب غارات ونهب، وأهل بادية، وقريش أهل مدينة، وساكنوا مدر وحجر، لا يرون الغارات، ولا ينهبون غيرهم من العرب، وهم مقيمون ببلدتهم، فلم يشتهر اسمه

(١) منهاج السنة ج ٤ ص ١٧٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢ وسيرة الرسول ص ٢٢٠.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٨٣
كاشتهار هؤلاء^(١).

هذا كله: بالإضافة إلى أنه كان قد نذر في بدر أن لا يمس رأسه دهناً حتى يقتل محمداً. وكان أيضاً معروفاً بفارس ليليل، وقد ذكر ذلك مسافع بن عمرو في شعره الذي يرثيه فيه.

وقد وصفه النبي «صلى الله عليه وآله» لعلي بأنه فارس ليليل أيضاً.
هذا وقد قتل عمرو في بدر عمير بن أبي وقاص، وسعد بن خيثمة^(٢)
وكان على مسيرة قريش في بدر^(٣).

المعركة التي لا حقيقة لها:

قالوا: ولما قتل عمرو، ورجع المنهزمون إلى أبي سفيان قال: هذا يوم لم يكن لنا فيه شيء، ارجعوا.

فنفرت قريش إلى العقيق، ورجعت غطفان إلى منازلها، واستعدوا يغدون جمعياً، ولا يتخلف منهم أحد. فباتت قريش يعيثون أصحابهم، وكذلك غطفان، ووافوا رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالخندق، قبل طلوع الشمس. ولم يتخلف منهم أحد، وعبأ «صلى الله عليه وآله» أصحابه، وحضهم على القتال، ووعدهم النصر إن صبروا. والمشركون قد جعلوا

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٣ ص ٢٩١ وراجع الملحق آخر العثمانية ص ٣٣٥ - ٣٣٩.

(٢) قد تقدمت مصادر كثير مما ذكرناه. وراجع أيضاً: شرح النهج للمعتزلي ج ١٤ ص ٢٠٧ وراجع أيضاً السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٠.

(٣) شرح نهج البلاغة للمعتزلي ج ١٤ ص ١٢٠.

١٨٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

المسلمين في مثل الحصن من كتابهم، فأحدقوا بكل وجه من الخندق، ووجهوا نحو خيمة رسول الله «صلى الله عليه وآله» كتيبة غليظة، فيها خالد بن الوليد، فقاتلوه إلى الليل، وكان القتال من وراء الخندق.

فلما حان وقت صلاة العصر دنت الكتيبة فلم يقدر النبي، ولا أحد من أصحابه الذين كانوا معه أن يصلوا الصلاة على نحو ما أرادوا، فانكفأت الكتيبة مع الليل، فزعموا أنه «صلى الله عليه وآله» قال: شغلونا عن صلاة العصر ملأ الله بطوبهم (أو قبورهم) ناراً.

وفي نص آخر: أنه «صلى الله عليه وآله» ما قدر على صلاة ظهر، ولا عصر، ولا مغرب، ولا عشاء، فجعل أصحابه يقولون: ما صلينا. فيقول: ولا أنا - والله - ما صليت.

حتى كشف الله المشركين، فرجعوا متفرقين، ورجع كل من الفريقين إلى منزله.

وقام أسيد بن حضير في مائتين على شفير الخندق، فكرت خيل المشركين يطلبون غرة، وعليها خالد بن الوليد، فناوشهم ساعة، فزرق وحشي الطفيل بن النعمان. وقيل: الطفيل بن مالك بن النعمان بن خنساء الأنصاري السلمي بمزراقة، فقتله، كما قتل حمزة رضي الله عنه بأحد.

فلما صار رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى موضع قبته أمر بلالاً، فأذن وأقام للظهر، وأقام بعد لكل صلاة إقامة، فصلى كل صلاة كأحسن ما كان يصليها في وقتها، وذلك قبل أن تنزل صلاة الخوف.

أضاف البعض هنا قوله «صلى الله عليه وآله»: ما على وجه الأرض قوم يذكرون الله تعالى في هذه الساعة غيركم.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٨٥

وقال يومئذ رسول الله «صلى الله عليه وآله»: شغلنا المشركون عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً.

«ولم يكن لديهم بعد ذلك قتال جميعاً حتى انصرفوا، إلا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل طمعاً بالغرة»^(١).

ونحن نشك في صحة ذلك، لما يلي:

أولاً: صرح بعض المؤرخين: بأنه بعد قتل عمرو ورفاقه لم يحصل أي قتال، فقال:

«ولم يكن لهم بعد ذلك قتال جميعاً، حتى انصرفوا، إلا أنهم لا يدعون الطلائع بالليل، يطمعون بالغارة»^(٢).

ثانياً: إنه إذا كان القتال بهذا العنف، فأين القتلى والجرحى، لا سيما مع اجتماع ألوف من الناس؟ أم يعقل أن تكون جميع تلك السهام والحجارة،

(١) راجع هذه النصوص باختصار تارة، وبتطويل أخرى في المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٦ - ٥٣٩ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٢ - ٤٧٤ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٤ و ١٧٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ والوفاء ص ٦٩٤ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠١ و ٤٠٢ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٦٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٩ و ١١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٠ - ٢١٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٦ عن ابن سعد ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨.

١٨٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

والخصي، كانت تذهب سدى ولا تصيب أحداً؟!.

ثالثاً: إن القتال لا يمنع من الصلاة بصورة نهائية، فقد كان من الممكن أن يصلوا منفردين، أو أفواجاً.

وقد ذكر الفقهاء: أن الصلاة لا تسقط حتى عن الغريق، فكيف بالمقاتلين؟ وصلاة المطاردة حال القتال مذكورة في الكتب الفقهية، وإذا كان المسلمون لا يعرفونها، فالنبي «صلى الله عليه وآله» كان يعرفها، فلماذا لم يصلها؟!.

رابعاً: إن تناقص الروايات في كثير من خصوصياتها يفقدنا الثقة بها، وبالمراجعة والمقارنة يتضح ذلك بجلاء.

ويكفي أن نبه: إلى اختلاف الروايات في الصلاة أو الصلوات التي فاتت النبي والمسلمين، فهل فاتتهم صلاة فقط كما في حديث جابر^(١) وعلي^(٢) وابن

(١) راجع المصادر المتقدمة، وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٠ وتاريخ الإسلام (المغازي) للذهبي ص ٢٤٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٤ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ والبدية والنهاية ج ٤ ص ١٠٩ عن الشيخين، والترمذي، والنسائي، وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٨ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٣ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٦٨.

(٢) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٥٧٦ وراجع: مسند أحمد ج ١ ص ٨١ و ٨٢ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٤ والبدية والنهاية ج ٤ ص ١٠٩ عن الخمسة إلا ابن ماجة، والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٠ ومسند أحمد ج ١ ص ٨١ و ٧٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٨ وعن فتح الباري ج ٦ ص ١٠٥ وج ٧ ص ٤٠٥ =

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٨٧
عباس^(١) وحذيفة وابن حبيبة^(٢).

أم أنهم شغلوا عن الظهر، والعصر، والمغرب، والعشاء، كما عن جابر
أيضاً، وأبي سعيد وابن مسعود^(٣)؟
أو عن الظهر والعصر، كما عن سعيد بن المسيب وابن عباس وعمر
وعلي «عليه السلام»^(٤)؟

= والدر المنثور ج ١ ص ٣٠٣ عن الستة، وعن عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وأحمد،
وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، والبيهقي، وابن أبي حاتم، وراجع: مسند
الطيالسي ص ١٦ وكنز العمال ج ٢ ص ٢٤٠ عن البخاري، والبيهقي، وعبد
الرزاق، وأحمد، وأبي عبيد في فضائله، والعدني، ومسلم، والنسائي، وابن جرير،
وابن خزيمة، وأبي عوانة، وابن زنجويه، وعبد بن حميد وغير ذلك.

(١) كنز العمال ج ١ ص ٢٤٠ عن الطبراني وص ٢٨٦ عن البيهقي.

(٢) كنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٣ و ٢٨٨.

(٣) راجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ و ٣٢٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٨
عن أحمد، والنسائي، وأحمد عن ابن مسعود، وعن البزار عن جابر، وراجع:
البداية والنهاية ج ٤ ص ١١٠ و ١١١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٥
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٢ و ٢١٣ وشرح بهجة المحافل ج ١
ص ٢٦٨ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ وتاريخ البعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وكنز
العمال ج ١٠ ص ٢٨٥ عن مصادر عديدة وص ٢٨٨ عن ابن أبي شيبة.

(٤) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٥٧٦ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٣ وعيون الأثر ج ٢
ص ٦٣ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ عن الموطأ وكنز العمال ج ٢ ص ٢٤٠ ومجمع
الزوائد ج ١ ص ٣٠٩ عن الطبراني والدر المنثور ج ١ ص ٣٠٤ و ٣٠٣ عن الطبراني،
وعبد الرزاق، وابن أبي شيبة، ومسلم والنسائي والبيهقي وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٠.

١٨٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

أو الظهر والعصر والمغرب كما في رواية أبي هريرة، وأبي سعيد^(١)؟
وفي الموطأ: أن الفاتنة هي الظهر^(٢)، وكذا عن جابر وأم سلمة وعلي
وابن مسعود^(٣).

وبعض الروايات: عن ابن عباس وحذيفة، لم تعين الصلاة أو لم تعين
العدو.

قال المقرئ: «فاحتمل أن يكون كله صحيحاً، لأنهم حوصروا في
الخنندق، وشغلوا بالأحزاب أياماً»^(٤).

وقد جمع النووي بين هذه الروايات بأن فوات الصلاة قد حصل مرتين
لأن الحرب استمرت في الخندق عدة أيام^(٥).

إستفادات غير موفقة:

وقد حاول البعض: أن يستفيد من هذا الحديث المشكوك أحكاماً

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ١١٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٨ والسيرة النبوية لابن
كثير ج ٣ ص ٢١٢.

(٢) شرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٨.

(٣) راجع: مجمع الزوائد ج ١ ص ٣٠٩ و ٣١٠ والدر المنثور ج ١ ص ٣٠٤ عن البزار
وص ٣٠٣ عن مصادر أخرى، وكنز العمال ج ١ ص ٢٣٩ عن مصادر كثيرة
وكشف الأستار عن مسند البزار ج ١ ص ١٩٦ و ١٩٧.

(٤) إمتاع الأسعاع ج ١ ص ٢٣٣.

(٥) راجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢١ والمواهب
اللدنية ج ١ ص ١١٤ ومحمد رسول الله صلى الله عليه وآله لمحمد رضا ص ٢٣.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٨٩
شرعية وغيرها، فقال بعضهم:

«إن هذا يدل على جواز الجمع بين الصلاتين جمع تأخير لعذر الحرب، وأجازه أحمد وغيره، وقال: وتكون الصلاة المؤخرة أداءً لا قضاء»^(١).

واستدلوا على ذلك أيضاً، أي على جواز التأخير لعذر القتال بقوله «صلى الله عليه وآله»: لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة، فمنهم من صلاها في الطريق، ومنهم صلاها بعد الغروب في بني قريظة، ولم يعنف واحداً من الفريقين.

وقالوا: إن هذا قد نسخ بتشريع صلاة الخوف، ولو كانت مشرعة لم يؤخروها»^(٢).

لكن هذا الكلام لا يصح، إذا كان «صلى الله عليه وآله» والمسلمون قد أجبروا على تأخير الصلاة بحيث لم يكن لديهم أي خيار في ذلك، ولا يصح بناء على قول من قال: إن تأخير الصلاة يوم الخندق كان نسياناً»^(٣).

وقد صرحت بذلك رواية عن ابن عباس، قال: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» نسي الظهر والعصر يوم الأحزاب فذكر بعد المغرب، فقال:

(١) خاتم النبيين ج ٢ ص ٩٤٠ وراجع ص ٩٥١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١١ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٨ وفقه السيرة ص ٣٠٣.

(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ١١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١١ و ٢١٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤.

(٣) راجع المصادر المتقدمة.

١٩٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

اللهم من حبسنا عن الصلاة الوسطى فاملاً بيوتهم ناراً^(١).

وعن أبي جمعة: إن النبي «صلى الله عليه وآله» صلى المغرب، فلما فرغ قال: هل أحد منكم علم أني صليت العصر؟!^(٢)

فقالوا: يا رسول الله ما صليت، فأمر المؤذن فأقام الصلاة، فصلّى العصر، ثم أعاد المغرب^(٣).

أضاف الحلبي: «أقول: يحتاج إلى الجواب عن إعادة المغرب. وقد يقال: أعادها مع الجماعة»^(٤).

الصحيح في القضية:

وأخيراً.. فنحن لا نمانع من أن يكون قد حصل تأخير في أداء الصلاة إلى حد يصدق معه الاضطرار ليمكن للمكلف أن يصلي صلاة المضطر، أو صلاة المطاردة. فإن قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا...﴾^(٥) قد ورد في سورة البقرة، النازلة في أوائل الهجرة.

وقد روي: أن النبي «صلى الله عليه وآله» صلى يوم الأحزاب إيماءً^(٦).

ومعنى ذلك: هو أن الآية المذكورة قد نزلت في غزوة الخندق.

وهذه الآية هي غير الآية التي تحدثت عن صلاة الخوف جماعة فراجع.

(١) الدر المنثور ج ١ ص ٣٠٤ عن الطبراني.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٣٩ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٢.

(٣) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٣.

(٤) الآية ٢٣٩ من سورة البقرة.

(٥) تفسير نور الثقلين ج ١ ص ١٩٩ ومجمع البيان ج ١ ص ٣٤٤.

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعادل عبادة الثقلين ١٩١

السبب والسبب:

١ - إننا بعد أن استظهرنا عدم صحة ما ذكره نرى: أن السبب الذي يدعو البعض لإشاعة أمور كهذه هو الرغبة في تبرير تهاون الحكام بصلاتهم، وتأخيرهم لها عن أوقاتها - كما ذكرناه في الجزء الأول من هذا الكتاب - ولا يهمهم أن يكون ذلك على حساب كرامة النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، والنيل من عصمته، وعقله وحكمته.

٢ - قد يكون السبب هو ما جرى لعمر بن الخطاب حين فاتته الصلاة في غزوة الخندق، حيث قال: يا رسول الله، ما كدت أن أصلي حتى كادت الشمس أن تغرب.

قال النبي «صلى الله عليه وآله»: والله ما صليتها.

فزلنا مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى بطحان، فتوضأ للصلاة وتوضأنا لها، فصلى العصر بعد ما غربت الشمس، ثم صلى بعدها المغرب^(١).

٣ - إن دعوى وجود قتال ضار استمر ثلاثة أيام، أو أكثر أو أقل، قد يكون الهدف منها هو التضخيم والتهويل في قوة المشركين، والتأكيد على شوكتهم وعلى ارتفاع معنوياتهم بعد قتل عمرو بن عبد ود ورفاقه، الأمر الذي ينتج عنه أن لا يكون علي «عليه السلام» قد حقق إنجازاً ذا بال،

(١) راجع: صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٢ وتاريخ الإسلام (المغازي) للذهبي ص ٢٤٨ ودلائل النبوة لليبي ج ٣ ص ٤٤٤ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٠ عن الشيخين، والترمذي، والنسائي.

١٩٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

فضلاً عن أن يكون ما جرى قد أسهم في هزيمة المشركين بطريقة أو بأخرى.

٤ - إن ذلك أيضاً سوف يحدث ترديداً وتشكيكاً في قيمة الأوسمة التي

حباها رسول الله، وفي استحقاقه «عليه السلام» لها، وفي جدارته لحملها.

الفصل الثالث:

كيف انتهت الحرب الخندق؟!!

شائنا ان نذكر

في هذا المجال

ما فعله نعيم بن مسعود:

لقد حاول المؤرخون والمحدثون الذين توجههم التيارات والقوى والتعصبات السياسية، والمذهبية، والأحقاد - حاولوا - التعتيم على النصر المؤزر الذي سجله علي أمير المؤمنين «عليه السلام» في حرب الأحزاب بطريقة أخرى غير طريقة تضخيم الأمور، وادعاء حصول قتال شغلهم عن صلاة العصر، وغيرها.

فادعوا: أن نعيم بن مسعود قد قام بدور فاعل وأساس في تخذيل القوم، وإلقاء الريب والشك ببعضهم البعض فيما بينهم.

فيدعي المؤرخون: أن نعيم بن مسعود الغطفاني جاء إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» مسلماً - وكان من دواهي العرب - فقال: يا رسول الله إني قد أسلمت، وإن قومي لم يعلموا بإسلامي، فأمرني بما شئت أنته إليه^(١).

(١) يقول القمي في تفسيره ج ٢ ص ١٨١ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٣ عنه: إن قرينة قد نقضوا العهد نهائياً، فلما كان في جوف الليل جاء نعيم بن مسعود إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وكان قد أسلم قبل قدوم قريش بثلاثة أيام.

ونقول: لماذا أخر نعيم مجيئه إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليعلن إسلامه هذه المدة الطويلة؟! وأثر البقاء في صفوف أهل الشرك.

فقال له «صلى الله عليه وآله»: إنما أنت رجل واحد فينا، وإنما غناؤك أن
تخذل عنا ما استطعت، وعليك بالخداع، فإن الحرب خدعة.
وحسب نص المقدسي: أنه «صلى الله عليه وآله» قال له: إن الحرب
خدعة، فاحتل لنا.

فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة، وكان نديماً لهم، فقال: يا بني قريظة،
قد عرفتم ودي إياكم، وخاصة ما بيني وبينكم.
قالوا: صدقت، لست عندنا بمتهم.

فقال لهم: إن قريشاً وغطفان ومن التف معهم جاؤوا لحرب محمد،
فإن ظاهر غمهم عليه، فليسوا كهيتكم، وذاك أن البلد بلدكم، به أموالكم،
وأولادكم، ونساؤكم، لا تقدر أن تتحولوا إلى غيره. فأما قريش
وغطفان، فإن أموالهم، وأبناءهم، ونساءهم ببلاد غير بلادكم، فإن رأوا
نهبه وغنيمة أصابوها، وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم، وخلوا بينكم
وبين الرجل. والرجل ببلادكم لا طاقة لكم به، وإن خلا لكم.

زاد الواقدي: «وقد كبر عليهم جانب محمد، أجلبوا عليه بالأمس إلى
الليل، فقتل رأسهم عمرو بن عبد ود وهربوا منه مجرحين»، فلا تقاتلوا
القوم حتى تأخذوا منهم رهناً من أشرافهم، يكونون بأيديكم، ثقة لكم على
أن يقاتلوا معكم محمداً حتى يناجزوه.

قالوا: لقد أشرت علينا برأي ونصح.

ثم خرج حتى أتى قريشاً.

فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه: يا معشر قريش، قد عرفتم ودي
إياكم، وفراقي محمداً، وقد بلغني أمر رأيت حقاً علي أن أبلغكم، نصحاً

لكم، فاكتموا عليّ.

قالوا: نفعل.

قال: اعلموا: أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا بينهم وبين محمد، وقد أرسلوا - وأنا عندهم - أن قد ندمنا على ما صنعنا، فهل يرضيك عنا: أن نأخذ من القبيلتين (مئة رجل، كما عند المقدسي) من قريش وغطفان رجالاً من أشrafهم، وكبرائهم، ونعطيكهم، فتضرب أعناقهم، ثم نكون معك على من بقي منهم؟

أضافت بعض المصادر: «وترد جناحنا الذي كسرت إلى ديارهم - يعنون بني النضير»، فإن بعثت إليك يهود، يلتمسون منكم رهناً من رجالكم فلا تدفعوا إليهم رجالاً واحداً.

فوقع ذلك من القوم.

وخرج حتى أتى غطفان، فقال: يا معشر غطفان، أنتم أصلي وعشيرتي، وأحب الناس إلي، ولا أراكم تتهموني.

قالوا: صدقت.

قال: فاكتموا عليّ.

قالوا: نفعل.

ثم قال لهم مثل ما قال لقريش، وحذرهم مثل ما حذرهم.
فأرسل أبو سفيان^(١)، ورؤوس غطفان إلى بني قريظة عكرمة بن أبي

(١) وذكرت بعض المصادر: أن اليهود هم الذين أرسلوا عزال بن سموأل يطلبون التواعد على الزحف بشرط إعطائهم رهائن من أشrafهم سبعين رجلاً، فلم =

جهل في نفر من قریش و غطفان، فقال لهم:

إنا لسنا بدار مقام، وقد هلك الخف والحافر، فاغدوا للقتال حتى نناجز محمداً، ونفرغ مما بيننا وبينه.

فأرسلوا إليه: أن اليوم يوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئاً (وكان قد أحدث فيه بعض الناس شيئاً فأصابه ما لم يخفَ عليكم) ومع ذلك فلسنا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً من رجالكم (سبعين رجلاً)، يكونون بأيدينا ثقة حتى نناجز محمداً، فإننا نخشى - إن ضرستكم الحرب، واشتد عليكم القتال - أن تسمروا إلى بلادكم، وتتركونا والرجل في بلدنا، ولا طاقة لنا بذلك من محمد.

وأرسلت غطفان مسعود بن رخیلة في رجال بمثل ما راسلهم به أبو سفيان..

فلما رجعت الرسل بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش و غطفان: والله، إن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود لحق. فأرسلوا إلى بني قريظة: إنا والله ما ندفع إليكم رجلاً واحداً، فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فقاتلوا^(١).

= يرجعوا إليهم بجواب. أضافت بعض المصادر: أن نعيماً عاد إلى بني قريظة وأخبرهم: أن أبا سفيان قال بعد أن ولى عزال: لو طلبوا مني عناقاً ما رهنتها، راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٣ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٢ و ٤٨٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٥ و ٣٢٦.

(١) ويذكر الواقدي: أن الزبير بن باطا قد نصحهم بعدم طلب الرهن من قريش، لأنها لا تعطيهم إياه، وهم أكثر عدداً ومعهم كراع ولا كراع مع بني قريظة =

الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق؟! ١٩٩

فقال بنو قريظة حين أدت إليهم الرسل: إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق، ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا، فإن وجدوا فرصة انتهبوها، وإن كان غير ذلك انشمروا إلى بلادهم، وخلوا بينكم وبين الرجل. فأرسلوا إلى القوم: إنا - والله - لا نقاتل معكم حتى تعطونا رهناً.

قالوا: وتكررت رسل قريش وغطفان إلى بني قريظة، وهم يردون عليهم بما تقدم، فيش هؤلاء من نصر هؤلاء. وتحاذل القوم، واتهم بعضهم بعضاً. وذلك في زمن شات، وليال باردة، كثيرة الرياح، تطرح أنبيتهم، وتكفأ قدورهم الخ..

ولما طالب أبو سفيان حيي بن أخطب بالأمر، حاول حيي أن يقنع بني قريظة بالعدول عن ذلك، فلم يفلح^(١).

= «وهم يقدرّون على الهرب ونحن لا نقدر عليه، وهذه غطفان تطلب إلى محمد أن يعطيها بعض ثمار المدينة، فأبى أن يعطيهم إلا السيف» فلم يوافق الزبير أحد من قومه، فلما كان ليلة السبت أرسل أبو سفيان الخ.. راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٣ و ٥٤٤.

(١) تجارب الأمم ج ١ ص ١٥٠ - ١٥٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨١ - ٤٨٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤١ - ٥٤٥، وتجده هذه القضية بتلخيص أو بدونه في المصادر التالية: الكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٢ وإمتاع الأسعاج ج ١ ص ٢٣٦ - ٢٣٨ والبداية والنهاية ج ٢ ص ١١١ و ١١٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٢ و ٢٤٣ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٤٠ - ٢٤٢ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨١ و ١٨٢ و ١٨٥ و ١٨٦ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٣ و ٢٢٤ و ٢٢٨ و ٢٢٩ و ٢٠٧ و ٢٠٨ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٥ - ١٧٧ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٠ =

٢٠٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١
ورواية القمي: تختلف عن هذه الرواية فلتراجع^(١).

ونقول:

كان ما تقدم هو النص الذي يذكره أكثر المؤرخين مطولاً أو ملخصاً،
لهذه القضية. وتساورنا شكوك حول صحة ذلك، ونرى أن ما جرى لم يكن
بهذا الشكل، وذلك بالنظر إلى الأمور التالية:

أولاً: يقول البعض عن دور نعيم: «يمكن أن يكون في ذلك مبالغة،
لأن القصة تروى عن نعيم نفسه، بواسطة رواية أشجع»^(٢).

ثانياً: بالنسبة لطلب الرهائن تقول رواية نعيم بن مسعود: إن ذلك قد
كان بعد نقض بني قريظة للعهد مع النبي «صلى الله عليه وآله»، وبعد أن
طال الحصار على قريش، وبإيحاء من نعيم بن مسعود بالذات.

= والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ص ٢ ص ٣٠ و ٣١ و عيون الأثر ج ٢ ص ٦٤
و ٦٥ و حبيب السير ج ١ ص ٣٦٣ و جوامع السيرة النبوية ص ١٥١ و ١٥٢
والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٧٢ - ١٧٤ و شرح الأخبار ج ١ ص ٢٩٧ - ٢٩٩
والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٤ - ٢١٦ و تاريخ الإسلام للذهبي
(المغازي) ص ٢٤١ و ٢٤٢ و السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٤ و فتح الباري ج ٧
ص ٣٠٩ و تهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٤ - ١٩٦ و دلائل النبوة للبيهقي ج ٣
ص ٤٤٦ - ٢١٩ و ٢٢٠ و زاد المعاد ج ٢ ص ١١٨ و بهجة المحافل و شرحه ج ١
ص ٢٦٧ - ٢٧١.

(١) راجع: تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٢٤ وفيه أن نعيم بن
مسعود حرص أبا سفيان على طلب الرهن من بني قريظة، عشرة رجال من
أشرافهم.

(٢) محمد في المدينة ص ١٣٩.

لكن هناك نص يقول: إنهم قد طلبوا الرهائن حين كلمهم حيي بن أخطب في نقض العهد، فإنهم طلبوا منه: أن يأخذ لهم رهائن من قريش وغطفان تكون عندهم، تسعين رجلاً من أشrafهم^(١)، وذلك قبل إسلام نعيم.

وقد حاول البعض: أن يحل هذا الإشكال، فقال: «قد يحتمل أن تكون قريظة لما يئسوا من انتظام أمرهم مع قريش وغطفان بعثوا إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» يريدون منه الصلح على أن يرد بني النضير إلى المدينة»^(٢).

وهو حل غير مقبول: لأنهم بعد أن يئسوا من انتظام أمرهم مع المشركين، وصيرورتهم في الموقف الأضعف، وأصبحوا يخشون على أنفسهم من مغبة غدرهم، وعواقب خيانتهم وما جتته أيديهم، لم يكونوا ليجرؤوا على اشتراط إرجاع بني النضير إلى أراضيهم.

أضف إلى ذلك: أن هذا الاحتمال الذي ذكره ابن كثير لا يحل إشكال أن يكون طلب الرهائن قبل إسلام نعيم. حسبنا أوضحناه.

ثالثاً: إننا لا نكاد نصدق دعوى نعيم: أن قريظة قد أرسلت بحضوره إلى النبي «صلى الله عليه وآله» تعده بأخذ سبعين، أو تسعين رهينة من أشraf قريش وغطفان ليقتلهم.

(١) راجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٢٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٣ و ١٠٣

والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٩ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠١.

(٢) البداية والنهاية ج ٤ ص ١١٣.

٢٠٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

إذ إن نعيم بن مسعود نفسه كان من غطفان، فهل يجهر بنو قريظة أمام غطفاني - مهما كانت درجة إخلاصه لهم - بأنهم يريدون أخذ أشرف قومه ليسلموهم إلى القتل؟!.

وهل يمكن أن يصدقه المشركون: أنه قد سمع ذلك حقاً من بني قريظة؟!.

رابعاً: لو صحت قصة نعيم على النحو المذكور آنفاً، لكان يجب أن نتوقع من حيي بن أخطب موقفاً آخر من بني قريظة. فيتخلص من تعهداته لهم، ولا يسلم نفسه إلى القتل بدخوله معهم في حصنهم بعد رحيل قريش، لأن لديه حجة واضحة، وهي أن الإخلال وإفشال ما جمعه من كيد إنما من قبل بني قريظة أنفسهم، فإنهم هم الذين أخلوا بتعهداتهم تجاه قريش، وليس العكس.

خامساً: هناك العديد من الروايات التي تؤكد على أن النبي الأعظم «صلى الله عليه وآله» نفسه هو الذي أفسد العلاقة بين قريش والمشركين من جهة، وبين بني قريظة من جهة أخرى. وليس نعيم بن مسعود بل كان هو الآخر غافلاً عن حقيقة التدبير النبوي في هذا المجال.

والنصوص المشار إليها هي التالية:

١ - قال ابن عقبة: إن نعيم بن مسعود كان يذيع ما يسمعه من الحديث، فاتفق أنه مرّ بالقرب من رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذات يوم عشاء، فأشار إليه «صلى الله عليه وآله» أن تعال، فجاء، فقال: ما وراءك؟! . فقال: إنه قد بعثت قريش وغطفان إلى بني قريظة يطلبون منهم أن يخرجوا إليهم فيناجزوك.

الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق؟! ٢٠٣

فقال قريظة: نعم، فأرسلوا إلينا بالرهن.

قال: فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إني مسر إليك شيئاً فلا

تذكره.

قال: «إنهم قد أرسلوا إلي يدعونني إلى الصلح، وأرد بني النضير إلى

دورهم وأموالهم». وإنما قال له «صلى الله عليه وآله» ذلك على سبيل

الخدعة الجائزة في الحرب.

فخرج نعيم بن مسعود عامداً إلى غطفان.

وقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: الحرب خدعة. وعسى أن يصنع لنا.

فأتى نعيم غطفان وقريشاً فأعلمهم؛ فبادر القوم وأرسلوا إلى بني

قريظة عكرمة وجماعة معه - فاتفق ذلك ليلة السبت - يطلبون منهم أن

يخرجوا للقتال معهم، فاعتلت اليهود بالسبت. ثم أيضاً طلبوا الرهن

توثقة، فأوقع الله بينهم واختلفوا^(١).

ونعتقد: أن هذه الرواية هي الأقرب إلى الصواب، ويشهد لذلك ما

يلي:

٢ - قال القمي: إنه لما بلغ النبي «صلى الله عليه وآله» نقض بني قريظة

للعهد، قال «للعناء، نحن أمرناهم بذلك. وذلك أنه كان على عهد رسول

الله «صلى الله عليه وآله» عيون لقريش، يتجسسون خبره^(٢).

(١) البداية والنهاية ج ٤ ص ١١٣ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٦ و ٢١٧

وراجع: الأمالي للشيخ الطوسي ص ٢٦٧ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٤ و

٤٠٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٦ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٢٣ عنه.

٢٠٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

٣ - عن علي «عليه السلام» قال: الحرب خدعة. إذ حدثتكم عن رسول الله «صلى الله عليه وآله» حديثاً، فوالله، لأن آخر من السباء أو تخطفني الطير أحب إلي من أن أكذب على رسول الله «صلى الله عليه وآله». وإذا حدثتكم عني، فإن الحرب خدعة.

فإن رسول الله «صلى الله عليه وآله» بلغه: أن بني قريظة بعثوا إلى أبي سفيان: أنكم إذا التقيتم أئمتهم ومحمد «صلى الله عليه وآله» أمددناكم وأعناكم. فقام النبي «صلى الله عليه وآله»، فخطبنا فقال: إن بني قريظة بعثوا إلينا: أننا إذا التقينا نحن وأبو سفيان أمددونا وأعانونا.

فبلغ ذلك أبا سفيان، فقال: غدرت يهود، فارتحل عنهم^(١).

٤ - عن عائشة: كان نعيم رجلاً نموماً، فدعاه «صلى الله عليه وآله»، فقال: إن يهود قد بعثت إليّ: إن كان يرضيك عنا: أن نأخذ رجلاً رهناً من قريش وغطفان، من أشرافهم، فندفعهم إليك فتقتلهم، فخرج من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فأتاهم، فأخبرهم بذلك.

فلما ولي نعيم، قال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: إنما الحرب خدعة^(٢).

٥ - ويروي الواقدي عن أبي كعب القرظي: أنه لما جاء حيي بن أخطب إلى كعب بن أسد يريد على نقض العهد قال له: لا تقاتل حتى تأخذ سبعين رجلاً من قريش وغطفان رهاناً عندكم.

(١) راجع: قرب الإسناد ص ٦٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٦ عنه وج ١٠٠ ص ٣١

والوسائل ج ١١ ص ١٠٢ و ١٠٣.

(٢) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٧ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٩.

الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق؟! ٢٠٥

وذلك من حيي خديعة لكعب حتى ينقض العهد. وعرف أنه إذا
نقض العهد لحم الأمر، ولم يخبر حيي قريشاً بالذي قال لبني قريظة، فلما
جاءهم عكرمة يطلب منهم أن يخرجوا معه البست (أي يوم السبت)،
قالوا: لا نكسر البست، ولكن يوم الأحد. ولا نخرج حتى تعطونا الرهان.
فقال عكرمة: أي رهان؟!

قال كعب: الذي شرطتم لنا.

قال: ومن شرطها لكم؟.

قالوا: حيي بن أخطب.

فأخبر أبا سفيان ذلك، فقال: يا يهودي، نحن قلنا لك كذا وكذا؟

قال: لا، والتوراة ما قلت ذلك.

قال أبو سفيان: بل هو الغدر من حيي.

فجعل حيي يحلف بالتوراة ما قال ذلك^(١).

وفي نص آخر: قال كعب: يا حيي، لا نخرج حتى نأخذ من كل

أصحابك من كل بطن سبعين رجلاً رهناً في أيدينا.

فذكر ذلك حيي لقريش ولغطفان، وقيس. ففعلوا، وعقدوا بينهم

عقداً بذلك حتى شق كعب الكتاب.

فلما أرسلت إليه قريش تستنصره قال: الرهن، فأنكروا ذلك واختلفوا^(٢).

(١) المغازي ج ٢ ص ٤٨٥ و ٤٨٦ وذكر ابن عقبة أيضاً ما فعله عكرمة راجع السيرة

النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١٩٩.

(٢) المغازي ج ٢ ص ٤٨٦ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٠١

٢٠٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

٦ - قال نص آخر ما ملخصه: حدثني معمر، عن الزهري: أرسلت بنو قريظة إلى أبي سفيان: أن اتوا فإننا سنغير على بيضة المسلمين من ورائهم، فسمع ذلك نعيم بن مسعود، وكان موادعاً للنبي «صلى الله عليه وآله» فأقبل إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فأخبره، فقال «صلى الله عليه وآله»: فلعلنا أمرناهم بذلك.

فقام نعيم بكلمة رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وكان نعيم رجلاً لا يكتُم الحديث، فلما ولى من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذاهباً إلى غطفان، قال عمر بن الخطاب: يا رسول الله، ما هذا الذي قلت؟ إن كان هذا الأمر من الله تعالى فأمضه، وإن كان هذا رأياً من قبل نفسك، فإن شأن بني قريظة هو أهون من أن تقول شيئاً يؤثر عنك.

فقال «صلى الله عليه وآله»: بل هو رأي رأيته، الحرب خدعة. ثم أرسل «صلى الله عليه وآله» في أثر نعيم فدعاه، فقال «صلى الله عليه وآله» له: أرايت الذي سمعتني قلت آنفاً؟ اسكت عنه، فلا تذكره فإنما أغراه.

فانصرف من عند رسول الله «صلى الله عليه وآله» إلى عييته ومن معه من غطفان، فقال لهم: هل علمتم محمداً قال شيئاً قط إلا كان حقاً؟!

قالوا: لا. قال: فإنه قال لي فيما أرسلت به إليكم بنو قريظة: «فلعلنا نحن أمرناهم بذلك» ثم نهاني أذكره لكم.

فأخبر عيية بن حصن أبا سفيان بذلك، فقال: إنما نحن في مكر بني قريظة. فقال أبو سفيان: نرسل إليهم الآن فنسألهم الرهن، فإن دفعوا الرهن إلينا، فقد صدقونا، وإن أبوا ذلك فنحن منهم في مكر.

فأرسلوا إليهم يطلبون الرهن ليلة السبت، فامتنعوا من إعطائه لأجل السبت.

الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق؟! ٢٠٧

فقال أبو سفيان ورؤوس الأحزاب: هذا مكر بني قريظة، فارتحلوا فقد طال إقامتكم، فأذنوا بالرحيل، وبعث الله تعالى عليهم الريح، حتى ما يكاد أحدهم يهتدي لموضع رحله. فارتحلوا، فولوا منهزمين.

ويقال: إن حبي بن أخطب قال لأبي سفيان: أنا آخذ لك من بني قريظة سبعين رجلاً رهناً عندك حتى يخرجوا فيقاتلوا، فهم أعرف بقتال محمد وأصحابه، فكان هذا الذي قال: إن أبا سفيان طلب الرهن.

قال ابن واقد: وأثبت الأشياء عندنا قول نعيم الأول^(١).

ونقول:

إننا نلاحظ: أن هذه الرواية، وكذلك رواية جعل ثلث ثمار المدينة لعينة بن حصن، تظهر: أن سعد بن معاذ وعمر بن الخطاب، يعتقدان أن النبي «صلى الله عليه وآله» يتصرف أحياناً انطلاقاً من هدى الوحي، ووفق التدبير والتسديد الإلهي، ويتصرف أحياناً أخرى انطلاقاً من رأيه الشخصي، ووفقاً لهواه الذي قد يصيب وقد يخطئ. وهذا بالذات هو ما عبر عنه عمر بن الخطاب هنا.

ثم أظهرت هذه الرواية وتلك: أنه «صلى الله عليه وآله» قد اعترف هو نفسه بهذا الأمر وقرره بصراحة ووضوح.

مع أن نبينا الأكرم أجل من أن يتصرف أو يتكلم بوحي من الهوى وبغير إذن من الله سبحانه. ولا يخرج من بين شفثيه إلا الحق والصدق، والهدى، ولا شيء غير ذلك.

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٦ و ٤٨٧ والمصنف ج ٥ ص ٣٦٨ و ٣٦٩ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٩٢ و ٢٩٣ عن ابن جرير.

وملاحظة أخرى نسجلها على هذه الرواية وهي: أن نعيم بن مسعود قد أخبر عيينة بن حصن ومن معه من غطفان بمقالة الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» بالطريقة التي لا بد أن يعرفوا منها: أن نعيماً هو الذي أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» بما أرسلت به قريظة إليهم. وهو ينطوي على مخاطرة واضحة حين يكتشف عيينة وغطفان أن نعيماً قد خانهم وأفشى سرهم، ولن يسكتوا عن هذا الأمر أبداً.

إلا أن يكون الرواي قد نقل أصل الحدث ذاهلاً عن الصياغة الحقيقية التي أظهرها نعيم لقومه.

اللمحات الأخيرة:

١ - قد يظهر من بعض النصوص المتقدمة: أن نعيم بن مسعود كان يتجسس للمشركين. وأن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان عارفاً بأمره، فاختره «صلى الله عليه وآله» ليلقي إليه قوله ذاك الذي انتهى بتخذيل الأحزاب، وشكهم ببعضهم البعض.

٢ - ثم إن لنا تحفظاً آخر هنا: وهو أن تسليم سبعين رهينة من أشرف قريش وغطفان إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ليقتلهم، إنما يعني أن يستقل اليهود من بني قريظة بعداوة الأحزاب وكل من له بهم صلة أو هوى في المنطقة بأسرها، ولا طاقة لليهود بهؤلاء جميعاً. بل إن ذلك يحمل معه أخطار إبادة عن بكرة أبيهم. فكيف يمكن أن يصدق المشركون أن يقدم اليهود على أمر كهذا؟!.

وهذا يعني: أن ما ذكرته النصوص الأخرى المتقدمة أقرب إلى الصواب.

الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق؟! ٢٠٩
وأولى بالاعتبار.

٣ - وقد تقدم في الجزء السابق: أن نعيم بن مسعود وحسان بن ثابت قد أظهرتا تعاطفاً واضحاً مع بني النضير حينما أجلاهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» فتصدى لهما أبو عبس ورد عليهم بقوة^(١)، فراجع.
وقد يستفيد البعض من ذلك: أن نعيم بن مسعود كان حينئذ مسلماً.
فما معنى قولهم هنا: إنه قد أسلم في غزوة الخندق؟!.

التبرير بلا مبرر:

ويقول البعض: «كان لوحدة الصف الإسلامي، وانضباط المسلمين ووقوفهم صفاً واحداً خلف قائدهم أثر كبير في تطور الموقف ونتائجه، سيما وأن خصومهم كانوا على نقیض ذلك. وهذا ما سهل كثيراً مهمة الدبلوماسية الإسلامية، التي اعتمدت اعتماداً رئيسياً على هذه الناحية، فنجحت في تفريق صفوف الأحزاب، وتشيت شملهم»^(٢).
ونقول:

إن هذا الكاتب قد نسي: المتخاذلين والمنافقين، الذين كانوا يتسللون لواذاً، ويتركون النبي «صلى الله عليه وآله»، ويحتجون لانسحابهم من المعركة بحجج واهية. وكان لهم دور رئيس في تخذيل الناس، وبث الرعب والخوف في نفوس الكثيرين منهم.

ونسي أيضاً: تخاذلهم عن عمرو بن عبد ود ورفاقه، وهم أقل عدداً من

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ١ ص ٣٧٥.

(٢) الرسول العربي وفن الحرب ص ٢٥٦.

أصابع اليد الواحدة.

نعم.. لقد نسي ذلك، وجاء ليدعي أن الصف الإسلامي كان على غاية من القوة والتهاusk خلف قائده. مع أنهم يذكرون - كما تقدم وسيأتي إن شاء الله -: أنه «صلى الله عليه وآله» قد بقي في ثلاث مئة من أصحابه.

بل ذكرت بعض النصوص: أنه لم يبق معه سوى اثني عشر رجلاً فقط.

كما أن هذا الكاتب لم يعرف: أن نعيم بن مسعود لم يكن هو بطل القصة. بل كان المحرك والمحور الأساس فيها هو رسول الله «صلى الله عليه وآله» نفسه حسبما أوضحناه آنفاً.

الشائعات والحرب النفسية:

قد روي عن علي «عليه السلام»، أنه قال: سمعت رسول الله «صلى الله عليه وآله» يقول يوم الخندق: الحرب خدعة، ويقول: تكلموا بما أردتم^(١).

وقد اتضح مما تقدم أيضاً: أنه «صلى الله عليه وآله» كان يعمل على إيقاع الشك والريب فيما بين الأحزاب بالطريقة الإعلامية الذكية والواعية، حتى تحقق له «صلى الله عليه وآله» ما أراد، واستطاع من خلال ذلك أن يفشل كل مخططاتهم، ويبطل كل ما بذلوه من جهد وكيد.

وقد تجلت لنا من خلال ذلك أهمية الإعلام الحربي الموجه، وأنه قد يهزم الجيوش، ويثل العروش، إذا كان هادفاً وواعياً وذكياً.

(١) وسائل الشيعة ج ١١ ص ١٠٢ وفي هامشه عن التهذيب ج ٢ ص ٥٣.

الدعاء والابتهال:

لقد دعا النبي «صلى الله عليه وآله» على الأحزاب، فاستجاب الله تعالى له. يقول المؤرخون والمحدثون: إنه «صلى الله عليه وآله» أتى مسجد الأحزاب يوم الإثنين، والثلاثاء، والأربعاء؛ فدعا عليهم يوم الأربعاء بين الصلاتين، قال جابر: فعرفنا البشر في وجهه^(١).

وفي نص آخر: انتظر «صلى الله عليه وآله» حتى زالت الشمس، ثم قام في الناس، فقال: يا أيها الناس لا تتمنوا لقاء العدو، واسألوا الله العافية، فإن لقيتم العدو فاصبروا، واعلموا: أن الجنة تحت ظلال السيوف^(٢).

ثم قال: اللهم منزل الكتاب، سريع الحساب، اهزم الأحزاب، اللهم اهزمهم، وانصرنا عليهم وزلزلهم^(٣).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٠ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٠ و ٤٩١ وإعلام الوری (ط دار المعرفة) ص ١٠٠ والكافي (ط دار الاضواء) ج ٨ ص ٢٣٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦٨ و ٢٦٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٤ وفيه: «الأحاديث التي جاءت بدم يوم الأربعاء محمولة على آخر أربعاء في الشهر».

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٣.

(٣) راجع المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤١ والبدایة والنهاية ج ٤ ص ١١١ عن الصحيحين، وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٣ ومستدرك الوسائل ج ١١ ص ١٠٩ و ١١٠ (ط مؤسسة آل البيت)، والجعفریات ص ٢١٨ وتيسير المطالب ص ٢٤٦ =

٢١٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

وعن ابن المسيب: أنه «صلى الله عليه وآله» لما اشتد عليهم الحصار قال: «اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد»^(١).

وعند الراوندي: أنه «صلى الله عليه وآله» صعد مسجد الفتح، فصلى ركعتين، ثم قال: اللهم إن تهلك هذه العصابة لم تعبد في الأرض بعدها، فبعث الله ريحاً قلعت خيم المشركين الخ..

إلى أن قال: ثم رجع من مسجد الفتح إلى معسكره، فصاح بحذيفة بن اليمان، وكان قد ناداه قريباً ثلاثاً الخ..

ثم ذكر إرساله لكشف خبرهم^(٢).

وقد ذكرت أدعية أخرى عديدة له «صلى الله عليه وآله» في يوم

= وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٢ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٨ وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٤٣.

وراجع: السيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٤ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥٠ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٧ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٠، ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٥٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ و ١٢ وكتر العمال ج ١٠ ص ٢٨٥.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤١ وراجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٣ و ٤٠٤ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٠٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٠٠ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٧٧ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٧.

(٢) الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٦ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٨ وراجع: ص ٢٣٠ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٦ وغير ذلك.

الأحزاب فلتراجع في مصادرها^(١).

ولعله «صلى الله عليه وآله» قد دعا بذلك كله في مواقف مختلفة.

وآخر ما نذكره نحن هنا:

ما عن الخدري قال: قلنا: يا رسول الله، هل من شيء نقوله، فقد بلغت القلوب الحناجر.

قال: نعم، قولوا: اللهم استر عوراتنا، وآمن روعاتنا.

قال: فصرف الله تعالى ذلك^(٢).

ونقول:

إن لنا هنا وقفات:

إحداها: أن رواية عبد الله بن أبي أوفى المتقدمة موضع ريب وشك، لأن المسلمين لم يتمنوا لقاء العدو آنئذ، بل كان الحال يزداد شدة وصعوبة عليهم يوماً بعد يوم. وكان الخوف مسيطراً على الكثيرين، فإن كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال كلاماً من هذا النوع، فلا بد أن يكون قد قاله في مناسبة أخرى، غير مناسبة الخندق.

أضف إلى ذلك: أننا نستبعد كثيراً: أن يقول النبي «صلى الله عليه وآله»

(١) راجع بحار الأنوار ج ٩١ ص ٢١٢ و ٢١٣ ومهج الدعوات ص ٧٠ و ٧١ والوسائل ج ١٠ ص ٢٧٦ و ٢٧٧.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١١ عن أحمد، وابن أبي حاتم، وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ و ١٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٣ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٩.

٢١٤..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

كلاماً من هذا النوع، وذلك لما يحمل في طياته من تضعيف وتخذيل لم يكن النبي «صلى الله عليه وآله» ليقدم عليه في حالات الحرب.

الثانية: إننا نجد النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله» يلتجئ للصلاة وللدعاء، ويوجه الناس إلى الله سبحانه في هذه الظروف الحرجة، التي يكون فيها الإنسان أكثر من أي وقت مضى مؤهلاً للتفاعل مع الحالات الروحية.

يساعد على ذلك أنه في هذه الظروف بالذات تكون نظرتة إلى الأمور واقعية وسليمة، لا تشوبها نوازع نفسية، ولا أهواء ولا غيرها مما من شأنه أن يضخم الأمور له، أو يمنعه من رؤيتها على حقيقتها.

وذلك لأنه حين تصبح القضية لها مساس بمصيره وبحياته، فإنه لا بد له من أن يحدق بها، ويكشف كل خباياها وخفاياها، وتبلور فيه حساسية خاصة تجاه أية بادرة يلاحظها، إذا كانت تصب في نفس الاتجاه الذي يسير فيه، أو تؤثر على الواقع الذي يتعامل معه، سلباً كان ذلك التأثير أو إيجاباً.

وإذا كان ثمة ارتباط في هذه الناحية بالذات بالغيب، وبالله سبحانه على الخصوص، فإن التأثير يصبح أكثر عمقاً وأصاله وشمولية، لأنه يرتكز على الناحية العقيدية والإيمانية والشعورية ومداها، قبل أن يدخل في الحسابات المادية وفي نطاقها.

فإذا كانت الناحية الإيمانية تقوم على أساس فكري راسخ وتستند إلى القناعة من خلال الدليل الصحيح والقاطع، فإنها تستمد حينئذٍ من اللا محدود، وتستند إلى المطلق، الذي يملك القدرة على استيعاب المحدود، مهما كانت قوته، ومهما اشتد وتعاضم خطره.

الثالثة: من الواضح أن التربية الروحية بحاجة إلى القول وإلى العمل، فإن ذلك يفيد في نيل درجات القرب، ويؤثر أيضاً في التصفية والتزكية، بما توحى به الكلمة من معان، وتنشره من ظلال روحية، وتثيره من نسمات إيمانية أنيسة ودافئة.

كما أن العمل العبادي بما يمثله من تجسيد للحالة الروحية والنفسية يستطيع أن يرسخ الوعي في المشاعر وفي الخواطر، فتثير لديه وعياً جديداً، وأملاً وليداً.

الريح والملائكة:

قد عرفنا فيما تقدم: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» قد دعا على الأحزاب، في مسجد الأحزاب، يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء، فاستجيب له يوم الأربعاء.

١ - قالوا: فلما كان ليلة السبت بعث الله الريح على الأحزاب، حتى ما يكاد أحدهم يهتدي لموضع رحله، ولا يقر لهم قدر ولا بناء. وقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» يصلي إلى أن ذهب ثلث الليل. وكذلك فعل ليلة قتل كعب بن الأشرف، وكان إذا حَزَبَه أمر أكثر من الصلاة^(١)، وكان ذلك في أيام شاتية^(٢)، وبرد شديد^(٣).

-
- (١) إمتاع الأنساع ج ١ ص ٢٣٨ وراجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٨ و ١٢ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٤.
(٢) تاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ والمختصر في أخبار البشر ج ١ ص ١٣٥.
(٣) الجامع للقيرواني ص ٢٨١.

٢١٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١
وقال البعض: أرسل الله تعالى الريح، فهتكت القباب، وكفأت القدور،
ودفنت الرجل، وقطعت الأوتاد، فانطلقوا لا يلوي أحد على أحد، وأنزل الله
الخ...^(١).

وكانت الريح التي أرسلها الله سبحانه عليهم هي ريح الصبا، فأكفأت
قدورهم، وطرحت آيتهم، ونزعت فساطيطهم^(٢).

وفي نص آخر: بعث الله عليهم ريحاً وظلمة، فانصرفوا هاربين لا
يلوون على شيء، حتى ركب أبو سفيان ناقته وهي معقولة. فلما بلغ رسول
الله «صلى الله عليه وآله» ذلك، قال: عوجل الشيخ^(٣).

ويقول نص آخر: «كان الله عز وجل قبل رحيلهم قد بعث عليهم بالريح
بضع عشرة ليلة، حتى ما خلق الله لهم بيتاً يقوم، ولا ريحاً، حتى ما كان في
الأرض منزل أشد عليهم ولا أكره إليهم من منزلهم ذلك، فأقشعوا^(٤) والريح
أشد ما كانت، معها جنود الله لا ترى، كما قال الله عز وجل الخ...^(٥).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٥ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٦ والسيرة
النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ و ١٢.

(٢) راجع: البحار ج ٢٠ ص ١٩٢ عن مجمع البيان ج ٨ ص ٣٣٩ وتاريخ ابن الوردي
ج ١ ص ١٦٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩١ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢
ص ١٢.

(٣) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وراجع: الخرائج والجرائح (منشورات مصطفى)
ص ١٥٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٩.

(٤) أقشعوا: تفرقوا.

(٥) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٦.

ولكن هذا النص الأخير: لا ينسجم مع ما تقدم، وما سيأتي في حديث حذيفة أيضاً: من أن إرسال الريح عليهم إنما كان بعد دعاء النبي «صلى الله عليه وآله» عليهم، وذلك بعد قتل عمرو بن عبد ود، وأن ذلك لم يدم إلا مدة يسيرة انتهت بفرارهم. بل لقد أخبرهم النبي «صلى الله عليه وآله» ليلة الأحزاب بالريح، كما صرحت به النصوص.

كما أننا لا نرى مبرراً لأن يصمدوا أمام هذه الريح العاتية هذه المدة الطويلة.

والنصوص التاريخية حول ما صنعتها الريح بهم كثيرة، وسيأتي في حديث حذيفة المزيد.

أما بالنسبة: لإرسال الملائكة، فإن النصوص فيه أيضاً كثيرة.

ويذكر المفسرون: أن آية قرآنية قد ذكرت إرسال الريح والملائكة على الأحزاب، وهي قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا^(١)﴾.

ويظهر من بعض النصوص: أن ما فعلته الريح هو نفس ما فعلته الملائكة، وأن حركة الريح هي حركة الملائكة بالذات، فهو يقول:

وَكَثُرَ يَوْمُنَا تَكْبِيرَ الْمَلَائِكَةِ فِي جَوَانِبِ عَسْكَرِهِمْ، وَكَانُوا أَلْفًا. وَلَمْ تَقَاتِلْ يَوْمُنَا، وَاسْمَعُوا قَعْقَةَ السِّلَاحِ، وَلَكِنْ قَلَعَتِ الْأَوْتَادُ، وَقَطَعَتِ أَطْنَابُ الْفَسَاطِيطِ، وَأَطْفَأَتِ النَّيرانَ، وَأَكْفَأَتِ الْقُدُورَ، وَجَالَتِ الْخَيْلُ بَعْضُهَا فِي

(١) الآية ٩ من سورة الأحزاب.

٢١٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

بعض، وقذف الله في قلوبهم الرعب، فارتحلوا، وتركوا ما استقلوه من متاعهم^(١).

١ - وقيل: إن الملائكة لم يقاتلوا يومئذ، بل كانوا يشجعون المؤمنين، ويحبسون الكافرين^(٢).

٢ - في رواية: أن الملائكة قطعت أوتاد الخيام، وأطفأت نيرانهم، ورأى الجيش أنه لا خلاص لهم إلا بالفرار^(٣).

٣ - قال البعض: وكثر تكبير الملائكة في جوانب عسكرهم حتى كان سيد كل حي يقول: يا بني فلان هلم، حتى إذا اجتمعوا عنده قال: النجاة النجاة، أتيتم^(٤)، لما بعث الله عليهم من الرعب.

٤ - قال البلاذري: «وغشيتهم الملائكة تطمس أبصارهم»^(٥).

٥ - قيل إنما بعث الله الملائكة تزجر خيل العدو وإبلهم، فقطعوا مدة ثلاثة أيام في يوم واحد فارين منهزمين^(٦).

(١) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ عن ابن ظفر في الينبوع، والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٤ وراجع: سعد السعود ص ١٣٨.

(٢) مجمع البيان ج ٨ ص ٣٣٩ والبحار ج ٢٠ ص ١٩٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩١.

(٣) حبيب السير ج ١ ص ٣٦٤.

(٤) راجع: بهجة المحافل ج ١ ص ٢٩٦ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٦ ولم يذكر الملائكة. والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ وسعد السعود ص ١٣٨.

(٥) أنساب الأشراف ص ٣٤٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٦.

(٦) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٦.

الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق؟! ٢١٩

٦ - جاءت الملائكة، فقالت: يا رسول الله، إن الله قد أمرنا بالطاعة لك، فمرنا بها شئت.

فقال: زعزعي المشركين وأرعبهم، وكوني (وكونوا) من ورائهم.. أي فهي قد نفثت الرعب في قلوبهم^(١).
٧ - وقالوا: إن الملائكة لم تقاتل يومئذ^(٢).

مهمة حذيفة بن اليمان:

وبعد أن بقي النبي «صلى الله عليه وآله» في اثني عشر رجلاً^(٣) - أو في ثلاث مئة رجل - كما في روايات أخرى عن حذيفة - يحدثنا حذيفة عن تلك الليلة التي قام الرسول فيها على التل، الذي عليه مسجد الفتح - في ليلة ظلماء ذات قرة^(٤).

وكان المسلمون صافين قعوداً، والأحزاب فوقهم، وقرينة أسفل منهم، يخافونهم على ذرايعهم. ونحن نلخص كلامه هنا، فقد قال:

(١) راجع: الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٦ و ١٥٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٨ وراجع ص ٢٣٠ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ١٠ و ٣٢٦.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٥ عن البيهقي، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٦ وراجع السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠.

(٣) مستدرک الحاکم ج ٣ ص ٣١ وتلخيصه للذهبي بهامشه.

(٤) إعلام الوری (ط دار المعرفة) ص ١٠١ والكافي ج ٨ ص ٢٧٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦٨ وراجع ص ٢٣٠ وتفسير القمي ج ٢ ص ١٨٦.

٢٢٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

ما أنت علينا ليلة قط أشد ظلمة، ولا أشد ريحاً منها، في أصوات ريحها أمثال الصواعق وهي ظلمة ما يرى أحدنا إصبغه. فجعل المنافقون يستأذنون رسول الله، ويقولون: ﴿إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ﴾^(١). فما يستأذنه أحد منهم إلا أذن له، فيتسللون، ونحن ثلاث مئة، أو نحو ذلك. فطلب النبي «صلى الله عليه وآله» أن يأتيه أحدهم بخبر القوم، ثلاث مرات، فلم يجبه أحد من شدة الجوع والقر والخوف، فقال أبو بكر: يا رسول الله، ابعث حذيفة.

فلما كلم النبي «صلى الله عليه وآله» حذيفة تقاصر إلى الأرض، كراهية أن يقوم، فأمره «صلى الله عليه وآله» بالقيام، فقال له «صلى الله عليه وآله»: إنه كائن في القوم خبر، فأتني بخبر القوم.

وفي نص آخر: إن الله قد أخبرني: أنه قد أرسل الرياح على قریش فهزمهم.

فشكى إليه البرد، فقال له «صلى الله عليه وآله»: لا بأس عليك من حر ولا برد حتى ترجع إلي.

فذكر له أنه يخاف الأسر والتمثيل به فقال: إنك لن تؤسر، فخرج حذيفة، فدعا له النبي «صلى الله عليه وآله»، فذهب الفزع، والبرد عنه.

قال حذيفة: فمضيت كأنما أمشي في حمام^(٢). فلما وليت دعائي، فقال: يا

(١) الآية ١٣ من سورة الأحزاب.

(٢) في تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣١: أنه بعد أن اجتاز الخندق

شعر كأنه يمشي في حمام. وراجع: الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٧.

الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق؟! ٢٢١

حذيفة، لا تحدثن في شيء حتى تأتيني.

وفي رواية: أنه «صلى الله عليه وآله» قال له: أنت قريشاً، فقل: يا معشر قريش، إنما يريد الناس إذا كان غداً أن يقولوا: أين قريش؟ أين قادة الناس؟ أين رؤوس الناس؟ فيقدموكم، فتصلوا القتال، فيكون القتل فيكم.

ثم أتت بني كنانة، فقل: «وعلمه ما يشبه الكلام السابق لقريش، وكذا الحال بالنسبة لقيس».

فذهب حذيفة فلما دنا منهم رأى أدهم ضخماً عند نار توقد، وحوله عصبه، وقد تفرق الأحزاب عنه، وهو يقول: الرحيل الرحيل.

ولم يكن حذيفة يعرف أبا سفيان قبل ذلك، فانتزع سهماً ليرميه. فذكر وصية النبي «صلى الله عليه وآله» له، فأمسك.

قال: فلما جلست فيهم أحس أبو سفيان أنه قد دخل فيهم غيرهم، فقال: ليأخذ كل رجل منكم بيد جلسه. فضربت بيدي على يد الذي عن يميني، فأخذت بيده، فقلت: من أنت؟!!

قال: معاوية بن أبي سفيان. ثم ضربت بيدي على يد الذي عن شمالي، فقلت: من أنت؟

قال: عمرو بن العاص.

وفي نص آخر: سهيل بن عمرو.

وفي آخر: سبحان الله أما تعرفني؟! أنا فلان بن فلان، فإذا رجل من هوازن.

وعند الراوندي: خالد بن الوليد. فعلت ذلك خشية أن يفتن بي،

فبدرتهم بالمسألة.

ثم تلبثت فيهم هنيهة، وأتيت بني كنانة وقيساً، وقلت ما أمرني به رسول الله «صلى الله عليه وآله».

ثم دخلت في العسكر، فإذا أدنى الناس مني بنو عامر. ونادى عامر بن علقمة: يا بني عامر، إن الريح قاتلي وأنا على ظهر، وأخذتهم ريح شديدة. وصاح بأصحابه.

فلما رأى ذلك أصحابه جعلوا يقولون: يا بني عامر، الرحيل الرحيل، لا مقام لكم.

وإذا الريح في عسكر المشركين ما تجاوز عسكرهم شبراً، فوالله إني لأسمع صوت الحجارة في رحالهم، وفرشهم، والريح تضربها، فلما دنا الصبح نادوا أين قريش؟ أين رؤوس الناس؟.

فقالوا: أيها، هذا الذي أتينا به البارحة.

فقالوا: أين كنانة؟.

فقالوا: أيها، هذا الذي أتينا به البارحة.

أين قيس؟ أين أحلاس الخيل؟.

فقالوا: أيها، هذا الذي أتينا به البارحة.

فلما رأى ذلك أبو سفيان، أمرهم بأن يتحملوا، فتحملوا، وإن الريح لتغلبهم على بعض أمتعتهم. حتى رأيت أبا سفيان وثب على جمل له معقول فجعل يستحثه ولا يستطيع أن يقوم حتى حل بعد.

فعاد إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، فلما انتصف به الطريق التقى بعشرين فارساً، أو بفارسين فقط، فقالا: أخبر صاحبك: أن الله تعالى كفاه

الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق؟! ٢٢٣
القوم بالجنود والريح.

فرجع إلى النبي «صلى الله عليه وآله» فوجده يصلي، وعاد إليه البرد والقر، فسدل عليه فضل شملته فنام، ثم أخبره: أنه تركهم يرحلون.
وذكر ابن سعد: أن عمرو بن العاص وخالد بن الوليد أقاما في ماءتي فارس ساقة للعسكر، وردءأ لهم، مخافة الطلب^(١).

نص آخر لقضية حذيفة:

إننا نذكر نصاً مختصراً آخر لقضية حذيفة، ثم نحيل القارئ إلى المصادر التي ذكرت هذه القضية بتفصيل أو بإجمال ليراجعها من أراد الاستقصاء والمقارنة.

فنقول:

بعد أن ذكر المؤرخون ما قام به نعيم بن مسعود من كيد بين قريظة، وقريش وغطفان - وإن كنا نحن قد سجلنا فيما سبق تحفظات قوية عليه - قالوا:

«وتخاذل القوم، واتهم بعضهم بعضاً، وذلك في زمن شات، وليال باردة كثيرة الرياح، تطرح أبنتهم، وتكفأ قدورهم. وضاق ذرع القوم، وبلغ رسول الله «صلى الله عليه وآله» اختلاف القوم، وما هم فيه من

(١) راجع هذا النص الذي حاولنا تلخيصه في: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٧ - ٥٤٩ عن الحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقي، وأبي نعيم في دلائلها، ومسلم، وابن عساكر، وابن إسحاق، وستأتي بقية المصادر في الهامش الذي بعد التالي، وكنت العمال ج ١٠ ص ٢٨٢ و ٢٨٣.

٢٢٤..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

الجهد، فدعا حذيفة بن اليمان فبعثه إليهم، لينظر ما فعل القوم ليلاً.
قال حذيفة: فذهبت فرأيت من الرياح أمراً هائلاً، لا يقر لهم ناراً ولا بناءً.
فقام أبو سفيان بن حرب، فقال: يا معشر قريش، لينظر امرؤ جلسه.
قال: فبادرت وأخذت بيد الرجل الذي إلى جانبي، فقلت: من أنت؟!
قال: أنا فلان بن فلان.

ثم قال أبو سفيان: إنكم يا قوم ما أصبحتم بدار مقام، لقد هلك
الكراع والخف، وأخلفتنا بنو قريظة، وبلغنا عنهم ما نكره، ولقينا من الجهد
والشدة، وهذه الريح ما ترون، فارتحلوا، فإني مرتحل^(١).
ثم قام إلى جملة، وقام الناس معه.

في نص آخر: «قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه، ثم ضربه فوثب
على ثلاث قوائم».

وسمعت غطفان بما فعلت قريش، فانصرفوا إلى بلادهم.
وتفرق ذلك الجمع من غير قتال، إلا ما كان من عدة يسيرة، اتفقوا
على الهجوم الخ..

ثم ذكر قتل علي «عليه السلام» لعمره.. ثم قال: وانتقض ذلك الجمع
والتدبير كله^(٢).

(١) وفي نص آخر أنه قال: «إن كنا نقاتل أهل الأرض فنحن بالقدرة عليه، وإن كنا
نقاتل أهل السماء كما يقول محمد، فلا طاقة لنا بأهل السماء الخ..» الخرائج
والجرائح ص ١٥٧ والبحار ج ٢ ص ٢٤٨ عنه.

(٢) تجارب الأمم ج ٢ ص ١٥٢ و ١٥٣. وحديث حذيفة هذا موجود بإيجاز أو
بتفصيل في المصادر التالية: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٩ والكامل في التاريخ ج ٢ =

الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق؟! ٢٢٥

وذكرت المصادر: أنه «صلى الله عليه وآله» نادى حذيفة مرتين، فلم يجبه، وأجابه في الثالثة.

فقال له: تسمع صوتي ولا تجيبني؟! فاعتذر عن عدم إجابته بالخوف والبرد والجوع^(١).

= ص ١٨٤ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٣ - ١٥٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٧ - ٢٢١ وإعلام الوري (ط دار المعرفة) ص ١٠١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٥ و ٦٦ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٤٣ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ و ٣٤٥ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٧ و ١٧٨ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٩ و ٤٩٠ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩١ و ٤٩٢ والوفاء ج ٢ ص ٦٩٤ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٤٣٣ - ٤٣٥ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ١٩٥ - ١٩٧ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٠٨ و ٢٠٩ و ٢٦٨ و ٢٣٠ و ٢٣١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٤٩ - ٤٥٥ وفتح الباري ج ٧ ص ٣٠٧ و ٣٠٨ و ٣١٢ والكافي ج ٨ ص ٢٧٨ و ٢٧٩ وتفسيره وصحاحه، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد باب غزوة الأحزاب، والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٦ - ٣٢٨ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٣ و ٢٤٩ و ٢٥٠ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ - ١٢ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٧٠ و ٢٧١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٧٤ و ١٧٥ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٤٨ و ١٤٩ وكنز العمال ج ١٠ ص ٢٨٥.

(١) راجع: تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣٠ والخرايج والجرائح ج ١ ص ١٥٧ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٢٦ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٨٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ و ١١ ولم تصرح المصادر الثلاثة الأخيرة بأنه «صلى الله عليه وآله» ناداه باسمه ثلاث مرات، وكذا في المصادر =

٢٢٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

وثمة نص آخر يقول: إنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يبعث رجلاً من أصحابه يعبر الخندق فيعلم ما خبر القوم، فأتى رجلاً فطلب منه ذلك فاعتل، فتركه، وأتى آخر، فاعتل أيضاً فتركه، وحذيفة يسمع، ولكنه صامت لا يتكلم، فأتاه «صلى الله عليه وآله» وهو لا يدري من هو، فسأله إن كان قد سمع ما جرى، فأجاب بالإيجاب، ثم اعتذر عن عدم مبادرته لإجابة طلبه «صلى الله عليه وآله» بالجوع والضر. ثم أمره «صلى الله عليه وآله» بالذهاب الخ..^(١).

ونقول:

إننا لا نستطيع أن نؤكد صحة قضية حذيفة بها لها من خصوصيات وتفاصيل المذكورة آنفاً، وإن كنا لا نمنع من أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» قد أرسله لكشف خبر الأحزاب، فعاد إليه فأخبره بأنهم بدأوا بالرحيل..

وشكنا فيما عدا ذلك من تفاصيل وأحداث مزعومة، يستند إلى عدة أمور، نذكر منها:

= التالية: السنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٤٨ و ١٤٩ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٣٣ و ١٤٤ وراجع: مجمع البيان ج ٨ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ وتاريخ الخميس ١ ص ٤٩١ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٨ و ٢٠٩ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٥ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٧٤ و ١٧٥ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٢ و ٢٤٣ و ٢٤٩ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٧-٢١٩.

(١) دلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٠٦ و ٤٠٧.

الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق؟! ٢٢٧

أولاً: أننا نجد حذيفة يذكر أنه رأى أبا سفيان في ضوء النار الموقدة، وهو يستدفع بها مع أصحابه، وأراد أن يرميه بسهم، لولا أنه ذكر وصية النبي «صلى الله عليه وآله» له، وقد رآه رجلاً ضخماً أدهم.. فكان من الواضح له أنه استطاع أن يميز لونه، ويعرف أنه أدهم.

ولكنه يأتي ويجلس بين نفس تلك العصبة التي حول أبي سفيان. ولا يستطيع أن يراه أحد من تلك العصبة، ولا أحس به، رغم وجود النار والنور. ورغم إحساس أبي سفيان بأن رجلاً غريباً دخل بينهم. وإذا كانت الظلمة شديدة إلى هذا الحد، فكيف استطاع حذيفة أن يجد مكانه بينهم دون أن يصطدم ولو جزئياً بواحد منهم؟!.

وكيف استطاع حذيفة أن يرى العصبة وأبا سفيان، ويرى تفرق الأحزاب عنه، ثم لا يراه أحد، ولا يحس به أي منهم على الإطلاق؟. ثانياً: إذا كان أبو سفيان حين ورود حذيفة ينادي: الرحيل الرحيل، وكذلك كان عامر بن علقمة بن علاثة ينادي الرحيل الرحيل، لا مقام لكم، فما معنى أن يقوم حذيفة بدوره في تخذيلهم، وفق ما علمه الرسول إياه؟

ثالثاً: هناك اختلاف في نصوص الرواية. ونذكر تناقضاً صريحاً واحداً هنا وهو واقع في الرواية التي ذكرناها أولاً نفسها، فهي تقول: إن الريح كانت في عسكر المشركين، ما تجاوز عسكرهم شبراً. مع أنه قد جاء في بداية الرواية نفسها قوله: «ما أتت علينا ليلة قط أشد ظلمة، ولا أشد ريحاً منها، في أصوات ريحها مثل الصواعق، فجعل المنافقون يستأذنون الخ...».

رابعاً: تقول الرواية التي ذكرناها أولاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله»

٢٢٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

قد أمر حذيفة بأن يأتي قريشاً فيقول: يا معشر قريش، إنما يريد الناس الخ..
ثم يأتي كنانة فيقول كذا وكذا، ثم يأتي قيساً فيقول كذا وكذا..

وهذا لا ينسجم مع عنصر السرية الذي كان مطلوباً لحذيفة في ظروف كهذه. كما لا ينسجم مع ما جرى بينه وبين جليسه حين طلب أبو سفيان أن يعرف كل منهم جليسه.

وخامساً:

ألف: إن بعض المصادر ذكرت: أنه لما سأل حذيفة جليسه عن اسمه.
قال: سبحان الله، أما تعرفني؟! أنا فلان بن فلان، فإذا رجل من هوازن.
فما معنى تعجب هذا الرجل؟ فهل رأى حذيفة وجهه في ذلك الظلام الدامس ولم يعرفه، فأثار ذلك تعجبه؟!

ب: كما أننا نعرف أن حذيفة قد حضر حرب أحد، وكان أبو سفيان قائد جيش المشركين في أحد، فهل لم يكن قد رآه آنئذٍ، ليقول هنا: إنه لم يكن يعرف أبا سفيان حتى ذلك الوقت؟!.

وحين رآه واقفاً يوقد النار ويستدفع بها كيف عرف أنه أبو سفيان؟
فلعله رجل آخر من هذا الجيش الكثيف.

ج: تذكر رواية الراوندي: أن حذيفة قال: «فصرت إلى معسكرهم فلم أجد هناك إلا خيمة أبي سفيان، وعنده جماعة من وجوه قريش، وبين أيديهم نار تشتعل مرة، وتخبو أخرى، فانسللت فجلست بينهم»^(١).

والسؤال هو: لماذا لم يجد إلا خيمة أبي سفيان، فهل استعصت هذه

(١) الخرائج والجرائع ج ١ ص ١٥٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٨ عنه.

الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق؟! ٢٢٩

الخيمة فقط على الريح التي أرسلها الله سبحانه عليهم؟! ودمرت خيام جيش يعد بالألوف؟!

وسادساً: إن البعض قد أورد ما يشبه هذه الرواية، لكنه يجعل بطلها الزبير بن العوام، فهو يقول:

قال رسول الله «صلى الله عليه وآله» يوم الأحزاب: من يأتينا بخبر القوم؟!.

فقال الزبير: أنا.

ثم قال: من يأتينا بخبر القوم؟!

فقال الزبير: أنا.

ثم قال: من يأتينا بخبر القوم؟

فقال الزبير: أنا.

ثم قال: إن لكل نبي حوارياً، وإن حوارى الزبير^(١).

ونقول:

إذا كان هذا صحيحاً فلماذا ترك الزبير، ولم يرسله. وأرسل حذيفة؟!.

فأجاب البعض: بأن حذيفة إنما ذهب ليأتيه بخبر المشركين.

(١) حقائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٠ و ٥٩١ والسنن الكبرى للبيهقي ج ٩ ص ١٤٨ و عيون الأثر ج ٢ ص ٦٥ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٣١ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٤٧ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٧٠ عن البخاري ومسلم، وسنن الترمذي، وابن ماجه، وفي الأخير عن علي.

أما الزبير فقد كشف خبر بني قريظة^(١).

ولكنه كلام لا يصح: لأن ابن الديبع قد صرح بأن الزبير هو الذي سمع أبا سفيان ينادي، ويأمرهم بسؤال جلسائهم عن أنفسهم. قال الزبير: فبدأت بجليسي وقلت: من أنت؟^(٢).

وقد حاول دحلان أن يجيب عن ذلك التساؤل بطريقة أخرى، فقال: «فدعا حذيفة بن اليمان رضي الله عنهما وأرسله كما سيأتي، ولم يرسل الزبير (رض) مع سؤاله ذلك ثلاثاً؛ لأن له حدة وشدة، لا يملك معها نفسه أن يحدث بالقوم شيئاً مما نهى عنه حذيفة فيما يأتي، فاختر إرسال حذيفة ذلك. هذا هو التحقيق عند أئمة السير. وهو أن المرسل إنما هو حذيفة (رض). ونسب بعضهم الإرسال إلى الزبير، وهو اشتباه. وإنما إرسال الزبير (رض) في كشف خبر بني قريظة لما نقضوا العهد»^(٣) انتهى.

ونقول:

قد تقدم: أن إرسال الزبير إلى بني قريظة لا يصح أيضاً، فراجع. وأما أنه «صلى الله عليه وآله» عدل عن الزبير إلى حذيفة لأجل حدة كانت في الزبير، فإنما هو على فرض تسليم أصل القصة. وهي مردودة جملة وتفصيلاً؛ لأن حذيفة يصرح بأنه «صلى الله عليه وآله» ناداهم ثلاثاً فلم يجب منهم أحد، وهذا يكذب أن يكون الزبير قد أجاب ثلاث مرات.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٦٢ و ٥٦٣ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٣ وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٢.

(٢) حقائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٠ و ٥٩١.

(٣) السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٠ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨.

حقيقة القضية:

ونعتقد: أن ما يذكر للزبير هنا إنما هو من مجعولات محبيه، لينال وساماً عن غير جدارة ولا استحقاق.

أما حذيفة، فقد يكون النبي «صلى الله عليه وآله» أرسله لكشف خبر المشركين، فراقبهم عن بعد، أو عن قرب، وسمع بعض أقوالهم، ثم زاد الرواة على ذلك ما شاؤوا حتى أخرجوا القضية عن حدود المعقول والمقبول.

رسالة أبي سفيان للنبي ﷺ قبل الرحيل:

وكتب أبو سفيان إلى النبي «صلى الله عليه وآله» رسالة يقول فيها: لقد سرت إليك في جمعنا. وإنا نريد ألا نعود إليك أبداً حتى نستأصلك، فرأيتك قد كرهت لقاءنا وجعلت مضايق وخذاق، فليت شعري من علمك هذا؟.

فإن نرجع عنكم فلكم منا يوم كيوم أحد، تبقر فيه النساء. وبعث بالكتاب مع أبي أسامة الجشمي؛ فقرأه له أبي بن كعب؛ فكتب إليه «صلى الله عليه وآله»:

أما بعد، فقد بئاً غرك بالله الغرور، أما ما ذكرت أنك سرت إلينا في جمعكم، وأنك لا تريد أن تعود حتى تستأصلنا، فذلك أمر الله يحول بينك وبينه، ويجعل لنا العاقبة حتى لا تذكر اللات والعزى.

وأما قولك: من علمك الذي صنعنا من الخندق، فإن الله تعالى ألهمني ذلك لما أراد من غيظك به وغيظ أصحابك، وليأتين عليك يوم تدافعني بالراح، وليأتين عليك يوم أكسر فيه اللات والعزى، وأساف، ونائلة،

وهبل حتى أذكرك ذلك^(١).

ثمة نص آخر لكتاب كتبه أبو سفيان، فليراجع^(٢).

الرحيل الذليل:

وذكر الواقدي: أن أبا سفيان جلس على بعيره وهو معقول، ثم ضربه، فوثب على ثلاث قوائم، فما أطلق عقاله إلا بعد ما قام.

فناداه عكرمة: إنك رأس القوم وقائدهم، تقشع؟ وتترك الناس؟.

فاستحيا، فأناخ جملة ونزل عنه، وأخذ بزمامه وهو يقوده، وقالوا: ارحلوا.

قال: فجعل الناس يرتحلون وهو قائم حتى خف العسكر.

ثم قال لعمر بن العاص: يا أبا عبد الله، لا بد لي ولك أن نقيم في جريدة^(٣) من خيل يازاء محمد وأصحابه، فإننا لا نأمن أن نُطلب حتى ينفذ العسكر.

فقال عمرو: أنا أقيم.

وقال لخالد بن الوليد: ما ترى يا أبا سلمان؟.

فقال: أنا أيضاً أقيم.

فأقام عمرو وخالد في ماءتي فارس وسار العسكر إلا هذه الجريدة على

متون الخيل.

(١) المغازي ج ٢ ص ٤٩٢ والإمتاع ج ١ ص ٢٤٠ وخاتم النبیین ج ٢ ص ٩٤٢

وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٤ والنزاع والتخاصم ص ١٧ و ١٨ والغدير ج ٣ ص ٢٥٢ عنه.

(٢) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣١.

(٣) الجريدة: جماعة الخيل.

وأقامت الخيل حتى السحر، ثم مضوا فلاحقوا الأتقال والعسكر مع ارتفاع النهار بملل.

ولما ارتحلت غطفان وقف مسعود بن رخيعة في خيل من أصحابه، ووقف الحارث بن عوف في خيل من أصحابه، ووقف فرسان من بني سليم في أصحابهم، ثم تحملوا في طريق واحدة، وكرهوا أن يتفرقوا حتى أتوا على المراض (موضع على ستة وثلاثين ميلاً من المدينة) ثم تفرقوا إلى محالهم^(١).

لكن الراوندي يقول: إن أبا سفيان قال لخالد:

إما أن تتقدم أنت فتجمع إلي الناس، ليلحق بعضهم ببعض، فأكون على الساقة، وإما أن أتقدم أنا وتكون على الساقة.
قال: بل أتقدم أنا وتتأخر أنت.

فقاموا جمعياً، فتقدموا، وتأخر أبو سفيان فخرج من الخيمة، وأنا اختفيت في ظلها، فركب راحلته وهي معقولة من الدهش الذي كان به، فنزل محل العقال، فأمكنني قتله، فلما هممت بذلك تذكرت الخ^(٢).

فالرواية المتقدمة تقول: إن خالداً قد بقي هو وعمرو بن العاص في جريدة من مائتي فارس، وهذه تقول: إن خالداً تقدم على أبي سفيان، وابن العاص حيث بقي أبو سفيان على ساقة العسكر، وابن العاص في الجريدة،

(١) المغازي ج ٢ ص ٤٩٠ وأشار إلى ذلك في عيون الأثر ج ٢ ص ٦٦، وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١١ و ١٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٧ وراجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٩.

(٢) الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٧ والبحار ج ٢ ص ٢٤٨ عنه.

التي تأخرت.

ومهما يكن من أمر: فقد روي عن قتادة: أن سيد كل حي كان يقول: يا بني فلان هلم إلي، حتى إذا اجتمعوا عنده قال: النجاة، النجاة أتيتم. لما بعث الله عليهم من الرعب، وتركوا ما استقلوه من متاعهم^(١).

ويقول البلاذري: بعد أن ذكر: أن الله سبحانه قد أرسل عليهم ريحاً صفراء، فمألت عيونهم فدخلهم الفشل والوهن، وانهمز المشركون وانصرفوا إلى معسكرهم، ودامت عليهم الريح..

وقالت غطفان وسليم: «والله، لمحمد أحب إلينا، وأولى بنا من يهود، فما بالنا نؤذيه وأنفسنا، وكانت تلك السنة مجدبة، فجهدوا، وأضر مقامهم بكرائعهم، فانصرفوا، وانصرف الناس»^(٢).

وكفى الله المؤمنين القتال (بعلي) ﷺ:

إن ملاحظة معظم المؤرخين تعطينا:

١ - إن ما فعله نعيم بن مسعود - حسب زعمهم - من الفتنة بين بني قريظة والمشركين، ثم إرسال الريح عليهم - كان هو السبب في هزيمة الأحزاب^(٣).

(١) راجع: بهجة المحافل ج ١ ص ٢٦٩ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٦ عن ابن جرير، وابن أبي حاتم والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ وراجع: السيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢.

(٢) أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٥.

(٣) راجع: على سبيل المثال: فتح الباري ج ٧ ص ٣٠٢.

الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق؟! ٢٣٥

٢- وبعضهم يرى: أن السبب هو الريح فقط، أو الريح والجنود^(١).

٣- والبعض يرى: أن ما فعله نعيم هو السبب^(٢).

بل يقول البعض:

إن دور الريح والملائكة كان صورياً. والسبب الحقيقي هو الفرقة التي بثها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بين صفوف المهاجرين، فأصبح بعضهم لا يأمن بعضاً قبل المعركة، فكيف يأمنه إذا حيي الوطيس واحمرت الخدق؟!.

ولذلك ما إن هبت عليهم الرياح التي أرسلها الله حتى اتخذوها ذريعة للانسحاب من ميدان القتال يحملون في قلوبهم الضغائن على بعضهم^(٣).

وهو كلام عجيب لما فيه من الجرأة والوقاحة على نفى كلام القرآن، الذي يصرح بالدور القوي للملائكة وللريح في حسم الموقف، كما تقدم في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا﴾^(٤).

فهل يرى هذا الكاتب أن ما أرسله الله سبحانه لم يكن له أي أثر أو دور إلا أنه اتخذ ذريعة للفرار من قبل المشركين؟!.

وقد ورد أنه «صلى الله عليه وآله» كان يقول: «لا إله إلا الله وحده، أعز

(١) راجع: سيرة مغلطاي ص ٥٦ والدر المنثور ج ٥ ص ١٩٢ عن ابن أبي حاتم وابن جرير عن السدي وقتادة.

(٢) الدر المنثور ج ٢ ص ١٩٥ عن ابن سعد بن المسيب.

(٣) التفسير السياسي للسيرة ص ٢٦٢ و ٢٦٣.

(٤) الآية ٩ من سورة الأحزاب.

٢٣٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١
جنده، ونصر عبده، وغلب (أو وهزم) الأحزاب وحده، فلا شيء بعده^(١).
ونقول:

إن النصوص المختلفة تلمح وتصرح: بأن هزيمة الأحزاب كانت لأسباب
ثلاثة:

الأول: وهن أمر المشركين بسبب تضعضع ثقتهم ببعضهم البعض، مع
طول الحصار، ثم مع ما واجهوه من مصاعب فيما يرتبط بالناحية المعيشية
لهم ولكراعهم.

وذلك لأن خروجهم إلى حرب النبي بعد انقضاء زمن الحصاد، وفي
سنة مجدبة، قد تسبب بنكسة قوية. وهو يدل على أنهم لم يدرسوا الموقف من
جميع جوانبه، ولعل ذلك لأجل أنهم كانوا مطمئنين إلى أنهم سيحسمون
الموقف لصالحهم في فترة وجيزة ففاجأهم الرسول بخطته الحربية التي
كانت قاصمة الظهر بالنسبة إليهم.

الثاني: ما أرسله الله سبحانه عليهم من الريح والجنود التي لا ترى، فإن
الآية وإن لم تصرح بأن هزيمتهم كانت بسبب ذلك إلا أن عدم التصريح هذا
لأن ذلك لم يكن هو تمام السبب في الهزيمة، بل كان من المؤثرات فيها.

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٠ عن البخاري والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١١ و
١١٥ عن الصحيحين ومجمع البيان ج ٨ ص ٢٤٥ وتاريخ الإسلام للذهبي
(المغازي) ص ٢٥٠ وعن مسلم كتاب الذكر ج ٨ ص ٨٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٩
ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٥٦ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ وبهجة
المحافل ج ١ ص ٢٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢١٤ و ٢٢١ وعن فتح
الباري ج ٧ ص ٤٠٦.

الثالث: ما قذفه في قلوبهم من الرعب، بسبب قتل فرسانهم وكبش كتيبتهم، حتى يشسوا من أن يلجوا الخندق مرة أخرى.

قال ابن العبري: «وبقوا بضعة وعشرين يوماً لم يكن بينهم حرب. ثم جعل واحد من المشركين يدعو إلى البراز، فسعى نحوه علي بن أبي طالب، فقتله وقتل بعده صاحباً له، وكان قتلها سبب هزيمة الأحزاب، على كثرة عددهم، ووفرة عددهم»^(١).

ب: وقال المعتزلي: «الذي هزم الأحزاب هو علي بن أبي طالب، لأنه قتل شجاعهم وفارسهم عمرواً لما اقتحموا الخندق، فأصبحوا صبيحة تلك هارين مفلولين، من غير حرب سوى قتل فارسهم»^(٢).

ج: وقال الشيخ المفيد: «فتوجه العتب إليهم، والتوبيخ والتقريع، والخطاب. ولم ينج من ذلك أحد بالاتفاق إلا أمير المؤمنين «عليه السلام»، إذ كان الفتح له، وعلى يديه. وكان قتله عمرواً ونوفل بن عبد الله سبب هزيمة المشركين»^(٣).

د: ويقولون أيضاً: «وفر عكرمة، وهبيرة، ومرداس، وضرار، حتى انتهوا إلى جيشهم، فأخبروهم قتل عمرو ونوفل، فتوهن من ذلك قريش، وخاف أبو سفيان. وكادت أن تهرب فزارة، وتفرقت غطفان»^(٤).

هـ: تقدم عن علي عليه الصلاة والسلام أنه قال عن قتله لعمر بن

(١) تاريخ مختصر الدول ص ٩٥.

(٢) شرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج ٥ ص ٧.

(٣) الإرشاد ص ٦٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٨.

(٤) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٨٧ و ٤٨٨ عن روضة الأحباب.

٢٣٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

عبد ود يوم الأحزاب: «فهزم الله قريشاً والعرب بذلك، وبما كان مني فيهم من النكاية»^(١).

و: ثم هناك ما روي عن ابن مسعود: من أنه كان يقرأ - على سبيل التفسير والبيان طبعاً - ﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ﴾ بعلي^(٢).

فكلمة: بعلي ليست من القرآن، وإنما هي زيادة تفسيرية للآية، للتأكيد على نزولها في أمير المؤمنين «عليه السلام».

وما أكثر القراءات التفسيرية هذه، فراجع كتابنا: «حقائق هامة حول القرآن الكريم».

-
- (١) الخصال للشيخ الصدوق ج ٢ ص ٣٦٩ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٤.
- (٢) راجع: الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٢ عن ابن أبي حاتم، وابن مردويه، وابن عساكر وينايع المودة ص ٩٤ و ٩٦ و ١٣٧ عن المناقب وأبي نعيم وميزان الاعتدال ج ٢ ص ٣٨٠ ومناقب آل طالب ج ٣ ص ١٣٤ والإرشاد للمفيد ص ٦٢ وكشف الغمة للأربلي ج ١ ص ٢٠٦ وفضائل الخمسة من الصحاح الستة ج ١ ص ٣٢٣ والبحر المحيط ج ٧ ص ٢٢٤ ورورح المعاني ج ٢١ ص ١٧٥ وكفاية الطالب ص ٢٣٤ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٥٠ و ٣٣٤ والبحار ج ٢٠ ص ١٩٦ و ٢٠٥ و ٢٥٩ وج ٤١ ص ٨٨ وشواهد التنزيل (ط وزارة الثقافة والإرشاد الإيرانية) ص ٧ و ٨ و ٩ ج ٢ ونهج الحق ص ١٩٩ وترجمة الإمام علي من تاريخ دمشق ج ٢ ص ٤٢٠. وملحقات إحقاق الحق للمرعشي النجفي ج ٣ ص ٣٧٦ - ٣٨٠ وج ١٤ ص ٣٢٧ - ٣٢٩ وج ٢٠ عن مصادر تقدمت وعن المصادر التالية: معارج النبوة للكاشفي ج ١ ص ١٦٣ ومناقب مرتضوي ص ٥٥ ومفتاح النجا للبدرخشي (مخطوط) ص ٤١ وتجهيز الجيش ص ٨١ (مخطوط) ودر بحر المناقب (مخطوط) ص ٨٥ وأرجح المطالب ص ٧٥ و ١٨٦.

الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق؟! ٢٣٩

ز: عن ابن عباس: كفاهم الله القتال يوم الخندق، بعلي بن أبي طالب، حين قتل عمرو بن عبد ود^(١).

وذكر القمي أيضاً: نزول الآية في علي فراجع^(٢). وكذا روي عن الإمام الصادق^(٣).

ح: تقدم في الفصل السابق قول الحافظ يحيى بن آدم، أو جابر بن عبد الله الأنصاري: ما شبهت قتل علي عمرواً إلا بقوله تعالى: ﴿فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ﴾^(٤).

ط: قال الشيخ المفيد: «وقال رسول الله بعد قتله هؤلاء النفر (يعني: عمرواً وأصحابه): الآن نغزوهم ولا يغزوننا»^(٥).

وعند المعتزلي الشافعي: أنه «صلى الله عليه وآله» قال عند قتل عمرو: «ذهب ربحهم، ولا يغزوننا بعد اليوم، ونحن نغزوهم إن شاء الله»^(٦).

أشجع الأمة:

قال المحقق التستري: تدل الآية بناء على قراءة ابن مسعود: «على كون

(١) شواهد التنزيل (ط) وزارة الثقافة والإرشاد الإيرانية) ج ٢ ص ١٠ وشرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج ١٣ ص ٢٨٤ عن الإسكافي.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٩ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣٣.

(٣) ينابيع المودة ص ٩٦ ومناقب آل أبي طالب ج ٣ ص ١٣٤ والبحار ج ٤١ ص ٨٨.

(٤) الآية ٢٥١ من سورة البقرة.

(٥) الإرشاد ص ٦٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٨.

(٦) شرح النهج للمعتزلي الشافعي ج ١٩ ص ٦٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٧٣ عنه.

٢٤٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

علي أشجع من كل الأمة، وأنه تعالى به «عليه السلام» كفى شر العدو عنهم يوم الأحزاب، فيكون أفضل منهم، ﴿وَفَضَّلَ اللَّهُ الْمُجَاهِدِينَ عَلَى الْقَاعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا﴾^(١)».

وقال المظفر: «..فمنه حياة الإسلام والمسلمين، ولولا أن يكفيهم الله تعالى القتال بعلي لاندurst معالم الإسلام، لضعف المسلمين ذلك اليوم، وظهور الوهن عليهم الخ..»^(٢).

مفارقة في الموقف:

وقد ذكرت إحدى الروايات: أن هند بنت عمرو بن حزام، حين قتل زوجها عمرو بن الجموح وأخوها عبد الله، وابنها في حرب أحد، قالت لعائشة: أما رسول الله «صلى الله عليه وآله» فصالح، وكل مصيبة بعده جليل. واتخذ الله من المؤمنين شهداء ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾^(٣).

قال المعتزلي: قلت: هكذا وردت الرواية. وعندني أنها لم تقل كل ذلك. ولعلها قالت: ﴿وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ﴾ لا غير. وإلا فكيف يواطئ كلامها آية من كلام الله تعالى، أنزلت بعد الخندق. والخندق بعد أحد. هذا

(١) الآية ٩٥ من سورة النساء.

(٢) إحقاق الحق ج ٣ ص ٣٨١.

(٣) دلائل الصدق ج ٢ ص ١٧٥.

(٤) الآية ٢٥ من سورة الأحزاب.

الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق؟! ٢٤١
من البعيد جداً^(١).

ونقول:

إننا نوافق المعتزلي على ما قاله.

ولكننا نقول له: كيف صار هذا من البعيد جداً، ولم تكن موافقات عمر للقرآن^(٢) على اختلافها وتنوعها، من البعيد جداً أيضاً؟! أم أن عبقرية عمر ليست لغيره من البشر، حتى الأنبياء وأوصيائهم، فضلاً عن النساء؟ أم أن حق التأليف القرآني محفوظ لعمر بن الخطاب بالإشتراك مع العزة الإلهية؟! تعالى الله عما يقول الجاهلون والوضاعون لفضائل عمر علواً كبيراً.

الآن نغزوهم، ولا يغزوننا:

وذكروا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال يوم الأحزاب، حين أجلاهم الله سبحانه: الآن نغزوهم ولا يغزوننا، نحن نسير إليهم. أو قال: لن تغزوكم قريش بعد عامهم (أو عامكم) هذا، أو نحو ذلك^(٣). فلم تغز كفار قريش المسلمين بعد الخندق^(٤).

(١) شرح نهج البلاغة للمعتزلي الشافعي ج ١٤ ص ٢٦٢.

(٢) راجع على سبيل المثال: تاريخ عمر بن الخطاب لابن الجوزي ص ٣٢ - ٣٤ والغدير للعلامة الأميني ج ٥ ص ٤٣ - ٦٥.

(٣) راجع المصادر التالية: سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٩ عن أحمد، والبخاري، والبخاري، والبيهقي، وأبي نعيم، وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٣٩٤، و ٤٥٧ و ٤٥٨ والسيرة النبوية =

متى قال النبي ﷺ كلمته؟!

وقد صرح المفيد والمعتزلي: بأنه «صلى الله عليه وآله» قد قال ذلك حين قُتل عمرو وأصحابه. لكن المؤرخين الآخرين يذكرون ذلك بعد جلاء الأحزاب.

والظاهر هو: أنه لا فرق بين القولين، لأن جلاء الأحزاب كان في اليوم الثاني، أو الثالث من قتل الفرسان. فلم يكن هناك فاصل زمني يعتد به. ولا حدث بعد قتلهم أحداث متميزة ومهمة سوى ما أرسله الله سبحانه

= لابن دحلان ج ٢ ص ١٢ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٥ وشرح النهج للمعتزلي ج ١٩ ص ٦٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥١ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ والبحار ج ٢٠ ص ٢٥٨ و ٢٧٣ و ٢٠٩ والإرشاد للمفيد ص ٦٢ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٨ وعبون الأثر ج ٢ ص ٦٦ وراجع ص ٧٦ وحدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٢ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٤ والبداءة والنهاية ج ٤ ص ١١٥ عن ابن إسحاق ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٤٤ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٧١ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢.

(١) إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤١ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٤٩ والبداءة والنهاية ج ٤ ص ١١٥ ومجمع البيان ج ٢ ص ٣٤٥ والبحار ج ٢٠ ص ٢٠٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٣ ص ٤٥٨ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢١ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٠٧ والبحر المحيط ج ٧ ص ٢٢٤.

على الأحزاب من الريح.

ولعل البعض: قد حاول تسمية الأمر هنا، لأجل أن يقلل من أهمية الإنجاز الكبير الذي حققة علي «عليه السلام»، الذي ابتلي بأناس لا يزالون يحاولون إنكار فضائله، وإطفاء نور جهاده الرسالي الرائد.

لماذا لن تغزوهم قريش بعد اليوم؟!

لقد أشاع المشركون بعد حرب أحد: أن المسلمين قد هزموا، وتكبدوا خسائر فادحة، رغم أن نهايات حرب أحد كانت كبداياتها قد أرعبت جيش الشرك، وهزمت روحياً وعسكرياً، وإن كانت قد حصلت نكسة في أواسط المعركة، تكبد المسلمون بسببها خسارة كبيرة.

ولكنهم بفضل جهاد علي «عليه السلام»، ثم عودة الخالص من المسلمين للقتال قد استعادوا زمام المبادرة، وانتهت الحرب بهزيمة المشركين وكسر عنفوانهم، وتكبدوا هم أيضاً خسائر كبيرة على مستوى القيادات وغيرها.

ولكن الخسارة التي مني بها المسلمون كانت أكبر - كما قلنا - فكان أن أشاع المشركون أنهم قد انتصروا في حرب أحد، كمحاولة دعائية فارغة لرد الاعتبار. ثم حزبوا الأحزاب، وجمعوا الجموع، واتفقوا مع يهود بني قريظة، فانتعشت آمالهم من جديد، وبدأ واضحاً لهم: أن أمر المسلمين قد انتهى، وأصبحت المسألة مسألة وقت لا أكثر ولا أقل.

وقد كانت المشاركة الشاملة للقبائل الفاعلة في المنطقة تطمئن زعماء قريش، الذين حشدوا كل ما لديهم من قوى بشرية ومادية لحسم هذا

الأمر، والتخلص من هذا الكابوس الجاثم على صدورهم.
ولكن وجود الخندق، وحسن إدارة الرسول «صلى الله عليه وآله» لأمر الحرب معهم، قد هباً للمسلمين فرصة للمطالبة في أمر الحرب، حتى مل الأحزاب طول الحصار، وأصبحوا يواجهون مشكلات على مستوى التموين وغيره.

ثم ظهرت خلافات زعزعت الثقة فيما بين الفرقاء المؤتلفين، حيث فسد الأمر بينهم وبين بني قريظة وكان الرسول الأعظم «صلى الله عليه وآله» السبب في ظهورها، حسبما أوضحناه.

ثم كان قتل علي «عليه السلام» لعمر، فارس الأحزاب وكبش كتيبتهم، ولبن معه، وفرار الباقي، هو الضربة القاصمة لهم، والمرعبة لقلوبهم.

وجاءت الرياح لتثير في نفوسهم المزيد من الخوف والرعبة، والإحساس بالوحشة والوحدة. حيث يجد كل منهم نفسه مسؤولاً عن حفظ نفسه في مواجهة طغيان هذه الرياح. ولا أحد يستطيع مساعدته والدفع عنه.

فأثروا الفرار على القرار، خوفاً من أن يبطش بهم سيف الإسلام من جديد، دون أن يتمكنوا من لم شعثهم، وتسوية صفوفهم. بل وحتى دون أن يتمكنوا من رؤية ما حولهم، لأنهم أصبحوا في ظلمة شديدة، وحالة مزرية إلى أبعد الحدود.

فكانت الهزيمة، وكان الخزي والعار لهم، دون أن يتمكنوا من تحقيق أي شيء سوى أنهم قتلوا أفراداً قليلين، قد لا يتجاوزون عدد أصابع اليد الواحدة وقد خسروا في المقابل ما يعادل نفس هذا العدد، إلا أن من بينهم فارس قريش والعرب عمرو بن عبد ود العامري لعنه الله.

فإذا كان هذا أكبر حشد يمكن لقوى الشرك والكفر في المنطقة كلها أن تقوم به، وقد طار صيت هذا الحشد في مختلف البلاد، وشدت إليه الأنظار، وانتظر الناس أخباره في الليل والنهار، وتوقعت القبائل نتائجه في مختلف أرجاء الجزيرة العربية بفارغ الصبر لا سيما وأن الهدف الذي أعلنوه لهذه الحرب، هو استئصال محمد ومن معه، حسبما تقدم^(١).

فإن النتائج التي قدمها هذا الحشد كله، قد جاءت بمثابة زلزال هز المنطقة من الأعماق، وبث روح الفشل والوهن في كل قلب، وزرع الخوف والرعب في كل بيت.

وحدثت الهزيمة الساحقة والملاحقة لكل عنفوان الشرك، وجبروت الكفر حيث فهم الجميع أن أقصى ما يمكن لهم أن يفعلوه ضد الإسلام ونبي الإسلام قد فعلته قريش والأحزاب ولم ينته إلى نتيجة.

وكانت النتيجة كذلك هي أن قريشاً قد فقدت الكثير من نفوذها ومكانتها، ولم تعد الكثير من القبائل تجد نفسها ملزمة بالخط أو الموقف الذي تريد قريش إلزامها به.

ولم يعد بالإمكان إقناع الكثير من القبائل بالمخاطرة بمستقبلها، والدخول في حرب جديدة مع الإسلام ومع المسلمين.

أضف إلى ذلك: أنه لم يعد بالإمكان تحصيل درجة كافية من الوثوق

(١) راجع: إمتاع الأسعاج ج ١ ص ٢٤١ وخاتم النبیین ج ٢ ص ٩٤٢ والمغازي للواقدي ج ٢ وبقية المصادر - وهي كثيرة جداً - تجدها في فصل: الأحزاب إلى المدينة، وفي فصل: غدر بني قريظة.

٢٤٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

بالآخرين، الذين لا بد من ضمان مشاركتهم الفاعلة حتى النهاية. بعدما أثبتت التجربة مع بني قريظة، بل وفيما بين فئات المشركين أنفسهم، أن الرهان على ذلك رهان فاشل، بل هو رهان على يباب وسراب.

وهكذا فإن القبائل التي باتت على يقين من عجزها عن مواجهة الإسلام تسير باتجاه ترميم علاقاتها، وتحسينها مع التيار الإسلامي الجديد، الذي لا يزال يتنامى ويتعاضم في المنطقة بصورة مطردة.

وظهر مصداق قوله «صلى الله عليه وآله»: الآن نغزوهم ولا يغزونا أو ما هو قريب من هذا.

وأصبح زمام المبادرة العسكرية على الخصوص بيد المسلمين، منذ هزيمة الأحزاب واليهود في حرب الخندق.

﴿وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا﴾^(١).

غلط حسابات المعتزلي:

وقد ادّعى المعتزلي: أن النبي «انتصر يوم بدر، وانتصر المشركون عليه يوم أحد وكان يوم الخندق كفافاً، خرج هو وهم سواء لا عليه ولا له، لأنهم قتلوا رئيس الأوس، وهو سعد بن عباد، وقتل منهم فارس قريش، وهو عمرو بن عبد ود، وانصرفوا عنه بغير حرب بعد تلك التي كانت»^(٢).

وقد اشتبه الأمر على المعتزلي في موضعين:

أحدهما: قوله: إن المشركين انتصروا على النبي «صلى الله عليه وآله»

(١) الآية ٢٥ من سورة الأحزاب.

(٢) شرح النهج للمعتزلي ج ١٠ ص ٢٢٠.

الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق؟! ٢٤٧
يوم أحد.

وقد بينا في غزوة أحد: أن النصر فيها كان للمسلمين، وأن المشركين قد فروا من ساحة الحرب، خوفاً من أن ينال المسلمون منهم بصورة أشد وأعنف. نعم.. قد حصلت نكسة للمسلمين في وسط المعركة، ثم تجاوزوها بفضل جهاد علي، وقتله العديد من قادة كتائب المشركين، فراجع. الثاني: دعواه: أنه يوم الأحزاب لم يكن النصر لأحد، مع أن النصر فيها كان للمسلمين، وذلك أمر ظاهر لا يحتاج إلى بيان. وقد أوضحنا ذلك فيما تقدم من نصوص وبحوث.

إلا أن يكون محط نظر المعتزلي هو عدد القتلى الذين سقطوا من الفريقين في هذه المعارك.

ولكن من الواضح: أن تعبيره بالنصر والهزيمة - والحالة هذه - يصبح بلا مبرر.

الشهداء والقتلى:

١ - الشهداء من المسلمين:

قال مالك: لم يستشهد يوم الخندق إلا أربعة، أو خمسة^(١).
وقال أبو زهرة: خمسة^(٢).

(١) الوفاء ج ١ ص ٣٠٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ عن الوفاء والجامع للقيرواني ص ٢٨١.

(٢) خاتم النبیین ج ٢ ص ٩٣٨.

وقيل: كان الشهداء ستة، منهم سعد بن معاذ.

وزاد الكازروني: أنهم من الأنصار^(١).

وقال البعض: استشهد سعد في سبعة من الأنصار^(٢).

وقال البعض: قتل من المسلمين ثمانية، مضيفاً الرجلين اللذين قيل:

إنها كانا طليعة للمسلمين فقتلا^(٣). وقد تقدم عدم صحة ذلك.

وحسب بعض المصادر، فالشهداء هم: ثلاثة من بني عبد الأشهل:

سعد بن معاذ، رمي بسهم، وأنس بن أوس، قتله خالد بن الوليد، وعبد

الله بن سعد، رماه رجل من بني عوف فقتله.

وإثنان من بني جشم، هم: الطفيل بن النعمان، قتله وحشي، وابن

عتمة، قتله هيرة بن أبي وهب.

(١) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٠ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٣ وراجع: البدء والتاريخ ج ٤ ص ٢٢٠ ومختصر التاريخ ص ٤٣ والوفاء ص ٦٩٤ وإمتاع الأسع ج ١ ص ٢٤٠ و ٢٤١، ومناقب آل أبي طالب ج ١ ص ١٩٨ وبهجة المحافل وشرحه ج ١ ص ٢٧٢ وحبيب السير ج ١ ص ٣٦٤ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٠ و ٥٥١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٥ و ٤٩٦ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٧ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٤ و ٢٦٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٥ و ١١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٢ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥٢ وراجع: تاريخ الأمم والملوك ج ٢ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٨ و ١٧٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٠٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣.

(٢) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٢.

(٣) الرسول العربي وفن الحرب.

الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق؟! ٢٤٩

وواحد من بني النجار (أو دينار) هو كعب بن زيد، أصابه سهم غرب فقتله، وقيل: قتله ضرار بن الخطاب.

وزاد الدمياطي في الشهداء من المسلمين: قيس بن زيد بن عامر، وعبد الله بن أبي خالد، وأبا سنان بن صيفي بن صخر، ذكر الحافظ في الكنى: أنه شهد بدرًا، واستشهد في الخندق^(١).

٢- القتلى من المشركين:

وقتل من المشركين ثمانية^(٢).

وقيل: ثلاثة^(٣).

وقيل: أربعة جميعهم من قريش^(٤). وقد سمت بعض المصادر القتلى.

والقتلى الثلاثة من المشركين هم: منبه بن عثمان (أو عثمان بن أمية بن منبه) أصابه سهم فمات بمكة. ونوفل بن عبد الله، وعمرو بن عبد ود^(٥)،

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥١ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٧ و ٦٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣.

(٢) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٠.

(٣) راجع المصادر التي تقدمت للقول بأن شهداء المسلمين ستة.

(٤) العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣٢ والرسول العربي وفن الحرب ص ٢٥٤ وروح المعاني ج ٢١ ص ١٧٥.

(٥) راجع: إمتاع الأسباع ج ١ ص ٢٤٠ و ٢٤١ وسبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٠

و ٥٥١ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٥ و ٤٩٦ و عيون الأثر ج ٢ ص ٦٧

والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٦٤ و ٢٦٥ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٥

و ١١٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٢ وتاريخ الإسلام للذهبي =

٢٥٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

وعبيد بن السباق^(١). فليتأمل في هذا الأخير وليراجع كلام ابن إسحاق.
وتقدم: أن حسل بن عمرو بن عبد ود قد قتل هو الآخر مع أبيه.
فراجع الفصل السابق.

وقال ابن شهر آشوب: إن علياً «عليه السلام» قتل يوم الأحزاب:
عمرو بن عبد ود وولده، ونوفل بن عبد الله بن المغيرة، ومنبه بن عثمان
العبدري، وهيرة بن أبي هيرة المخزومي^(٢).

العودة إلى المدينة:

قالوا: «وأصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» بالخندق، وليس بحضرته
أحد من عساكر المشركين، قد هربوا وانقشعوا إلى بلادهم.
فأذن للمسلمين في الانصراف إلى منازلهم. فخرجوا مبادرين مسرورين
بذلك.

فكره رسول الله «صلى الله عليه وآله» أن تعلم بنو قريظة حب رجعتهم إلى
منازلهم، فأمر بردهم، فبعث من ينادي في أثرهم، فما رجع منهم رجل

= (الغازي) ص ٢٥٢ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢
ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٧٨ و ١٧٩ وتهذيب سيرة ابن هشام ص ٢٠٦ وحبيب
السير ج ١ ص ٣٦٤ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٧٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢
ص ١٣ والبحر المحيط ج ٧ ص ٢٢٤ وروح المعاني ج ٢١ ص ١٧٥.

(١) البحر المحيط ج ٧ ص ٢٢٤.

(٢) مناقب آل أبي طالب ج ٢ ص ٨٣.

واحد»^(١).

زاد في نص آخر قوله: «من القر والجوع، قالوا: وكره رسول الله «صلى الله عليه وآله» سرعتهم، وكره أن يكون لقريش عيون.

قال جابر: فرجعت إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فلقيته في بني حرام منصرفاً، فأخبرته، فضحك «صلى الله عليه وآله»^(٢).

ويقول القمي عن الأحزاب: «ففروا منهزمين، فلما أصبح رسول الله «صلى الله عليه وآله» قال لأصحابه: لا تبرحوا.

فلما طلعت الشمس دخلوا المدينة، وبقي رسول الله «صلى الله عليه وآله» في نفر يسير»^(٣).

ويقول الراوندي: «إن النبي «صلى الله عليه وآله» صلى بالناس الفجر، ونادى مناديه: لا يبرحن أحد مكانه إلى أن تطلع الشمس.

فما أصبح إلا وقد تفرق عنه الجماعة إلا نفرأ يسيراً.

فلما طلعت الشمس انصرف رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ومن كان معه، فلما دخل منزله الخ...»^(٤).

(١) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٠ والمغازي ج ٢ ص ٤٩١. وفي إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٣٩ اكتفى بالقول: «وأصبح «صلى الله عليه وآله»، فأذن للمسلمين بالانصراف، فلهقوا بمنازلهم».

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٠ عن الطبراني، والواقدي. والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٢.

(٣) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٧ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣١.

(٤) الخرائج والجرائح ج ١ ص ١٥٨ والبحار ج ٢٠ ص ٢٤٨ عنه.

٢٥٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

وكان انصرافه «صلى الله عليه وآله» من غزوة الخندق لسبع ليال بقين من ذي القعدة^(١).

وكان المنافقون بناحية المدينة يتحدثون بنبي الله «صلى الله عليه وآله» وأصحابه، ويقولون: ما هلكوا بعد؟!.

ولم يعلموا بذهاب الأحزاب، وسرهم أن جاءهم الأحزاب، وهم بادون في الأعراب^(٢).

عثمان وبنت النبي ﷺ في الخندق:

وقد روى قطب الدين الراوندي: قصة المغيرة بن أبي العاص في غزوة الخندق وملخص ما هو محط نظرنا منها:

أن المغيرة بن أبي العاص ادّعى: أنه رمى رسول الله «صلى الله عليه وآله» فكسر رباعيته، وشق شفتيه وكذب، وادّعى أنه قتل حمزة وكذب.

فلما كان يوم الخندق ضرب الله على أذنيه، فنام ولم يستيقظ حتى أصبح، فخشي أن يجيء الطلب فيأخذوه، وجاء إلى منزل عثمان، وتسمى باسم رجل من بني سليم كان يجلب إلى عثمان الخيل والغنم والسمن؛ فأدخله عثمان منزله، فلما علمت امرأة عثمان ما صنع بأبيها وعمها صاحت، فأسكتها عثمان.

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٦ وراجع: نهاية الأرب

ج ١٧ ص ١٧٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٢٨ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢

ص ١٢ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ وفتح الباري ج ٧ ص ٣١١.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٤ ص ٥٥٠.

ثم خرج إلى رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فطلب منه الأمان للمغيرة ثلاث مرات، والنبى يحول وجهه عنه حتى آمنه في الثالثة، وأجله ثلاثاً، ولعن من أعطاه راحلة، أو رحلاً، أو قتباً، أو سقاء، أو قرية، أو إداوة، أو خفأً، أو نعلأً، أو زاداً أو ماء؛ فأعطاه عثمان هذه الأشياء.

ولم يوفق للخروج من محيط المدينة فأعلم جبرئيل النبى «صلى الله عليه وآله» بمكانه، فأرسل زيد بن حارثة والزبير، فقتله زيد لأن النبى «صلى الله عليه وآله» كان قد آخى بين زيد وحزمة.

فرجع عثمان إلى امرأته، واتهمها بأنها كانت قد أخبرت أباهما بمكان عمه، فحلفت له بالله ما فعلت، فضربها بخشبة القتب ضرباً مبرحاً كان سبب وفاتها في اليوم الثاني، وقد منع النبى «صلى الله عليه وآله» عثمان - الذي كان قد ألم بجاريته ليلة وفاتها - من حضور جنازتها^(١).

ولكن قد تقدم بعد غزوة حمراء الأسد: أن هذه القضية قد حصلت بعد واقعة أحد. وربما تكون رواية الراوندي أقرب والله هو العالم.

(١) الخرائج والجرائح ج ١ ص ٩٤ - ٩٦ والبحار ج ٢٢ ص ١٥٨. وقال في هامش الخرائج: ورواه: بنحو آخر في الكافي ج ٣ ص ٢٥١ والتهذيب ج ٣ ص ٣٣٣ وأخرجه في الوسائل ج ٢ ص ٨١٨.

!؟فمنعوا! من منعوا سيرة نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم

١٠
 ١١
 ١٢
 ١٣
 ١٤
 ١٥
 ١٦
 ١٧
 ١٨
 ١٩
 ٢٠
 ٢١
 ٢٢
 ٢٣
 ٢٤
 ٢٥
 ٢٦
 ٢٧
 ٢٨
 ٢٩
 ٣٠
 ٣١
 ٣٢
 ٣٣
 ٣٤
 ٣٥
 ٣٦
 ٣٧
 ٣٨
 ٣٩
 ٤٠
 ٤١
 ٤٢
 ٤٣
 ٤٤
 ٤٥
 ٤٦
 ٤٧
 ٤٨
 ٤٩
 ٥٠
 ٥١
 ٥٢
 ٥٣
 ٥٤
 ٥٥
 ٥٦
 ٥٧
 ٥٨
 ٥٩
 ٦٠
 ٦١
 ٦٢
 ٦٣
 ٦٤
 ٦٥
 ٦٦
 ٦٧
 ٦٨
 ٦٩
 ٧٠
 ٧١
 ٧٢
 ٧٣
 ٧٤
 ٧٥
 ٧٦
 ٧٧
 ٧٨
 ٧٩
 ٨٠
 ٨١
 ٨٢
 ٨٣
 ٨٤
 ٨٥
 ٨٦
 ٨٧
 ٨٨
 ٨٩
 ٩٠
 ٩١
 ٩٢
 ٩٣
 ٩٤
 ٩٥
 ٩٦
 ٩٧
 ٩٨
 ٩٩
 ١٠٠

[illegible]

الباب الثالث

غزوة بنى قريظة

الفصل الأول: المسير إلى حصون قريظة

الفصل الثاني: حصار وإنهيار

الفصل الثالث: فشل المفاوضات وخيانة أبي لبابة

الفصل الرابع: حكم الله من فوق سبعة أرقعة

الفصل الخامس: القتلى والشهداء

الفصل السادس: الغنائم والأسرى

ملحق: بلوغ المرأة

الفصل السابع: بعد العاصفة

شاه شاه

Figure 6

[illegible]

آيات في غزوة بني قريظة:

قيل: إن بعض الآيات قد نزلت في غزوة بني قريظة وهي:

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ، فَإِمَّا تَنْفِقْنَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ، وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾^(١).

وقوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا، وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا﴾^(٢).

صدق الله العلي العظيم.

(١) الآيات ٥٦ - ٥٨ من سورة الأنفال.

(٢) الآيتان ٢٦ و ٢٧ من سورة الأحزاب.

مكتسبة ربحية ومدة زمنية

١. حجم المبيعات: يتأثر حجم المبيعات في كثير من الأحيان بعوامل خارجية، مثل التغيرات في الطلب، والتغيرات في الأسعار، والتغيرات في المنافسة. يمكن للشركة أن تتخذ خطوات لتحسين حجم المبيعات، مثل تحسين جودة المنتج، وتحسين خدمة العملاء، وتحسين استراتيجية التسويق.

٢. تكلفة المبيعات: تتأثر تكلفة المبيعات بعوامل مختلفة، مثل التغيرات في أسعار المواد الخام، والتغيرات في أسعار العمالة، والتغيرات في أسعار الخدمات. يمكن للشركة أن تتخذ خطوات لتقليل تكلفة المبيعات، مثل تحسين كفاءة العمليات، وتحسين إدارة المخزون، وتحسين استراتيجية التسعير.

٣. الربحية: تتأثر الربحية بعوامل مختلفة، مثل التغيرات في حجم المبيعات، والتغيرات في تكلفة المبيعات، والتغيرات في المصاريف التشغيلية. يمكن للشركة أن تتخذ خطوات لتحسين الربحية، مثل تحسين كفاءة العمليات، وتحسين إدارة المخزون، وتحسين استراتيجية التسعير.

٤. المخاطر: تتأثر المخاطر بعوامل مختلفة، مثل التغيرات في الطلب، والتغيرات في الأسعار، والتغيرات في المنافسة. يمكن للشركة أن تتخذ خطوات لتقليل المخاطر، مثل تحسين كفاءة العمليات، وتحسين إدارة المخزون، وتحسين استراتيجية التسعير.

٥. المزايا: تتأثر المزايا بعوامل مختلفة، مثل التغيرات في حجم المبيعات، والتغيرات في تكلفة المبيعات، والتغيرات في المصاريف التشغيلية. يمكن للشركة أن تتخذ خطوات لتحسين المزايا، مثل تحسين كفاءة العمليات، وتحسين إدارة المخزون، وتحسين استراتيجية التسعير.

١. كتاب المحاسبة، الجزء الثاني، ص ٨٥-٨٦.

٢. كتاب المحاسبة، الجزء الثاني، ص ٨٦-٨٧.

خلاصات عن غزوة بني قريظة:

ونقدم هنا خلاصة عن غزوة بني قريظة، إذ بدون ذلك فسيكون من الصعب للممة خيوطها من ثنايا ما قمنا به من بحوث موسعة نسبياً، فرضتها علينا التزاماتنا التي أخذنا على عاتقنا مراعاتها في هذا الكتاب. ولسوف تكون هذه الخلاصة بمثابة عناوين عامة، وكليات لن يغني الاطلاع عليها عن الاطلاع على التفاصيل، والمناقشات، والاستفادات، والتحليلات التي رأينا من المناسب التعرض لها، حسبما اقتضاه الحال، وسمحت به المناسبة.

وما نريد أن نلمح إليه هنا هو ما يلي:

إنه قد تقدم: أنه كان بين بني قريظة وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» عهد فنقضوه، فأرسل رسول الله «صلى الله عليه وآله» سعد بن معاذ وآخرين إليهم، لاستطلاع الأمر، فحاول سعد إقناعهم بالتخلي عن فكرة نقض العهد، فسمع منهم ما يكره، ولم يزداهم ذلك إلا استكباراً وإصراراً. فلما انقضى شأن الأحزاب في الخندق، بالهزيمة الذليلة، بعد قتل فارسهم عمرو بن عبد ود، ومن عبر الخندق معه، عاد النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمون إلى المدينة، فجاءه جبرئيل فوراً، وأمره بالمسير إلى بني قريظة.

٢٦٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

وكان «صلى الله عليه وآله» - على ما هو الأظهر - حيثُذ في بيت فاطمة «عليها السلام» فدعا «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام»، وأمره بالتقدم إلى بني قريظة في مجموعة من المسلمين، ففعل.
ثم أمر «صلى الله عليه وآله» المسلمين بأن لا يصلوا العصر، أو الظهر - على ما هو الأرجح - إلا في بني قريظة.

وسار «صلى الله عليه وآله» على حمار عري، يقال له: يعفور، حتى نزل على بئر لبني قريظة، يقال له: بئر «أنا» بأسفل حرة بني قريظة، وتلاحق به الناس.

وجاء المسلمون أرسالاً، ووصل بعضهم بعد العشاء الآخرة، ومنهم من لم يكن قد صلى الظهر أو العصر بعد.

وحاصر المسلمون بني قريظة أشد الحصر - ودعاهم «صلى الله عليه وآله» في بادئ الأمر إلى الإسلام، فأبوا - واستمر الحصار أياماً قِيل: عشرة أيام، وقيل أكثر من ذلك، وتصاعدت الأقوال إلى شهر.

وأرسل «صلى الله عليه وآله» إليهم أكابر أصحابه، فهزموهم، فبعث علياً «عليه السلام» فكان الفتح على يديه، وكلموا رسول الله بالنزول على ما نزلت عليه بنو النضير، فأبى عليهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» ذلك، وأسلم ثعلبة، وأسيد إنا سعية، وكذلك أسد بن عبيد، وانضموا إلى صفوف المسلمين.

واستشار بنو قريظة أبا لبابة في النزول على حكم النبي «صلى الله عليه وآله»، فأشار إليهم بيده إلى حلقه: إنه الذبح.
فنزّلوا على حكم سعد بن معاذ.

الباب الثالث: غزوة بني قريظة ٢٦١

وزعموا: أن أبا لبابة قد تاب من ذنبه هذا، وربط نفسه إلى سارية في المسجد حتى أنزل الله توبته، فحله رسول الله بيده، ولم يثبت لنا صحة ذلك، كما سنرى.

وحين نزلوا على حكم سعد، أمر بهم رسول الله «صلى الله عليه وآله» فكتفوا، وجعلوا ناحية، وجعل النساء والذرية ناحية.

وجاؤوا بالأسرى إلى المدينة، وجعلوهم في دار أسامة بن زيد، ودار بنت الحارث.. وجعل السلاح والأمتعة في دار بنت الحارث أيضاً.

وكان عدد السبي من الذراري والنساء سبع مائة وخمسين، وقيل: كانوا تسع مائة، وقيل: كانوا ألفاً.

وكان سعد يداوى من جرحه في خيمة رفيدة أو كعبية، فجاؤوا به، وكلمه بعض الناس من الأوس في أمر العفو عن بني قريظة، فلم يجبههم. ثم أصدر حكمه بقتل من حَزَب على رسول الله «صلى الله عليه وآله» منهم.

فقال له رسول الله «صلى الله عليه وآله»: حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبعة أرقعة^(١).

فقتل النبي «صلى الله عليه وآله» من أنبت عن حَزَب عليه من بني قريظة، وأمر «صلى الله عليه وآله» بأخدود فحُذَّت، فضربت أعناقهم فيها، ثم رد عليهم التراب.

وكان علي «عليه السلام» هو الذي قتلهم مع رؤسائهم.

وقيل: إن الزبير قد شاركه أيضاً. ولا مجال لتأكيد ذلك.

(١) الرُّقعة: السِّمَاءُ عموماً.

٢٦٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

وقيل أيضاً: إن الأوس قد شاركوا في عملية القتل هذه.

وقيل: إن نباة النصيرية، وأرفة بنت عارضة كانتا من جملة القتلى. وأسلم بعضهم، مثل رفاعة بن سموأل، فلم يقتل.

وقد اختلفت كلمات المؤرخين في عدد من قتل منهم، فبلغت ثلاثة عشرة قولاً، تراوح ما بين الثلاث مائة رجل، والألف.

ويظهر من النصوص: أن بني قريظة لم يقتلوا كلهم، بل قتل منهم خصوص من حزَّب على النبي «صلى الله عليه وآله» والمسلمين.

أما من استشهد من المسلمين، فلعله لا يزيد على رجلين أو ثلاثة.

ثم جمعت أمتعتهم، وأخرج الخمس منها، ثم قسمت للفارس سهمان، وللراجل سهم واحد، وكانت خيل المسلمين ستة وثلاثين فرساً، أو ثمانية وثلاثين.

أما السبي فبيع في من يزيد، ثم قسم ثمنه في المسلمين المشاركين في هذه الغزوة.

وبعث «صلى الله عليه وآله» ببعض السبي إلى نجد، أو الشام فبيع هناك، واشترى بثمنه سلاح وخيل، وقسم «صلى الله عليه وآله» ذلك بين المسلمين.

وبعد أن انتهى أمر بني قريظة، انفجر جرح سعد بن معاذ، ودام نزفه حتى مات «رحمه الله» شهيداً، فكرمه الرسول «صلى الله عليه وآله» مزيد تكريم، وحزن عليه، وبكاه أبو بكر وعمر، ورثاه حسان بن ثابت.

الفصل الأول:

المسير إلى حصون قريظة

بنا و لا ارادنا

مكتبة ناسخ رجا

بداية:

لقد انتهت حرب الأحزاب «الخندق» التي كان المسلمون فيها يعانون من الجوع، والسهر، والخوف، والإشفاق من مهاجمة ذرايعهم ونسائهم من قبل أعدائهم.

وكان من الطبيعي أن يتنفسوا الصعداء حين رأوا عدوهم يغادر أرضهم خائباً، خائفاً، خاسئاً، وكانوا يتمنون أن يصلوا إلى أهلهم، وذويعهم، وبيوتهم، ليرتاحوا من ذلك العناء الطويل.

ولكن هل يمكن لهم أن يطمئنا على مصيرهم ومستقبلهم وإلى جوارهم أولئك الذين حزبوا الأحزاب، ورموهم بذلك البلاء العظيم، الذي كاد أن يقضي على الإسلام والمسلمين ويستأصل شأفتهم؟

ومن جهة ثانية: ما هو الموقف الذي يمكن أن يتخذه النبي «صلى الله عليه وآله» من بني قريظة الذين كانوا السبب في كل ما حصل؟

«ولو افترضنا: أن النبي «صلى الله عليه وآله» جدد العهد معهم في تلك الفترة فما الذي يمنعهم من نقضه والخروج عليه مرة ثانية كما فعلوا بالأمس؟ في حين أنهم لم يجدوا منه إلا الصدق والوفاء كما اعترف بذلك

زعيمهم حينما دعاه حيي بن أخطب للاشتراك مع الغزاة^(١).

لقد كان منطق الحرب، ومنطق الحذر يدعو إلى مهاجمتهم، لأنهم العدو القريب، الذي يترصد الدوائر بالإسلام وبالمسلمين وحرهم امتداد لحرب الأحزاب.. وأحد فصولها، التي لا بد من إنجازها.

ويبقى أن نشير إلى: أن لا مجال لاحتمال أن يكون النبي «صلى الله عليه وآله» حين رأى سرعة أصحابه للعودة إلى المدينة، قد فكر في أن يعطيهم فرصة للراحة فإنه لا مبرر لاحتمال كهذا وفق أي تقييم لما حدث ويحدث، فهذا الأمر الإلهي قد جاء ليظهر أن الله سبحانه يأبى أن يمهل الغدرة الفجرة، فربما يجدون أكثر من وسيلة للتخلص والتخلص أو حتى لفرار البعض منهم.. من مواجهة الجزاء العادل لما اقترفته أيديهم.

وقد كان حيي بن أخطب وكعب بن أسد يتوقعان هذه الحرب وقد أخذ كعب بن أسد العهد على حيي أن يدخل معهم في حصنهم ويصبيه ما أصابهم إن رجعت قريش وغطفان. وذلك بعد أن دفع حيي كعباً إلى نقض عهد رسول الله «صلى الله عليه وآله».

متى كانت غزوة بني قريظة:

قد تقدم الحديث عن تاريخ غزوة قريظة والخذلق.

وقد رجحنا أنهما كانتا في السنة الرابعة للهجرة بل قال ابن حزم: «فكان فتح بني قريظة في آخر ذي القعدة متصلاً بأول ذي الحجة في السنة

الفصل الأول: المسير إلى حصون قريظة ٢٦٧
الرابعة من الهجرة»^(١).

ونحن نكتفي بما ذكرناه في ذلك الموضع فليراجعه من أراد.

من هم بنو قريظة؟!

قريظة: «فخذ من جذام إخوة النضير.

ويقال: إن تهودهم كان في أيام عاديا أي السموأل، ثم نزلوا بجبل يقال له: «قريظة»، فنسبوا إليه.

وقد قيل: إن قريظة اسم جدهم»^(٢).

«وذكر عبد الملك بن يوسف في كتاب الأنواء: أنهم كانوا يزعمون أنهم من ذرية شعيب نبي الله «عليه السلام». وهو بمحتمل (كذا) فإن شعيباً كان من قبيلة جذام، القبيلة المشهورة. وهو بعيد جداً»^(٣). ولا يهمننا هنا تحقيق ذلك، ولا تتبع مصادره.

نقض قريظة للعهد:

وقد تقدم: أنه كان بينهم وبين رسول الله «صلى الله عليه وآله» صلح فنقضوه، ومالوا مع قريش. فوجه إليهم سعد بن معاذ، وآخرين، فذكروهم العهد، فأساؤوا الإجابة.

ويقول البعض: إن قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ

(١) جوامع السيرة النبوية ص ١٥٦.

(٢) تاريخ البعقوبي ج ٢ ص ٥٢ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٣٣.

(٣) فتح الباري ج ٧ ص ٣١٣ ووفاء الوفاء ج ١ ص ١٦٢.

٢٦٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ، فَإِذَا تَنَفَّقْتَهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرَّدَ بِهِمْ مَنْ خَلَفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذْكُرُونَ، وَإِذَا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَأَنْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ^(١) قد نزل في شأن بني قريظة، كما قاله مجاهد؛ فإنهم كانوا قد عاهدوا النبي «صلى الله عليه وآله» على أن لا يضرُوا به، ولا يمالئُوا عليه عدوًّا، ثم مالؤُوا عليه الأحزاب يوم الخندق، وأعانوهم عليه بالسلاح، «وعاهدوا مرة بعد أخرى، فنقضوا»^(٢).

ولم نجد فيما بأيدينا من نصوص تاريخية ما يدل على تكرار نقض العهد من بني قريظة، إلا ما رواه البخاري عن ابن عمر، قال: «حاربت النضير وقريظة، فأجلى بني النضير، وأقر قريظة، ومن عليهم، حتى حاربت قريظة، فقتل رجالهم، وقسم نساءهم، وأموالهم وأولادهم بين المسلمين، إلا بعضهم لحقوا بالنبي «صلى الله عليه وآله»، فأمنهم وأسلموا، وأجلى يهود المدينة كلهم: بني قينقاع، وهم رهط عبد الله بن سلام، ويهود بني حارثة، وكل يهودي بالمدينة.

ورواه أبو داود بنحوه، إلا أنه قال: حتى حاربت قريظة بعد ذلك، يعني بعد محاربتهم الأولى وتقريرهم.

ويؤخذ من ذلك: أن إجلاء من بقي من طوائف اليهود بالمدينة كان

(١) الآيات ٥٦-٥٨ من سورة الأنفال.

(٢) مجمع البيان ج ٤ ص ٥٥٢ والبحار ج ٢٠ ص ١٩١ وراجع: الدر المنثور ج ٣ ص ١٩١ عن ابن أبي شيبة وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبي الشيخ عن مجاهد باستثناء العبارة الأخيرة.

بعد قتل بني قريظة^(١).

وروي عن الزهري ومجاهد أن قوله تعالى: ﴿وَأِمَّا مَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ...﴾ قد نزل في بني قريظة^(٢).

وروي أيضاً: أنها نزلت في بني قينقاع^(٣).

ونقول:

إن الآية لا تنطبق على بني قريظة، لأنهم قد نقضوا العهد، وخانوا بالفعل، والآية إنما تتحدث عن خوف النبي «صلى الله عليه وآله» من خيانة قوم ما.

وأما انطباقها على بني قينقاع فقد يكون له وجه، إذ إن ما فعلوه لا يصل إلى درجة ما فعله بنو قريظة، ولأجل ذلك جاء عقابهم أخف من عقاب أولئك.

على أننا نقول: إن الآية الكريمة وإن كانت قد نزلت في هذه المناسبة إلا أنها أرادت أن تعطي قاعدة عامة صالحة للانطباق في كل زمان.

آية نزلت في بني قريظة:

وقد روي عن مجاهد: أن قوله تعالى: ﴿وَأَنْزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُمْ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِنْ صَاحِبَيْهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا، وَأَوْرَثَكُم أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَمْ تَطَّوُّوها وَكَانَ اللَّهُ عَلَى

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٩.

(٢) الدر المنثور ج ٣ ص ١٩١ عن أبي الشيخ عن الزهري، وعن ابن المنذر، وابن أبي حاتم عن مجاهد. وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٨ وراجع ص ٣٠٩ عن الزهري.

(٣) أنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٨ وراجع ص ٣٠٩.

كُلُّ شَيْءٍ قَدِيرٌ^(١) نزل في بني قريظة^(٢).

وكذا روي عن قتادة^(٣) وسعيد بن جبير^(٤).

ويؤيد ذلك بل يدل عليه: أن الضمير في «ظاهروهم» يعود إلى الذين كفروا في الآية السابقة، الذين هم الأحزاب، والذين ظاهروا الأحزاب، وأنزلهم الله من صياصيمهم، وقتل المسلمون فريقاً منهم وأسروا فريقاً، وهم بنو قريظة بالذات.

رؤيا كرويا عاتكة في بدر:

قالوا: لما انصرف المشركون من الخندق، خافت بنو قريظة خوفاً شديداً، وقالوا: محمد يزحف إلينا. وكانت امرأة نباش بن قيس قد رأت^(٥) - والمسلمون في حصار الخندق - الخندق ليس به أحد. وأن الناس تحولوا إليهم في حصونهم، فذبحوهم ذبح الغنم.

فذكرت ذلك لزوجها، فذكره للزبير بن باطا، فقال الزبير: ما لها، لا نامت عيناها؟ تولى قريش، ويحصرنا محمد، والتوراة؟ ولما بعد الحصار أشد منه^(٦).

(١) الآيتان ٢٦ و ٢٧ من سورة الأحزاب.

(٢) الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٢ عن الفريابي، وابن أبي شيبة، وابن المنذر، وابن أبي حاتم وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٨.

(٣) الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٣ عن ابن أبي شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم.

(٤) الدر المنثور ج ٥ ص ١٩٣ عن ابن سعد.

(٥) أي رأت في منامها.

(٦) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٦ - ٤٩٧.

تعبير الرؤيا:

ونريد أن نسجل هنا:

١ - أن الإنسان يهتم كثيراً بكل ما يمس مصيره ومستقبله ويتحرك حتى على أساس التخيل والتوهم لمواجهة أي احتمال قادم إليه من المجهول. فنجد أنه يلتجئ حتى لقراءة البخت التي يعلم أنها تكذب عليه، فإذا تكلمت بكلمات عامة وغائمة، تقولها عادة لكل إنسان، فإنه يتلقفها بلهفة، وبحساسية وشفافية متناهية، ويبدأ بتطبيقها على حاله وأحواله.

فإذا قالت له مثلاً: ستأتيك رسالة من صديق، تخيل أن فلاناً الغائب هو الذي سيرسل إليه تلك الرسالة.

ثم إذا قالت له: هناك من يحسدك أو يكرهك، وهو أمر قد يحدث لكل إنسان، فإنه يطبق ذلك على فلان أو فلان، وتضطرب الانفعالات في نفسه تجاهه، وهكذا..

أما إذا كان الذي يأتيه من المجهول، ويلامس مستقبله وحياته ومصيره له درجة من الواقعية مهما كانت هزيلة وضيئلة، فإن إحساسه بالخطر سوف يتعاضم إلى درجة كبيرة وخطيرة. ولسوف يؤثر على توازنه في حركته وفي مواقفه، بل وقد يفقده ثقته بكثير من خططه المستقبلية، ويفسدها عليه.

ومن الواضح: أن المنامات والرؤى قد أثبتت لها التجربة درجة من الواقعية، ولكنها درجة ضعيفة وخفيفة، ولكن هذا الإنسان يتعامل معها بجدية وباهتمام أكبر وأكثر مما تفرضه واقعيتها تلك.

والذي يدل على واقعية الرؤيا، وأن لها تعبيراً، ما ذكره الله تعالى في سورة يوسف، وأن يوسف «عليه السلام» قد عبر الرؤيا لصاحبي السجن،

٢٧٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

ثم للملك مصر، وصدقت الرؤيا، وصدق يوسف «عليه السلام» هذا بالإضافة إلى رؤيا إبراهيم «عليه السلام» في قضية ذبح ولده إسماعيل «عليه السلام».

٢ - إنه لا شك في أن للأحلام من حيث مناشئها حتى الكاذبة منها صلة بالواقع، بنحو أو بآخر. فالكاذبة لها صلة بالحالة النفسية والجسدية للشخص، فقد تنشأ عن تأثير بعض المآكل أو المشاهدات، أو أي شيء يواجهه الشخص في حال يقظته مما كان له أثر في النفس أو اختزنه ذاكرته، أو ما إلى ذلك.

وللصادقة صلة من نوع ما بالقوى الظاهرة والخفية والنواميس الطبيعية المهيمنة التي تؤثر في مسيرة الحياة، إيجاباً أو سلباً. وليس بمقدورنا تحديد حقيقة تلك لقوى ولا تحديد نوع تلك النواميس، كما أننا لا نستطيع تحديد أبعاد، ومدى، وكيفية ذلك التأثير الذي يربط بين عالم الرؤيا، وعالم الواقع الخارجي الكوني وقواه ونواميسه.

والذي يزيد في حيرتنا هو ما نجده من تأثير حقيقي لتعبير الرؤيا في الواقع الخارجي، وتوجيهه باتجاه معين، لينتج واقعاً محسوساً يختلف عن واقع محسوس آخر، وأثر تعبیر الرؤيا في إبعاد ذلك، ثم في حلول هذا مكانه. فما هو نوع هذا التأثير، ومداه؟! وما هي مقتضياته؟! وكيف تم ذلك؟ ولماذا؟!

كل ذلك وسواه لا يزال مجهولاً لدينا، وربما يبقى كذلك مجهولاً، والمشيتة في ذلك كله إلى الله سبحانه.

٣ - وواضح أن رؤيا هذه المرأة القريظية، قد جاءت لتقدم إنذاراً لأولئك

الفصل الأول: المسير إلى حصون قريظة ٢٧٣
الذين اعتادوا على نقض العهود والمواثيق، ولترتهم مصيرهم الذي ينتظرهم.
وهي من الرؤى الصادقة، تماماً كرؤيا عاتكة التي حصلت لها قبل حرب بدر،
فإنها هي الأخرى قد جاءت إنذاراً لأهل مكة المشركين، وإقامة للحجة عليهم،
بطريقة تلامس الوجدان الإنساني، وتثير ضميره، وتمزه روحياً من الأعماق.

تزوير التاريخ:

يقول بعض المستشرقين عن قبيلة قريظة: «ظلت هذه القبيلة على الحياد
فيما يتعلق بالعمل العسكري، ولكنها قامت بمفاوضات مع أعداء محمد،
ولو أنها وثقت من قريش وحلفائهم من البدو لانقلبت على محمد.
وقد هاجم محمد قريظة، بعد أن تخلص من أعدائه، ليظهر أن الدولة
الإسلامية الفتية لا تسمح بمثل هذا الموقف المشبوه.
وانسحبت قريظة إلى أطمها، ولم ترد على الهجوم بحماس، ثم أرسلت
تطلب الاستسلام بنفس الشروط التي استسلم بها بنو النضير، فأجيب: أن
عليها أن تستسلم بدون قيد أو شرط.

فطلب اليهود استشاره أبي لبابة، فلبى نداءهم.

أما ما جرى بينهما، فلا يزال سراً الخ...»^(١).

ونقول:

إننا نسجل على هذا الكلام النقاط التالية:

١ - إنه يظهر: أن هذا الكاتب يريد تخفيف ذنب بني قريظة، وإيهام

(١) محمد في المدينة، لمونتجمري وات ص ٣٢٦.

٢٧٤..... الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

حقيقة تصرفاتهم، وما صدر منهم، بهدف إظهار أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد ظلمهم واعتدى عليهم، وعاقبهم عقوبة لا يستحقونها.

فهو يوحى: أن قريظة لم تنقلب على محمد، لأنها لم تثق بقريش وحلفائها!!

وهو يدعي: أنها لم ترد على الهجوم بحماس!! وانسحبت إلى أطمها.

ويدعي أيضاً: أن موقف قريظة لم يزد على أن كان موقفاً مشبوهاً. وقد

هاجمها النبي «صلى الله عليه وآله»، ليظهر أن الدولة الإسلامية لا تسمح

بمثل هذا الموقف المشبوه!! وقريظة بزعمه قد عرضت الاستسلام بشروط

قبلها النبي «صلى الله عليه وآله» من بني النضير، لكنه رفضها من بني

قريظة!! بل كان «صلى الله عليه وآله» - على حد زعمه - يريد أن تستسلم

قريظة دون قيد أو شرط مع ما يتضمنه ذلك من معاني التحدي والعنفوان

الإسلامي مع الإمعان في إذلال قريظة وتحقيرها.

وهو يدعي كذلك سرية ما جرى بين أبي لبابة وبني قريظة. ربما

ليضفي - هذا القائل - المزيد من الغموض على حقيقة ما صدر من يهود

قريظة، لأنه لا يصرح بتلاومهم على ما صدر منهم، ولا يصرح بمعرفتهم

بحقيقة الحكم الذي سيصدر في حقهم - ليظهر أنهم قد أخذوا على حين

غرة منهم - لا ينتج ذلك أنهم قد أخذوا خداعاً وغدرًا.

٢ - لقد ادعى ذلك المستشرق: أن ما صدر هو مجرد مفاوضات مع

أعداء محمد «صلى الله عليه وآله»، لم تنته إلى اتفاق، وبقيت قريظة على

ولائها، ولم تنقلب على محمد «صلى الله عليه وآله».

متناسياً حقيقة: أنهم نقضوا العهد، وأن النبي «صلى الله عليه وآله»

أرسل إليهم سعد بن معاذ، وآخرين ليقنعوهم بالعودة عن موقفهم،

فرفضوا العودة عن نقض العهد، وأسمعوهم ما يكرهون.

وتناسى أيضاً: أنهم كانوا قد أرسلوا من تحرش بالنساء المسلمات في أطمهم، وقتلت صفية «رحمها الله» واحداً منهم.

ثم تناسى أنهم أرسلوا إلى قريش بأحمال الطعام، فاستولى المسلمون على القافلة، وجرى لهم معها قتال، وكان هناك جرحى، وتناسى وتناسى.. إلى آخر ما هنالك من حقائق دامغة.

٣ - قد زعم هذا القائل: أن قريظة انسحبت إلى أطمها، ولم ترد على الهجوم بحماس، مع أن بعض النصوص التاريخية تقول: إنهم قد ناجزوا المسلمين خارج حصونهم وألقوا بهم بعض الهزائم، كما سيأتي، فما معنى قوله: أنهم لم يردوا على الهجوم بحماس؟!

إننا لا ندرى: من أين استنتج حقيقة أنهم لم يردوا على الهجوم بحماس؟ وهم قد قاتلوا المسلمين بإصرار خارج حصونهم، ثم تحصنوا في داخلها مدة طويلة - سيأتي أنها استمرت أياماً كثيرة تراوحت الأقوال فيها ما بين عشرة أيام إلى شهر - ولم يفكروا بالاستسلام إلا بعد أن سمعوا علياً «عليه السلام» يقسم على أنه لن يرجع عنهم حتى يفتح الله عليه.

٤ - قوله: إن ما جرى بينهم وبين أبي لبابة قد بقي سراً، غير صحيح فقد ذكرنا موجزاً عما جرى بينهم وبين أبي لبابة سيأتي في موضعه من هذا الجزء فراجع.

جبريل يأمر بالمسير إلى بني قريظة:

وَتُحَدِّثُنَا الروايات في مختلف المصادر التاريخية: أن النبي «صلى الله عليه

٢٧٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

وآله» سار إلى بني قريظة عند منصرفه من الخندق، وذلك يوم الأربعاء (كما ذكره الواقدي وغيره) لسبع بقين من ذي القعدة، وكانوا على بعد يوم من المدينة.

وأضاف الواقدي: أنه انصرف عنهم لسبع خلون من ذي الحجة^(١). ولما انصرف «صلى الله عليه وآله» من الخندق، ودخل المدينة، ووضع السلاح جاءه جبرئيل «عليه السلام» بأمر الله سبحانه في شأنهم بعد صلاة الظهر، فأمر «صلى الله عليه وآله» المسلمين أن لا يصلي أحد منهم العصر إلا في بني قريظة، كما ذكره البخاري وغيره^(٢). وعن ابن إسحاق: أنه «صلى الله عليه وآله» أمر بلالاً فأذن في الناس: من كان سامعاً مطيعاً فلا يصلي العصر إلا في بني قريظة^(٣). لكن ذكر مسلم

(١) راجع المصادر التالية: التنبيه والإشراف ص ٢١٧ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٦ ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٢٥١ وعمدة القاري ج ١٧ ص ١٨٨.

(٢) راجع: العبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣١ ووفاء الوفاء ص ٦٩٥ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ والثقات ج ١ ص ٢٧٤ وجوامع السيرة النبوية ص ١٥٢ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٤٤ و ٢٤٥ والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٥ و بهجة المحافل ج ١ ص ٢٧٢ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٨٧ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٥ والإكتفاء ج ٢ ص ١٧٦ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٥ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٤، والمغازي للذهبي ص ٢٥٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣١ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٦ و ٧.

(٣) فتح الباري ج ٧ ص ٣١٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٩.

الفصل الأول: المسير إلى حصون قريظة ٢٧٧

وآخرون أنه «صلى الله عليه وآله» قال: لا يصلين أحد الظهر^(١).

ويقولون: إنه «صلى الله عليه وآله» بعث يومئذ منادياً ينادي: «يا خيل الله اركبي»^(٢).

في بيت عائشة أم في بيت فاطمة عليهما السلام؟!!

ولتفصيل القول فيما تقدم نقول:

قد ذكر المؤرخون: أن جبرئيل جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وهو في بيت عائشة فغسل رأسه، واغتسل، ودعا بالمجمرة ليحجر، وقد صلى الظهر، فأتاه جبرئيل على بغلة.. على ثنایاه النقع، فوقف عند موضع الجنائز، فنأى: عذیرك من محارب.

فخرج «صلى الله عليه وآله» فزعاً.

فقال له جبرئيل: ألا أراك وضعت اللامة، ولم تضعها الملائكة بعد. لقد طردناهم إلى حمراء الأسد. إن الله يأمرک أن تسیر إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم

-
- (١) راجع في ذلك: إرشاد الساري ج ٦ ص ٣٢٨ و ٣٢٩ وعمدة القاري ج ١٧ ص ١٨٩ و ١٩٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٣ و ٣١٤ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٣٤ و ٣٥ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣ وشرح النووي على صحيح مسلم ج ١٢ ص ٩٨ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٨ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤٢.
- (٢) عيون الأثر ج ٢ ص ٦٨ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٩ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣.

٢٧٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

فمززل بهم حصونهم، فدعا «صلى الله عليه وآله» علياً «عليه السلام» الخ...^(١).
ويقول نص آخر عن عائشة: سلّم علينا رجل، ونحن في البيت، فقام رسول الله «صلى الله عليه وآله» فزعاً. فقمّت في أثره، فإذا بدحية الكلبي.
فقال: هذا جبريل يأمرني أن أذهب إلى بني قريظة.

قالت: فكأنّي برسول الله «صلى الله عليه وآله» يمسح الغبار عن وجه جبرئيل «عليه السلام»^(٢).

أو قالت: بينا هو عندي إذ دق الباب (أو: سمع صوت رجل) فارتاع لذلك رسول الله «صلى الله عليه وآله»، ووثب وثبة منكرة، وخرج، وخرجت في أثره، فإذا رجل على دابة، والنبي «صلى الله عليه وآله» متكّي على معرفة الدابة يكلمه فرجعت... فسألته عن ذلك الرجل، فأخبرها أنه جبرئيل^(٣).

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٧ وراجع: طبقات ابن سعد (ط دار الأضواء) ج ٢ ص ٧٤ وإمتاع الأسعاج ج ١ ص ٢٤١ و ٢٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٨ و ٩ و ١٠ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣١ و ٣٣٢ و ٣٣٣.

(٢) راجع: عمدة القاري ج ١٧ ص ١٩٢ وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٨ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٨ وتاريخ الإسلام (المغازي ص ٢٥٤).

(٣) راجع: عيون الأثر ج ٢ ص ٦٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٧ عن البيهقي ودلائل النبوة للأصبهاني ص ٤٣٧ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٤١ عن الطبراني في الأوسط، وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٨ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٢ ص ٨ و ١٠ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٥ و ٢٢٦.

ونحن نرتاب في صحة هذه الروايات وأضرارها، وذلك لما يلي:
 أولاً: هي مضطربة ومتنافرة إلى حد كبيرة ونشير إلى موردين فقط من
 موارد التنافر والاختلاف هما:

١ - أن عائشة تذكر: أنها خرجت في أثر رسول الله «صلى الله عليه
 وآله»، فرأته «صلى الله عليه وآله» متكئاً على معرفة دابة جبريل، فرجعت،
 فلما دخل النبي «صلى الله عليه وآله» سأله عنه، فأخبرها.

لكن في رواية أخرى تقول عائشة: كأني أنظر إلى جبريل من خلل
 الباب، قد عصب رأسه العنان (الغبار)^(١).

وفي نص ثالث: كأني أنظر إلى رسول الله يمسح الغبار عن وجه
 جبريل، فقلت: هذا دحية الكلبي يا رسول الله؟!
 فقال: هذا جبرئيل^(٢).

٢ - كان في بيت عائشة ساعتئذٍ، وهي تغسل رأسه وقد غسلت شقه،
 فجاءه جبريل^(٣).

مع أن ما تقدم آنفاً يقول: فغسل رأسه واغتسل، ودعا بالمجمر ليجمر،
 وقد صلى الظهر، فأتاه جبرئيل.

(١) الوفا ص ٦٩٤ و ٦٩٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٧ و ١١٨ و ١٢٣ والسيرة
 النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣ وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٨ وراجع: مسند أبي عوانة
 ج ٤ ص ١٧١ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٧.

(٢) سيرة ابن إسحاق ص ٣٩٧.

(٣) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٣ وراجع: ابن سعد ج ٢ ص ٧٥ و ٧٦ وفيه: أنه نادى
 في الناس: أن اثثوا حصن بني قرظة، ثم اغتسل فأتاهم عند الحصن.

٢٨٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

وفي نص ثالث: أنه وضع لامته واغتسل واستجمر^(١).

ثانياً: قد ذكرت عائشة: أنها رأت جبرئيل من خلل الباب قد عصب رأسه العنان.

وسياًتي: أن كثيرين من الصحابة قد رأوه، وأن النبي «صلى الله عليه وآله» قد أخبرهم أنه جبرئيل.

ولكن قد روي في المقابل: أن الذي يرى جبرئيل «عليه السلام» يتلى بالعمى فما رآه أحد إلا طمست عيناه.

فلماذا لم تبطل عائشة، ولا أحد من الصحابة بالعمى بسبب رؤيتهم جبرئيل؟! وستأتي الأحاديث الدالة على ذلك عن قريب.

ثالثاً: ذكرت الروايات المتقدمة أنه «صلى الله عليه وآله» كان حين جاءه جبريل في بيت عائشة، مع أن ثمة روايات أخرى تخالفها في ذلك، فلاحظ ما يلي:

١ - إنه «صلى الله عليه وآله» كان حين جاءه جبرئيل في بيت زينب بنت جحش وهي تغسل رأسه.

وفي الدر المنثور: يغسل رأسه، وقد غسلت شقه إذ جاء جبرئيل فقال: الخ...^(٢).

(١) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٩ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٤٣٨ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٤٥ عن الطبراني وسبل الهدي والرشاد ج ٥ ص ٨ و ٩.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣١ والدر المنثور ج ٥ ص ١٩٣ عن ابن أبي شيبه، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن قتادة.

٢- إنه «صلى الله عليه وآله» قد كان في بيت أم سلمة^(١).

٣- إنه «صلى الله عليه وآله» كان حينئذٍ في بيت فاطمة «عليها السلام»، فقد قال الديار بكري: «وفي رواية في بيت فاطمة»^(٢).

قال الزهري وعروة: «لما دخل النبي «صلى الله عليه وآله» المدينة، وجعلت فاطمة تغسل رأسه، إذ قال له جبرئيل: رحمك ربك، وضعت السلاح، ولم يضعه أهل السماء؟ ما زلت أتبعهم حتى بلغت الروحاء»^(٣). وفي نص آخر: «فضربت فاطمة ابنته غسولاً، فهي تغسل رأسه إذ أتاه جبرئيل على بغلة، معتجراً بعمامة بيضاء، عليه قطيفة من استبرق، معلق عليها الدر والياقوت، عليه الغبار»^(٤) ثم يذكر سائر ما تقدم في النص السابق. ويؤيد هذا القول الأخير: ما روي من أنه «صلى الله عليه وآله» كان إذا سافر كان آخر عهده ببيت فاطمة، وإذا عاد من سفر، فإن أول ما يبدأ به هو بيت فاطمة «عليها السلام»^(٥).

(١) راجع: زاد المعاد لابن القيم ٢ ص ١١٩.

(٢) راجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٣.

(٣) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٢٥١.

(٤) إعلام الوری (ط سنة ١٣٩٠ هـ.ق) ص ٩٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٧٢ و ٢٧٣ عنه.

(٥) إحقاق الحق ج ١٠ ص ٢٢٩ و ٢٣٨ وج ١٩ ص ١٠٥ و ١٠٧ عن الاستيعاب

ومصادر كثيرة أخرى، ومستدرك الحاكم ج ١ ص ٤٤٨ وج ٣ ص ١٥٥ و ١٥٦

وحلية الأولياء ج ٢ ص ٣٠ وج ٦ ص ١٢٣ ومقتل الحسين للخوارزمي ص ٦٣ و

٥٦ وذخائر العقبى ص ٣٧ والجامع الصغير ج ٢ ص ٢٩٤ ونبائع المودة ص ١٩٨

وإسعاف الراغبين (بهامش نور الأبصار) ص ١٨٩ و ١٩٠ ووفاء الوفاء ج ١ =

والمفروض: أن هذا الأمر قد كان فور عودته من حرب الخندق.

إلا أن يقال: إنه قد مرت فترة كبيرة تكفي لزيارة ابنته فاطمة، ثم انتقاله إلى بيت إحدى زوجاته: أم سلمة، أو زينب، أو عائشة. وهذا ما دعانا إلى اعتبار ذلك القول مؤيداً لا دليلاً..

ونأمل أن لا يخفى على القارئ الكريم: أنه قد كان ثمة من يهتم بالتركيز على نقل خصوص ما يرتبط بعائشة، خصوصاً إذا دخلت روايتها، أو روايتهم سيرة ابن إسحاق، أو ابن عقبة، أو الواقدي، أو الصحيحين، ثم يأتي الآخرون، ويقتصرون على نقل ما يجدونه في هذه الكتب، التي تهتم بمنقولات عائشة، وابن أختها عروة بن الزبير، وأضرابهما.

فيخيل - بعد هذا - للناظر في كتب التاريخ: أن القضية من المسلمات التاريخية، وأن ما عداها شاذ، لا يلتفت إليه.

وهذا الأمر: ينسحب على كثير من القضايا التي حفلت بها كتب التاريخ، وتناقلتها على أوسع نطاق. فإذا راجعت وقارنت، وتبعت المصادر، فستجد أنها تنتهي إلى مصدر واحد تقريباً في أكثر الأحيان.

= ص ٣٣١ وأعلام النساء ج ٣ ص ١٢١٧ وسنن البيهقي ج ١ ص ٢٦ ونظم در السمطين ص ١٧٧ وتلخيص المستدرک للذهبي ج ٣ ص ١٥٦ وكشف الغمة للشعراني ج ١ ص ١٤٥ ومسند أحمد ج ٥ ص ٢٧٥ ومختصر سنن أبي داود ج ٦ ص ١٠٨ وأهل البيت لتوفيق أبي علم ص ١٢٠. وعن مصادر كثيرة أخرى فلتراجع. وراجع: عوالم العلوم ج ١١ ص ٣١٣ والبحار ج ٤٣ ص ٨٣ وج ٨٨ ص ٩٣.

غارات واستلاب:

ونلاحظ هنا: أن سياسة القرصنة، وسرقة المواقف، واقتناص الفضائل، كانت هي المهمة على ذهنيات ذلك الفريق، الذي يريد أن يصنع لنفسه ولفريقه تاريخاً، ولو بقيمة أن يفرغ التاريخ الحقيقي من محتواه، وأن يقلب الكثير من الأمور رأساً على عقب، لتصب في اتجاه خاص به، رسمه لنفسه، فباع واشترى، واستولى واستلب، ووهب حسبما رآه ضرورياً ومناسباً لذلك الاتجاه.

وهذا الكتاب قد حفل بنماذج كثيرة لهذا الاتجاه يصعب إحصاؤها، وما فاتته مما لم يدخل في نطاق اهتماماته لأكثر من سبب، أكثر من ذلك بأضعاف كثيرة.

وقد نشير إن شاء الله في أواخر هذا الكتاب إلى بعض النماذج التي تتناسب مع ما أشرنا إليه في عنوان هذه الفقرة، التي نحن بصدد استكمال الحديث فيها، وهو: أن النبي «صلى الله عليه وآله» الذي دفن في بيت فاطمة «عليها السلام» قد نقلته رواياتهم إلى بيت عائشة، ودفنته هناك.

كما أن السيدة خديجة التي تزوجها رسول الله «صلى الله عليه وآله» بكرةً لا يتجاوز عمرها الخمس وعشرين سنة، قد جعلتها رواياتهم زوجة لأكثر من أعرابي، ونسبوا لها بنات زعموا أنها ولدتهن.

ثم إنهم عمدوا إلى عائشة، التي كانت كبيرة السن وقد تزوجت قبل النبي «صلى الله عليه وآله» وولدت ولدًا اسمه عبد الله، فجعلتها رواياتهم بكرةً تزوجها النبي «صلى الله عليه وآله» في عمر الست سنين.

وفي مورد ثالث: قلبت رواياتهم الإفك الذي كان على ماريّا ونزلت في تبرئتها آيات مباركات، ليصبح هذا الإفك على عائشة، وتصبح الآيات

نازلة في حقها.

وعلى هذه فقس ما سواها.

وسياتي الملحق الذي أشرنا إليه عقيب هذا الفصل فانتظر.

المسلمون يرون جبرئيل؟!!

ويقول المؤرخون: إن رسول الله «صلى الله عليه وآله» خرج إلى بني قريظة فلما بلغ الصورين^(١) (هو موضع قرب المدينة) قال: هل مر بكم أحد.

قالوا: نعم، مر بنا دحية الكلبي على بغلة بيضاء.

فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: ذاك جبرئيل^(٢).

وفي نص آخر: خرج «صلى الله عليه وآله» فمر على مجلس من مجالس الأنصار في بني غنم، ينتظرون رسول الله «صلى الله عليه وآله»، فقال لهم: هل مر بكم الفارس أنفأ؟ ثم أخبرهم أنه جبرئيل وليس دحية. زاد في نص آخر قوله: أرسل إلى بني قريظة ليزلزلهم، ويقذف في قلوبهم الرعب^(٣).

(١) قال الشامي: الصوران: اسم للنخل المجتمع الصغار. موضع في أقصى بقيع

الغرق مما يلي بني قريظة. سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٣٨.

(٢) الثقات ج ١ ص ٢٧٤ وراجع: السيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٤٥ وعيون

الأثر ج ٢ ص ٦٩. وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٧.

(٣) راجع: دلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١٤ و ٩ و ١١ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٥١

والبهار ج ٢٠ ص ٢١٠ عنه ومناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ١ =

بل جاء في بعض الروايات ما يلي: «وتخلف النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم لحقهم، فجعل كلما مر رسول الله «صلى الله عليه وآله» بأحد، فقال: هل مر بكم الفارس؟!».

فقالوا: مر بنا دحية بن خليفة، وكان جبرئيل يشبه به^(١).
ويقول نص آخر: «فخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله» فاستقبله حارثة بن نعمان.

فقال له: ما الخبر يا حارثة؟

قال: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، هذا دحية الكلبي ينادي في الناس: ألا لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة.
فقال: ذاك جبرئيل^(٢).

غير أن نصاً آخر يذكر: أنه «صلى الله عليه وآله» مر بنفر من بني النجار بالصوريين، فيهم حارثة بن النعمان، قد صفوا عليهم السلاح، فقال: هل مر بكم أحد؟!.

قالوا: نعم، دحية الكلبي..

إلى أن قال: فأمرنا بلبس السلاح، فأخذنا سلاحنا وصففنا.

= ص ٢٥١ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٨ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٧٠
والسيرة الحلبية ٢ ص ٣٣٢ وراجع: مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٣٧ والإكتفاء ج ٢
ص ١٧٧ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٣٧ و ٢٢٦ و ٢٢٧ و ٢٢٨ وتاريخ
الإسلام (المغازي) ص ٢٥٤ - ٢٥٥.

(١) تفسير فوات (ط سنة ١٤٦٠ هـ. ق) ١٧٤ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦٦ عنه.

(٢) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٩ و ١٩٠ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣٣ و ٢٣٤.

وقال لنا: هذا رسول الله يطلع عليكم الآن.

قال حارثة بن النعمان: فكنا صفين.

فقال لنا رسول الله: ذلك جبريل «بعث إلى بني قريظة ليزلزل بهم حصونهم، ويقذف الرعب في قلوبهم».

فكان حارثة بن النعمان يقول: رأيت جبريل من الدهر مرتين: يوم الصورين، ويوم موضع الجناز، حين رجعنا من حنين^(١).
ونقول:

إن الروايات المتقدمة تفيد: أن الكثير من المسلمين خصوصاً من بني النجار وكذلك حارثة بن النعمان قد رأوا جبريل، إما وهو ينادي في الناس، يأمرهم بالمسير إلى بني قريظة، أو حينها مرّ على مجالسهم، وطلب منهم أن يلبسوا السلاح لأجل ذلك.

قال ابن حزم: «رأى قوم من المسلمين يومئذ جبريل في صورة دحية الكلبي، على بغلة عليها قطيفة، ثم مر عليهم دحية»^(٢).

مع أنهم يروون: أن من يرى جبرئيل يصاب بالعمى، إذا لم يكن نبياً.
ونذكر من هذه الروايات ما يلي:

١ - روي: أنه رأى ابن عباس رجلاً مع النبي «صلى الله عليه وآله»،

(١) راجع: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٨ و ٤٩٩ وراجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٨ و ٩ و ١١ ولم يذكر قول حارثة الأخير، وكذا في المصادر التالية: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٤ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣٣.

(٢) جوامع السيرة النبوية ص ١٥٢ وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٢٣.

فلم يعرفه، فسأل النبي «صلى الله عليه وآله» عنه.

فقال له النبي «صلى الله عليه وآله»: رأيته؟!

قال: نعم.

قال: ذلك جبرئيل. أما إنك ستفقد بصرك. فعمي بعد ذلك في آخر عمره^(١).

٢ - وروي أيضاً: أن ابن عباس جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله»

وعنده رجل، قال: فقمته خلفه. فلما قام الرجل التفت إلي، فقال: يا

حبيبي، متى جئت؟.

قلت: منذ ساعة.

قال: منذ ساعة؟!

قال: فرأيت عندي أحداً؟!

قلت: نعم، الرجل.

قال: ذاك جبرئيل. أما إنه ما رآه أحد إلا ذهب بصره، إلا أن يكون

نبياً. وأنا أسأل الله أن يجعل ذلك في آخر عمرك. اللهم فقهه في الدين،

وعلمه التأويل، واجعله من أهل الإيثار^(٢).

٣ - وروي: أن ابن عباس قال في عماء بسبب رؤية جبرئيل، وإخبار

النبي «صلى الله عليه وآله» له بذلك:

إن يأخذ الله من عينيَّ نورهما ففي لساني وقلبي منهما نور

(١) الإستيعاب (مطبوع بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٣٥٦ وقاموس الرجال ج ٦ ص ٥٠

عنه وراجع: المعجم الكبير ١٠ ص ٢٩٢ ومجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٧٦ عنه وسير

أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٤٠ ومختصر تاريخ دمشق ج ١٢ ص ٢٩٩.

(٢) تاريخ بغداد ج ١٤ ص ٤٣٥ وقاموس الرجال ج ٦ ص ٥٠ عنه.

٢٨٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

قلبي ذكي وعقلي غير ذي دخل وفي فمي صارم كالسيف مأثور^(١)

٤ - وفي رواية أخرى: أن العباس أرسل ولده عبد الله إلى النبي «صلى الله عليه وآله» في حاجة، فوجد عنده رجلاً، فرجع ولم يكلمه، فلقي العباس رسول الله «صلى الله عليه وآله» بعد ذلك، فذكر ذلك له: فقال «صلى الله عليه وآله»: يا عم، تدري من ذاك الرجل؟! قال: لا.

قال: ذاك جبريل لقيني. لن يموت ولدك حتى يذهب بصره، ويؤتى علماً^(٢).

توضيح لا بد منه:

إننا أردنا بما تقدم: تسجيل تحفظ على ما يذكرونه من رؤية الناس لجبرئيل.. لكن هذا التحفظ لا يعني أن يكون جبرئيل لم يقم بأي عمل في غزوة بني قريظة، إذ من الجائز أن يكون «عليه السلام» قد نادى في الناس، وسمعوا صوته، ويكون النبي «صلى الله عليه وآله» هو الذي أخبرهم بأن هذا هو صوت جبرئيل، وذلك كما حصل في أحد حين نادى:
لا فتى إلا علي لا سيف إلا ذو الفقار

جبرئيل ﷺ والنبي ﷺ:

ومهما يكن من أمر: فإن جبرئيل «عليه السلام» قال للنبي «صلى الله

(١) الاستيعاب (بهامش الإصابة) ج ٢ ص ٣٥٦ وقاموس الرجال ج ٦ ص ٥٠ عنه.

(٢) سير أعلام النبلاء ج ٣ ص ٣٤٠ وجمع الزوائد ج ٩ ص ٢٧٧ وقال: رواه الطبراني بأسانيد ورجاله ثقات.

عليه وآله» عن الأحزاب: ما زلت أتبعهم حتى بلغت الروحاء^(١).

أو قال له: لقد طردناهم إلى حمراء الأسد^(٢).

ثم أمره بالمسير إلى بني قريظة، وفي بعض النصوص أنه قال له: إن الله يأمرك بالمشير إلى بني قريظة، فإني عامد إليهم فمزلزل بهم^(٣).

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٢٥١ وإعلام الوري ص ٩٣ (ط سنة ١٣٩٠) والبحار ج ٢٠ ص ٢٧٢ - ٢٧٣ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٢.

(٢) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٧ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤١ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٤ و ٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣٢ وتفسير فرات (ط سنة ١٤١٠ هـ. ق) ص ١٧٤ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦٦.

(٣) سيرة مغلطي ص ٥٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٤ و ٢٢٨ و ٢٣٥ و ٢٣٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ١٢ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١٦ وراجع: ص ١٢٣ والوفاء ص ٦٩٤.

وراجع: مرآة الجنان ج ١ ص ١٠ وتاريخ ابن الوردي ج ١ ص ١٦٢ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣١ - ٣٣٣ والإكتفاء ج ٢ ص ١٧٦ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ ومسند أحمد ج ٦ ص ١٤١ و ١٤٢ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٨٧ والكمال في التاريخ ج ٢ ص ١٨٥ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٣٦ وتاريخ الإسلام (المغازي) ص ٢٥٥ ووفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٥ و ٣٠٦ وحدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٤٤ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٨ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ و ٢٣ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤١ و ٢٤٢ وطبقات ابن سعد (ط دار صادر) ج ٢ ص ٧٤ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٧ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٨ و ٩ و ١٠.

٢٩٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

وفي نص آخر أنه قال: والله لأدقنهم دق البيضة على الصخرة^(١).

أو قال له: «اخرج وقد أمرت بقتالهم، وإني غاد بمن معي فتزلزل بهم حصونهم حتى تلحقونا، فأعطى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب «عليه السلام» الراية، وخرج في إثر جبرئيل، وتحلف النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم لحقهم، فجعل كلما مر الخ...»^(٢).

ويقول نص آخر: فجاء جبرئيل ومن معه من الملائكة، فقال: يا رسول الله، انهض إلى بني قريظة، فقال: إن في أصحابي جهداً (فلو أنظرتهم أياماً). قال: انهض إليهم، لأدخلن فرسي هذا عليهم في حصونهم، ثم لأضعضعنهم^(٣). قال: فأدبر جبريل ومن معه من الملائكة حتى سطع الغبار في زقاق بني غنم من الأنصار^(٤) وهم جيران المسجد^(٥).

(١) إعلام الوري ص ٩٣ (ط سنة ١٣٩٠ هـ.ق) والبحار ج ٢٠ ص ٢٧٢ و ٢٧٣.

(٢) تفسير فرات (ط سنة ١٤١٠ هـ.ق) ص ١٧٤ والبحار ج ٢٠ ص ٢٦٦ عنه.

(٣) راجع: طبقات ابن سعد (ط دار صادر) ج ٢ ص ٧٧ وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٨ و ٩ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣.

(٤) راجع المصادر المتقدمة في الهامش السابق، وراجع: صحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ وطبقات ابن سعد ج ٢ ص ٥٦ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٧٢ وفاء الوفاء ج ١ ص ٣٠٦ ودلائل النبوة لأبي نعيم ص ٤٣٧ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٧ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥٣ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٦ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٤.

(٥) مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٣٧ وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١٢٣.

الفصل الأول: المسير إلى حصون قريظة ٢٩١

وفي نص آخر: أن جبرئيل «عليه السلام» قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: «إني قد قلعت أوتادهم، وفتحت أبوابهم، وتركتهم في زلزال وبلبال»^(١).

النبي ﷺ يندب الناس إلى بني قريظة:

قال الطبرسي: فدعا رسول الله «صلى الله عليه وآله» علياً، فقال: قدم راية المهاجرين إلى بني قريظة..

فقام علي «عليه السلام»، ومعه المهاجرون، وبنو عبد الأشهل، وبنو النجار كلها، لم يتخلف عنه منهم أحد. وجعل النبي «صلى الله عليه وآله» يسرب إليه الرجال، فما صلى العصر إلا بعد العشاء»^(٢).

وعند ابن شهر آشوب: «قدم علياً «عليه السلام» وقال: سر على بركة الله، فإن الله قد وعدكم أرضهم وديارهم. ومعه المهاجرون، وبنو النجار، وبنو الأشهل، وجعل يسرب إليه الرجال.

فلما رأوا قالوا: أقبل إليكم قاتل عمرو. فقال علي «عليه السلام»: الحمد لله الذي أظهر الإسلام، وقمع الشرك»^(٣).

وعن عائشة: أنه «صلى الله عليه وآله» بعث بلالاً، فأذن في الناس: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» يأمركم أن لا تصلوا العصر إلا ببني قريظة. ولبس رسول الله «صلى الله عليه وآله» السلاح، والمغفر، والدرع،

(١) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٣.

(٢) إعلام الوری (ط سنة ١٣٩٠ هـ.ق) ص ٩٣ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٧٢ و

٢٧٣ وتاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٢.

(٣) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٢٥١.

٢٩٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

والبيضة، وأخذ قناة يده، وتقلد الترس، وركب فرسه (اللحيف)، وحف به أصحابه، وتلبسوا السلاح، وركبوا الخيل^(١).

وفي نص آخر يقول: لبس «صلى الله عليه وآله» لامته، وبيضته، وشد السيف في وسطه، وألقى الترس من وراء كتفه، وأخذ رمحه، وركب فرسه، واسمه لحيف، واجتنب فرسين^(٢).

ولم يتخلف عنه من المهاجرين أحد، وأفاء عامة الأنصار^(٣).

واستخلف على المدينة ابن أم مكتوم^(٤) أو أبا رهم الغفاري، كلثوم بن

(١) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٧ و ٤٩٨ و ٤٩٩. وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٨ - ١١ وطبقات ابن سعد (ط دار صادر) ج ٢ ص ٧٤ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤١ و ٢٤٢ وراجع أيضاً: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣٢ و ٣٣٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ٣.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٣ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣ وراجع: إمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤٢.

(٣) تاريخ يعقوبي ج ٢ ص ٥٢.

(٤) الوفا ص ٦٩٥ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ص ٣١ ونور اليقين ص ١٦٦ وجوامع السيرة النبوية ص ١٥٣ والسيرة النبوية لابن هشام ج ٣ ص ٢٤٥ وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٨ عنه وطبقات ابن سعد (ط دار صادر) ج ٢ ص ٧٤ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٤ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٦ وأنساب الأشراف ج ١ ص ٣٤٧ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤١ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٣ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٨٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣٣.

ونحن نشير هنا إلى الأمور التالية:

الأول: قَدَم راية المهاجرين:

تقدم أن النص المنقول عن الطبرسي يقول: إن النبي «صلى الله عليه وآله» قال لعلي «عليه السلام»: قدم راية المهاجرين إلى بني قريظة. فقام علي «عليه السلام» ومعه المهاجرون وبنو عبد الأشهل، وبنو النجار كلها، الخ.. وأن عامة الأنصار كانوا معه أيضاً.

ونحن نشير هنا إلى ما يلي:

ألف: قد يدور بخلد البعض أن هذا النص يهدف إلى الإيحاء بأن علياً كان في هذه الغزوة يحمل راية المهاجرين فقط، لا راية الجيش كله.. ونقول:

إن هذا لا يمنع من أن يكون لواء الجيش كله ورايته مع علي، بالإضافة إلى راية المهاجرين التي أعطاه رسول الله «صلى الله عليه وآله» إياها أولاً.. ومما يؤكد ذلك: أن نفس الطبرسي قد صرح بأن الذين قاموا مع علي حين أعطاه راية المهاجرين هم المهاجرون، وبنو عبد الأشهل، وبنو النجار كلها، وجعل رسول الله «صلى الله عليه وآله» يسرب.. وسيأتي ما يؤكد: أن راية الجيش ولواءه كان في بني قريظة مع علي «عليه السلام».

ولعل سر تصريح النبي «صلى الله عليه وآله» في بادئ الأمر براءة المهاجرين.. ثم ألحقها «صلى الله عليه وآله» براءة الجيش كله هو ما يلي:

١ - إنه «صلى الله عليه وآله» قد أراد أن يفهم بني قريظة: أنهم إذا كانوا قد نقضوا عهده من أجل أن ينصروا أهل مكة في صراعهم معه، فإن هؤلاء أيضاً من أهل مكة، وقد جاؤوا لحربهم وقتلهم، وعلى رأسهم ابن شيخ الأبطح علي بن أبي طالب «عليه السلام».

٢ - إنه إذا كان فريق من قبيلة الأوس يشعر بأن لبني قريظة معه علاقة من نوع ما، ولا بد من التعامل على أساس حفظ هذه العلاقة، وحفظ ما يترتب عليها من التزامات، فإن النبي «صلى الله عليه وآله» سوف لن يواجههم بما يعتبرونه تفريطاً بالتزاماتهم تلك، أو عدم احترام لها، أو قلة وفاء بها، إلا بعد أن تتكون لديهم هم أنفسهم القناعة الكاملة، بما يريد لهم أن يلتزموا بموقف محدد تجاهه.

ولا نبعد كثيراً إذا قلنا: إن هذا قد كان من أسباب بدئه بالمهاجرين في هذه الغزوة بإعطاء رأيهم لعلي «عليه السلام»، كما أنه كان أيضاً من أسباب تقديم النبي «صلى الله عليه وآله» أهل بيته في الحروب، بالإضافة إلى أسباب أخرى ليس هنا محل التعرض لها.

كما أن هذا بالذات هو سبب إرسال سرايا المهاجرين في بداية الهجرة. حتى اقتنع الأنصار بأن مشاركتهم الحربية ليس فيها أي مساس بالتزاماتهم، ولا بما عقدوه مع الآخرين من عهود وعقود، كما أنه يعتبر من صميم التزاماتهم تجاه الإسلام ونبي الإسلام.

ب: قد تقدم مبادرة بني عبد الأشهل، وبني النجار كلهم، ثم لحوق

عامّة الأنصار بهم، حيث كان النبي «صلى الله عليه وآله» يسريهم إلى علي «عليه السلام». وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على مزيد من الوعي، والإخلاص، والإحساس بالمسؤولية لدى الأنصار بصورة عامة.

الثاني: حمراء الأسد أو الروحاء:

وقد ذكرت بعض النصوص المتقدمة أيضاً: أن جبرئيل «عليه السلام» قال للنبي «صلى الله عليه وآله»: ما زلت أتبعهم حتى بلغت الروحاء^(١).

ونحن نشك في صحة ذلك: لأن جبرئيل قد جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله» ظهر اليوم الذي فر المشركون في ليلته، أو بعد الظهر بقليل. أي بعد فرار المشركين بنصف يوم أو أكثر بقليل، ولا يمكن للمشركين أن يقطعوا المسافة التي بين المدينة وبين الروحاء بهذه المدة القصيرة.

وذلك لأن الروحاء كانت على بعد ليلتين من المدينة^(٢)، بينما أحد وأربعون أو اثنان وأربعون ميلاً^(٣).

وقيل: ستة وثلاثون^(٤).

(١) مناقب آل أبي طالب (ط دار الأضواء) ج ١ ص ٢٥١ وإعلام الوری (ط سنة ١٣٩٠هـ) ص ٩٣ والبحار ج ٢٠ ص ٢٧٢ و ٢٧٣.

(٢) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٢٢.

(٣) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٢٢.

(٤) راجع: معجم البلدان ج ٣ ص ٨٧ وفيه: يوماً، وهو خطأ، والصحيح ميلاً. ومراصد الإطلاع ج ٢ ص ٦٣٧ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٢٢ وعن صحيح البخاري كتاب البيوع، باب ١١١ وعن صحيح مسلم كتاب الصلاة ح ١٥.

وقيل: نحو أربعين^(١).

وقيل: ثلاثون^(٢).

وقيل: أربعة برد^(٣).

فالصحيح هو تلك الرواية التي تقول: إن الملائكة طردت المشركين حتى بلغوا حمراء الأسد^(٤)، التي تبعد عن المدينة ثمانية أميال^(٥).

الثالث: على حمار، أم على فرس؟!

قد ذكر فيما سبق: أنه «صلى الله عليه وآله» ركب فرسه، وكان له «صلى الله عليه وآله» ثلاثة أفراس كانت معه.

مع أنه قد روي عن أبي رافع: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» غدا إلى بني قريظة على حمار عري، يقال له: يعفور. زاد في بعض المصادر قوله: والناس حوله.

(١) مراصد الإطلاع ج ٢ ص ٦٣٧ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٢٢ ومعجم البلدان ج ٣ ص ٨٧ (ط دار الكتب العلمية) وفيه: يوماً وهو خطأ، والصحيح: ميلاً.

(٢) المصادر المتقدمة.

(٣) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٢٢.

(٤) المغازي للواقدي ج ٢ ص ٤٩٧ وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٩ وتفسير فوات (ط سنة ١٤١٠ هـ. ق) ص ١٧٤ وبحار الأنوار ج ٢٠ ص ٢٦٦ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣٢ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣ وتاريخ الإسلام للذهبي (المغازي) ص ٢٥٤.

(٥) معجم البلدان ج ٢ ص ٣٤٦ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٩٦ ومراصد الإطلاع ج ١ ص ٤٢٤.

وعند ابن سعد: والناس يمشون^(١).

وفي شمائل الترمذي: كان «صلى الله عليه وآله» يوم قريظة على حمار مخطوم بحبل من ليف عليه إكاف ليف^(٢).
وقال اليعقوبي: وركب حماراً له^(٣).

الرابع: من الذي نادى في الناس: علي أم بلال؟!

وذكر نص آخر، ذكرناه فيما تقدم أيضاً: أن النبي «صلى الله عليه وآله» بعث بلالاً، فأذن في الناس أن لا يصلي أحد منهم العصر إلا في بني قريظة. بينما نجد نصاً آخر يقول: إن قتادة بن النعمان أخبر النبي «صلى الله عليه وآله» أن دحية ينادي في الناس: ألا لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة.

فقال «صلى الله عليه وآله»: ذاك جبرئيل، ادع لي علياً.

فجاء علي، فقال له: ناد في الناس ألا لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة. فجاء أمير المؤمنين «عليه السلام»، فنادى فيهم، فخرج الناس، فبادروا إلى بني قريظة.

وخرج رسول الله «صلى الله عليه وآله»، وعلي بن أبي طالب بين يديه

(١) مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٤١ عن الطبراني في الأوسط، وإمتاع الأسماع ج ١ ص ٢٤٢ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١١ وطبقات ابن سعد (ط دار صادر) ج ٢ ص ٧٦ وراجع: السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣٣.

(٢) تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٣.

(٣) تاريخ اليعقوبي ج ٢ ص ٥٢.

مع الراية العظمى الخ...^(١).

وإذا كنا نعلم: أن السياسة كانت تتجه إلى إعطاء كل الأدوار إلى الآخرين وتجاهل، بل وتزوير التاريخ، لإبعاد علي «عليه السلام» عن الواجهة إلى درجة تجعل البعض يتخيل أنه لم يكن قد ولد بعد.

فإننا ندرك السبب: في أنهم يذكرون نصف هذا النص ويرددونه في كتبهم وصحاحهم، ويتجاهلون النصف الآخر، إلى درجة التجرؤ على استبدال علي «عليه السلام» ببلال. كما تقدم.

فاقرأ واعجب، فما عشت أراك الدهر عجباً.

الخامس: رواية لا تصح:

وعن الزهري، عن ابن المسيب، بعد أن تحدث عن هزيمة الأحزاب، قال: «فندب النبي «صلى الله عليه وآله» أصحابه في طلبهم. فطلبوهم حتى بلغوا حمراء الأسد، قال: فرجعوا، قال: فوضع النبي «صلى الله عليه وآله» لأمته، واغتسل، واستجمر، فنادى النبي «صلى الله عليه وآله» جبرئيل: عذيرك من محارب، ألا أراك قد وضعت اللامة، ولم نضعها نحن!!

فقام النبي «صلى الله عليه وآله» فزعاً، فقال لأصحابه: عزمت عليكم ألا تصلوا العصر حتى تأتوا بني قريظة، فغربت الشمس قبل أن يأتوها الخ...»^(٢).

ونقول:

(١) تفسير القمي ج ٢ ص ١٨٩ و ١٩٠ والبحار ج ٢٠ ص ٢٣٣ و ٢٣٤.

(٢) المصنف للصنعاني ج ٥ ص ٣٦٩ وراجع: دلائل النبوة لأبي نعيم ص ٤٣٨ وأشار إليه في مجمع الزوائد ج ٦ ص ١٤٠ عن الطبراني.

الفصل الأول: المسير إلى حصون قريظة ٢٩٩

أولاً: لا ندرى لماذا قام النبي «صلى الله عليه وآله» فزعاً. مع أن المقام مقام طمأنينة مع وجود العناية الربانية، والتسديد والتوجيه الإلهي، الذي يظهر جلياً بمشاركة جبرئيل والملائكة في هذه الحرب؟!.

إلا أن يكون «صلى الله عليه وآله» قد خشي من أن يكون قد ارتكب شيئاً من التقصير في مطاردة أعداء الله، والقضاء على مصدر الشر والانحراف وحاشاه أن يقصر!!

ثانياً: إن معظم المسلمين حين جلاء الأحزاب قد تنفسوا الصعداء، وبادروا إلى التوجه نحو المدينة، مخالفين بذلك أمر رسول الله «صلى الله عليه وآله». كما قدمناه سابقاً.

فما معنى القول: إنهم طلبوهم حتى بلغوا حمراء الأسد؟!

ثالثاً: قد تقدم آنفاً: أن جبرئيل والملائكة «عليهم السلام» هم الذين طاردوا المشركين إلى حمراء الأسد والروحاء^(١). ولعل الأمر قد اشتبه على ابن المسيب بين غزوة الأحزاب وغزوة أحد، فإن المسلمين إنما طاردوا المشركين إلى حمراء الأسد في غزوة أحد لا الأحزاب.

السادس: لماذا لم يعنف ﷺ تاركي الصلاة؟:

قد ذكرت الروايات المتقدمة: أن المسلمين اجتمعوا عند النبي «صلى الله عليه وآله» عشاء، فمنهم من لم يصل حتى جاء بني قريظة، ومنهم من قد صلى، فذكروا ذلك لرسول الله «صلى الله عليه وآله»، فما عاب أحداً

(١) راجع الهوامش التي تقدمت تحت عنوان: جبرئيل والنبي، وتحت عنوان: في بيت عائشة أم في بيت فاطمة؟!، وتحت عنوان: حمراء الأسد أو الروحاء؟!

٣٠٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١
منهم، وفي بعض النصوص: أن صلاة العصر حانت وهم في الطريق
فذكروا الصلاة، فاحتج الذين لم يصلوا بقول النبي «صلى الله عليه وآله»
لهم: لا يصلين أحد العصر، أو الظهر إلا في بني قريظة^(١).

وقد اختلفت الكلمات في توجيه ذلك، ونحن نجمل أولاً ما ذكروا،
ثم نشير إلى بعض النقاط التي تفيد في تأييد أو تفنيذ ذلك، فنقول:

١ - قد ذكر البعض: أن عدم تعنيفه «صلى الله عليه وآله» لأولئك
الذين تركوا صلاة العصر إنما هو لأنهم أدركوا أن قيام الدولة الإسلامية،
والعمل له ألزم من الصلاة، مع ما لها من مكانة في الإسلام، لأنها إن

(١) راجع فيما تقدم: المغازي للواقدي ج ٢ ص ٥٠٠ وجوامع السيرة النبوية ص ١٥٢
والكامل في التاريخ ج ٢ ص ١٨٥ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ و ١١٤ وإمتاع
الأسماع ج ١ ص ٢٤٣ وتاريخ الأمم والملوك ج ٢ ص ٢٤٥ وص ٢٤٦ وطبقات
ابن سعد ج ٢ ص ٧٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣ و ١٤ والسيرة النبوية
لابن هشام ج ٣ ص ٢٤٦ و ٢٤٥ وصحيح البخاري ج ٣ ص ٢٢ والسيرة الحلبية
ج ٢ ص ٣٣٤ ومجمع البيان ج ٨ ص ٣٥١ والبحار ج ٢٠ ص ٢١٠ عنه، والسيرة
النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٥ - ٢٢٨ والبداية والنهاية ج ٤ ص ١١٧ و ١١٩
والروض الأنف ج ٣ ص ٢٨١ وحدائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٤ والمصنف للصنعاني
ج ٥ ص ٣٧٠ ومجمع الزوائد ج ٦ ص ١٤٠ وبهجة المحافل ج ١ ص ٢٧٢ و ٢٧٣
وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٤ وتاريخ الإسلام (المغازي) ص ٢٥٣ و ٢٥٤
وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٨ و ١٠ و ٣٣ - ٣٥ ومسند أبي عوانة ج ٤ ص ١٧٣
وصحيح مسلم ج ٥ ص ١٦٢ ودلائل النبوة للبيهقي ج ٤ ص ٦ - ٨ و ١٢
والإكتفاء ج ٢ ص ١٧٧ ونهاية الأرب ج ١٧ ص ١٨٧ والثقات ج ١ ص ٢٧٤
وعيون الأثر ج ٢ ص ٦٩ وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٤.

أقيمت دولة الإسلام أقيمت الصلاة، وسائر تعاليم الإسلام^(١).

ونقول:

إن هذا الكلام لا يصح، وذلك لما يلي:

أولاً: إنه حين لم يعب أحداً منهم، فإما أن يكون الفريقان معاً على صواب، وهذا غير معقول، أو يكون أحدهما مصيباً والآخر خاطئاً. فاللازم في هذه الحالة هو تعليم المخطئ وإرشاده إلى الخطأ الذي وقع فيه.

ثانياً: لو صح هذا الكلام، لكان بوسع كل من يسعى لإقامة دولة إسلامية أن يترك الصلاة ما دام يعمل في هذا السبيل.

بل كان له أن يترك سائر شعائر الإسلام، وأحكامه، إذا جاز له ترك عمود الدين، للعلم القطعي بعدم وجود خصوصية للصلاة في هذا المورد..
٢ - وذكر البعض توجيهها آخر لما ذكروا من عدم تعنيف النبي «صلى الله عليه وآله» لمن صلى، ولمن ترك الصلاة.

فادّعى: أن من صلى حاز الفضيلتين: امثال الأمر في الإسراع، وامثال الأمر في المحافظة على الوقت، وإنما لم يعنف «صلى الله عليه وآله» الذين أخروها: لقيام عذرهم في التمسك بظاهر الأمر، ولأنهم اجتهدوا فأخروا امتثالاً للأمر، لكنهم لم يصلوا إلى أن يكونوا في أصوب من اجتهاد الطائفة الأخرى^(٢).

وعبارة البعض هنا تقول: «إن أدلة الشرع تعارضت عندهم بأن

(١) التفسير السياسي للسيرة ص ٢٧٩ و ٢٨٠.

(٢) سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٣٥ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٤.

٣٠٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

الصلاة مأمور بها في الوقت، مع أن المفهوم من قول النبي «صلى الله عليه وآله»: لا يصلين أحد الظهر أو العصر إلا في بني قريظة، المبادرة بالذهاب إليهم، وأن لا يشتغل عنه بشيء لا أن تأخير الصلاة مقصود في نفسه، من حيث أنه تأخير.

فأخذ بعض الصحابة بهذا المفهوم نظراً إلى المعنى، لا إلى اللفظ، فصلوا حين خافوا فوت الوقت. وأخذ آخرون بظاهر اللفظ وحقيقته، فأخروها. ولم يعنف النبي «صلى الله عليه وآله» واحداً من الفريقين لأنهم مجتهدون^(١). ونقول تعليقاً على ذلك:

إننا نرى: أن سبب عدم عيب النبي «صلى الله عليه وآله» من ترك صلاته ليس هو ما ذكره هؤلاء ولا يمكن استفادة ضابطة ولا تأسيس أي من القواعد التي استفادوها، وأسسوا وبنوا عليها، استناداً إلى فهمهم المنقول عنهم آنفاً، لأنه فهم خاطئ، ولا مبرر له.

بل السبب: في أن النبي «صلى الله عليه وآله» ما عاب، ولا عنف، ولا لام أحداً منهم على ذلك هو أنه «صلى الله عليه وآله» قد عذرهم بفهمهم الخاطئ لمرمى كلامه، رغم وضوحه وظهوره.

وذلك إن دل على شيء: فإنه ليس فقط لا يدل على اجتهادهم المدعى، بل هو يدل على تدني خطير في مستوى تفكيرهم، إلى درجة يلحقهم بالقاصرين، الذين يعذرون فيما يأتونه ويرتكبونه عن جهل وقصور.

فقد كان من الواضح: أنه «صلى الله عليه وآله» حين أمرهم بالمسير إلى

(١) شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٢ ص ٩٨.

الفصل الأول: المسير إلى حصون قريظة ٣٠٣

بني قريظة على النحو المتقدم، إنما أراد منهم الإسراع في ذلك إلى درجة أن لا يصلوا العصر إلا في بني قريظة، أي أنه «صلى الله عليه وآله» يريد منهم أن يصلوا إليها حينما يحين وقت صلاة العصر، أو قبل ذلك.

وهذا بالذات هو الذي فهمه الذين صلوا في الطريق، كما ذكره البعض^(١). لا أنه «صلى الله عليه وآله» أراد أن يسقط عنهم الصلاة في خارج منطقة بني قريظة.

والذين صلوا في الطريق كانوا - فيما يظهر - هم الفئة الأكثر وعياً، وتفهماً للكلام في مداليله اللغوية والعرفية.

٣ - أما ابن حزم فقد قال: «أما التعنيف، فإنما يقع على العاصي المتعمد المعصية، وهو يعلم أنها معصية، وأما من تأول للخير، فهو - وإن لم يصادف الحق - غير معنف. وعلم الله أننا لو كنا هناك ما صلينا العصر في ذلك اليوم إلا في بني قريظة، ولو بعد أيام.

ولا فرق بين نقله «صلى الله عليه وآله» صلاة في ذلك اليوم إلى موضع بني قريظة، وبين نقله صلاة المغرب ليلة مزدلفة إلى وقت العشاء، وصلاة العصر من يوم عرفة إلى وقت الظهر. والطاعة في ذلك واجبة^(٢).

(١) راجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١١٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ٢٢٧ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٤ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٤ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٣٥ و ٣٤ وشرح النووي على صحيح مسلم ج ١٢ ص ٩٨ وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٥ وأول ص ٣١٦.

(٢) جوامع السيرة النبوية ص ١٥٢ و ١٥٣ وراجع: البداية والنهاية ج ٤ ص ١١٨ والسيرة النبوية لابن كثير ج ٣ ص ١١٨.

ونقول:

لقد غلط ابن حزم هنا غلطاً فاحشاً، وذلك لما يلي:

أولاً: اعتبر أن النبي «صلى الله عليه وآله» قد نقل صلاة العصر إلى بني قريظة، بحيث لو لم يذهبوا إلى بني قريظة إلا بعد أيام لتركوا صلاة العصر في كل تلك الأيام، ولو كان ابن حزم معهم لفعل مثل فعلهم أيضاً.
مع أن النبي «صلى الله عليه وآله» لم ينقل الصلاة، بل أمرهم بالإسراع في الحضور إلى بني قريظة، بهذا الأسلوب، بحيث لو تأخر بعضهم عمداً، أو انصرف عن الذهاب عصياناً، أو لعذر فإن صلاة العصر لا تسقط عنه، بل تبقى واجبة عليه، وعليه أن يصلّيها في مكانه أينما كان. ولو أن ابن حزم فعل غير هذا لكان هو الآخر مخطئاً، كما أخطأ ذلك الفريق من الصحابة في تركهم الصلاة في وقتها.

ثانياً: لقد ناقض ابن حزم نفسه حين أشار إلى أن الذين أخرجوا صلاتهم، قد تأولوا قصداً للخير، وإن لم يصادفوا الحق. ثم اعتبر - من جهة أخرى - أن صلاة العصر لم تكن واجبة عليهم إلا في بني قريظة.

ثالثاً: لماذا التزم ابن حزم باختصاص هذا الحكم بصلاة العصر، أو الظهر، ولا يتعدها إلى غيرها، مع أن ما ذكره من التعليل بالتأول قصداً للخير يقتضي تعميم ذلك؟ كما أن تصريحه بنقل الصلاة إلى بني قريظة يجعل الحكم مختصاً بصلاة العصر في ذلك اليوم فقط!

رابعاً: قد ادّعى: أن صلاة المغرب قد نقلت ليلة مزدلفة إلى وقت العشاء، وأن صلاة العصر قد نقلت يوم عرفة إلى وقت الظهر. وأن صلاة العصر قد نقلت يوم بني قريظة إلى بني قريظة. مع أن وقت المغرب مستمر إلى ما قبل

الفصل الأول: المسير إلى حصون قريظة ٣٠٥

منتصف الليل بقليل، وتختص هي في أول المغرب بمقدار أدائها، ثم يصير الوقت مشتركاً بينها وبين العشاء إلى ما قبل منتصف الليل بمقدار أربع ركعات وهو يختص بالعشاء.

كما أن الظهر تختص في أول الزوال بمقدار أدائها، ثم يصير الوقت مشتركاً بينها وبين العصر إلى ما قبل غروب الشمس بمقدار أربع ركعات التي هي خاصة بالعصر.

غير أن وقت فضيلة الظهر وزيادة المثوبة عليها يمتد إلى حين يصير ظل كل شاخص مثله، ووقت فضيلة العصر وزيادة المثوبة عليها تمتد إلى أن يصير ظل كل شيء مثليه.

ويؤيد ذلك، بل يدل عليه قوله تعالى: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَى غَسَقِ اللَّيْلِ وَقُرْآنَ الْفَجْرِ إِنَّ قُرْآنَ الْفَجْرِ كَانَ مَشْهُوداً﴾^(١).

فإنه تعالى لم يذكر في كتابه الكريم إلا ثلاثة أوقات للصلاة، ولا ينطبق ذلك إلا على التقدير الذي ذكرناه آنفاً.

خامساً: إن كلام ابن حزم لو سلمناه، فإنما يصح لو كانت قد فاتتهم صلاة العصر فقط، أما لو كان الفائت هو صلاتي الظهر والعصر معاً، كما في بعض الروايات وكان النبي «صلى الله عليه وآله» قد قال لهم: لا يصلين أحد الظهر إلا في بني قريظة، فلا يستطيع ابن حزم أن يثبت نقل كلا الصلاتين إلى بني قريظة؛ لأن المذكور في كلامه «صلى الله عليه وآله» هو أحدهما أما الأخرى وهي العصر، فإنه لم يصرح بنقلها، فكيف تركوها؟

٣٠٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

والنصوص التي هي محط نظرنا هي التالية:

في البخاري - في جميع الروايات -: لا يصلين أحد العصر، وفي مسلم: الظهر، مع اتفاقهما على روايتهما عن شيخ واحد، بإسناد واحد^(١).
ووافق البخاري أبو نعيم، وأصحاب المغازي، والطبراني، والبيهقي في دلائله^(٢) والإسماعيلي.

ووافق مسلماً: أبو يعلى، وابن سعد^(٣)، وأبو عوانة^(٤)، وابن حبان^(٥)
وقد جمع البعض بينهما باحتمال أن يكون بعضهم كان قد صلى الظهر قبل الأمر بالذهاب وبعضهم لم يصلها، فقل لمن لم يصلها: لا يصلين أحد الظهر، ولمن صلاها: لا يصلين أحد العصر.
أو أن طائفة منهم راحت بعد طائفة، فقل للطائفة الأولى: الظهر، ولتي بعدها: العصر.

قال ابن حجر: وكلاهما جمع لا بأس به.

لكن يبعده اتحاد المخرج؛ لأنه عند الشيخين بإسناد واحد، من مبدئه إلى منتهاه، فيبعد أن يكون كل من رجال أسناده قد حدث به على الوجهين، إذ لو كان كذلك لحمله واحد منهم عن بعض رواته على الوجهين، ولم يوجد ذلك.

(١) راجع: هامش كتاب الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج ٤ ص ٣٢١.

(٢) راجع: كتاب الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج ٤ ص ٨.

(٣) الطبقات الكبرى ج ٢ ص ٧٦.

(٤) مسند أبي عوانة ج ٤ ص ١٧٣.

(٥) الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان ج ٤ ص ٣٢٠ و ٣٢١.

الفصل الأول: المسير إلى حصون قريظة ٣٠٧

وقيل: في وجه الجمع أيضاً: أن يكون «صلى الله عليه وآله» قال لأهل القوة، أو لمن كان منزله قريباً: لا يصلين أحد الظهر.

وقال لغيرهم: لا يصلين أحد العصر^(١).

هذا كله: مع العلم بأن المسافة إلى بني قريظة لم تكن بعيدة، بل كانت لا تحتاج إلى أكثر من ساعتين من نهار، كما سنرى.

إستفادات ودلالات:

قد ذكروا: أنه يستفاد من هذا التشريع - أعني جواز ترك الصلاة استناداً إلى اجتهاد أو فهم مشابه - الأمور التالية:

١ - إنه لا إثم في الخطأ، كما قال «صلى الله عليه وآله»: رفع عن أمتي الخطأ والنسيان^(٢).

٢ - إن هذا يدل على جواز الجمع بين الصلاتين جمع تأخير^(٣).

٣ - إن هذا منه «صلى الله عليه وآله» تقرير لمبدأ الاجتهاد في استنباط

(١) راجع المصادر التالية: إرشاد الساري ج ٦ ص ٣٢٨ و ٣٢٩ وعمدة القاري ج ١٧ ص ١٨٩ و ١٩٠ وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٣ و ٣١٤ والمواهب اللدنية ج ١ ص ١١٥ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٣٣ و ٣٤ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٣ وشرح النووي على صحيح مسلم ج ١٢ ص ٩٨ والسيرة الحلبية ج ٣ ص ٣٣٢.

(٢) خاتم النبیین ج ٢ ص ٩٥١ وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٥ وراجع: سبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ٣٤.

(٣) خاتم النبیین ج ٢ ص ٣٥١.

٣٠٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١
الأحكام الشرعية.

٤ - إن المتخالفين في الاجتهاد معذوران، ومثابان، سواء قلنا: «إن المصيب واحد، أو متعدد»^(١).

٥ - إن استئصال الخلاف في مسائل الفروع، التي تنبع من دلالات ظنية أمر لا يمكن أن يتصور أو يتم.

حكمة ذلك كله: هو أن تكون الاجتهادات المختلفة وثيقة الصلة بالأدلة المعتمدة شرعاً، ليتمكن للمسلمين أن يأخذوا بأبها شأوا حسب ظروفهم ومصالحهم. وهذا من مظاهر رحمة الله لهم^(٢).

٦ - في هذا دليل على أن كل مختلفين في الفروع من المجتهدين مصيب. وفي حكم داود وسليمان في الحرث أصل لهذا الأصل أيضاً.

ولا يستحيل أن يكون الشيء صواباً في حق إنسان، وخطأ في حق غيره. فيكون من اجتهد في مسألة، فأداه اجتهاده إلى التحليل مصيباً في استحلاله، وآخر اجتهد فأداه اجتهاده ونظره إلى التحريم مصيباً في تحريمه. وإنما المحال: أن يحكم في النازلة بحكمين متضادين، في حق شخص واحد^(٣).

وقال ابن الديبع: «وفي ذلك فسحة للمجتهدين رضي الله عنهم، وأن كل مجتهد مصيب، أي في الفروع، إذا لم يخص واحداً من الفريقين بصواب

(١) فقه السيرة للبوطي ص ٣٠٧ و ٣٠٨.

(٢) المصدر السابق.

(٣) الروض الأنف ج ٣ ص ٢٨١ وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٥ وراجع السيرة الحلبية

ج ٢ ص ٣٣٤.

الفصل الأول: المسير إلى حصون قريظة ٣٠٩
ما ذهب إليه^(١).

٧ - «فيه دلالة لمن يقول بالمفهوم.

٨ - والقياس.

٩ - ومراعاة المعنى.

١٠ - ولمن يقول بالظاهر أيضاً^(٢).

١١ - وفيه أنه لا يعنف المجتهد فيما فعله بجتهاده، إذا بذل وسعه في الاجتهاد^(٣).

ونقول:

أولاً: إن النبي «صلى الله عليه وآله» إنما ترك تعنيف كلا الطائفتين ومجرد ترك التعنيف لا يدل على جواز الجمع بين الصلاتين.

ولا على التصويب لكلا الفريقين، ولا على كون المجتهد لا يعنف، وإن أخطأ، إذا بذل وسعه في الاجتهاد^(٤). كما أنه لا يدل على وجود مجتهدين في البين؟؟

ولا على كون المتخالفين في الاجتهاد معذورين ومثابين.

ولا على القياس أو المفهوم، أو مراعاة المعنى..

(١) حقائق الأنوار ج ٢ ص ٥٩٥ وراجع: شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٢ ص ٩٨.

(٢) النووي على صحيح مسلم ج ١٢ ص ٩٨.

(٣) شرح النووي على صحيح مسلم ج ١٢ ص ٩٨ وراجع: فتح الباري ج ٧ ص ٣١٥.

(٤) راجع: شرح النووي على صحيح مسلم ج ٢ ص ٩٨ وفتح الباري ج ٧ ص ٣١٥.

ولا، ولا..

بل هو يدل فقط: على عدم توجه العقاب على كلا الفريقين.

ثانياً: بالنسبة للتصويب نقول:

ألف: قد قلنا: إن هذه الحادثة لا تدل على وجود مجتهدين، لا بين الذين تركوا صلاة العصر، ولا بين الذين صلوها.

ب: لو سلم وجود مجتهدين، وأن ما جرى قد نشأ عن اجتهاد من كلا الفريقين، فلا يدل موقف النبي «صلى الله عليه وآله» على التصويب، بل على مجرد المعذورية في صورة الخطأ، أي أنه «صلى الله عليه وآله» قد عذرهم بفهمهم الخاطئ، وليس المورد من موارد الاجتهاد، فضلاً عن كونه صواباً أو خطأ.

ج: إن نظرية التصويب باطلة عقلاً، فلا بد من التأمل في صحة أو في دلالة ما ظاهره ذلك، إذ لا يمكن أن يخالف الشرع العقل في أحكامه الصريحة.

د: قد عبر البعض عن هذا التصويب، بأن يتمكن المسلمون أن يأخذوا بأيها شأؤوا، تبعاً لحاجاتهم، وظروفهم ومصالحهم.

وهذا يعني: أن تكون الأحكام تابعة لأهواء الناس ومصالحهم، وهل هذا إلا تشريع التلاعب بالدين وأحكامه؟ والقضاء على رموزه وأعلامه؟!

ثالثاً: بالنسبة لجواز الجمع بين الصلاتين جمع تأخير نقول:

ألف: إن هذا الكلام لم يظهر له معنى، إذا كان التأخير عن خطأ، كما صرح به هذا القائل نفسه، فإن المخطئ معذور في خطئه إن كان عن قصور، لا أنه يثبت له حكم شرعي في المورد الذي أخطأ فيه هو الجواز، أو غيره من الأحكام.

ب: لا ندري ما معنى جواز التأخير بنية الأداء، بعد فوت الوقت. فإن الفوات قد تحقق بعد غروب الشمس، فما معنى نية الأداء لصلاة العصر في خارج وقتها؟!

رابعاً: إن إثبات الاجتهاد لجميع أولئك الناس، الذين كان فيهم العالم والجاهل والكبير والصغير، ولو في أوائل بلوغه، والعالم والفلاح والخ.. دونه خرط القتاد.

خامساً: إن المسافة بين المدينة وبين بني قريظة قريبة جداً، لا تحتاج إلى أكثر من ساعة أو ساعتين على أبعد تقدير لقطعها.

والمفروض: أن أمر النبي «صلى الله عليه وآله» للمسلمين بالمسير قد كان قبل صلاة العصر، بل وربما قبل الظهر، فتأخر البعض في الوصول إلى بني قريظة إلى ما بعد العشاء الآخرة ليس له ما يبرره إلا تباطؤ هذا البعض في تنفيذ أمر النبي «صلى الله عليه وآله».

ويؤكد هذا: أن قسماً من الناس قد صلوا العصر في بني قريظة، ولم يقع منهم أي تأخير. وعدم صلاة ذلك الفريق الآخر - حتى لو سلمنا أنهم قد فهموا الحكم الشرعي بصورة خاطئة، أو أنهم لم يفهموا حقيقة مغزى كلامه «صلى الله عليه وآله» -.

نعم، إن عدم صلاتهم لا مبرر له إلا التباطؤ وعدم الاهتمام بتنفيذ مراداته «صلى الله عليه وآله» وتحقيق مقاصده..

أمران يحسن إيضاحهما:

أحدهما: أننا نرجح رواية: لا تصلوا الظهر إلا في بني قريظة، على

رواية العصر. وذلك لعدة أسباب..

الثاني: بيان المسافة بين المدينة وقريظة، وأنها لا تستغرق أكثر من ساعتين على أبعد تقدير، وقد تباطأوا أو تواطأوا على التسويف في تنفيذ أمر النبي «صلى الله عليه وآله».

ونحن نوضح هذين الأمرين، بالمقدار الذي يسمح لنا به المجال، فنقول:

١- لا تصلوا الظهر إلا في بني قريظة:

أما بالنسبة لترجيح رواية: لا تصلوا الظهر، فقد تقدم منا: أن جبرئيل قد جاء إلى النبي «صلى الله عليه وآله»، وإن على ثنياه لتقع الغبار، وأخبره: أن الملائكة لم يضعوا السلاح، بل ما زالوا يتعقبون المشركين إلى حمراء الأسد التي كانت تبعد عن المدينة ثمانية أميال فقط، ولا يحتاج الوصول إليها والرجوع منها إلى أكثر من ساعات قليلة لا تصل إلى ربع أو ثلث يوم.

مع أنه: كان قد مضى على انهزام الأحزاب حوالي نصف يوم.

وإذا كان النبي «صلى الله عليه وآله» قد بادر إلى أمر الناس بالمسير إلى بني قريظة بمجرد سماعه ذلك من جبرئيل، فإن معنى ذلك هو أنه قد طلب ذلك من الناس في وقت الضحى، وقبل صلاة الظهر بساعات يمكن فيها الوصول إلى بني قريظة قبل حلول وقت الظهر. وذلك واضح.

٢- المسير إلى قريظة في نحو ساعتين:

وأما بالنسبة إلى الأمر الثاني: وهو أن الوصول إلى بني قريظة لا يحتاج إلى وقت طويل نقول:

إن ذلك يتضح إذا أخذنا بنظر الاعتبار ما يلي:

ألف: بنو قريظة في عوالي المدينة:

إن منازل بني قريظة كانت بالعالية (عالية المدينة) على وادي مهزور^(١) حيث يقع مسجد بني قريظة الذي هو بالعوالي على باب حديقة تعرف بحاجزة - شرقي مسجد الشمس - (أعني مسجد الفضيل)، الذي يقع هو الآخر شرقي مسجد قباء^(٢) في الحرة الشرقية المعروفة بحرة واقم، وتسمى حرة بني قريظة أيضاً، لأنهم كانوا بطرفها القبلي^(٣).

ب: كم يستغرق المسير إلى العوالي:

قد وردت روايات تفيد: أن الذهاب إلى العوالي لا يستغرق وقتاً كبيراً. فقد ذكرت نصوص: أن البعض كان يسير من مسجد المدينة بعد صلاة العصر، فيصل إلى العوالي، والشمس بيضاء حية، نقية، مرتفعة. وقد حددت نفس هذه النصوص المسافة التي كان يقطعها بميلين، وثلاثة، وأربعة، وستة. وسيأتي تفسير هذا الاختلاف، والنصوص هي التالية:

١ - روي: أن رسول الله «صلى الله عليه وآله» كان يصلي العصر، والشمس (بيضاء) مرتفعة حية، فيذهب الذهاب إلى العوالي، فيأتيها،

(١) وفاء الوفاء ج ١ ص ١٦١ وج ٣ ص ١٠٧٦ وراجع: معجم البلدان (ط دار الكتب العلمية) ج ١ ص ٣٤٦ وج ٥ ص ٢٣٤ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ١ ص ٢٨٧.

(٢) راجع: وفاء الوفاء ج ٣ ص ٨٢٣ و ٨٢٤ و ٨٢١ ومراة الحرمين ج ١ ص ٤١٩.

(٣) راجع: وفاء الوفاء ج ٤ ص ١١٨٨.

٣١٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١
والشمس مرتفعة^(١).

وفي البخاري: أن النبي «صلى الله عليه وآله» نفسه كان يذهب بعد صلاة العصر إلى العوالي فيأتيها والشمس مرتفعة^(٢).
وبعض المصادر ذكرت النص المتقدم، ولم تذكر عبارة: فيأتي العوالي، أو فيأتيها^(٣). وعدم ذكر ذلك لا يضر في المقصود، لأنه إنما يتحدث عن التذكير في صلاة العصر، ولا يتم ذلك إلا إذا قدر الوصول إليها قبل المغرب، كما هو ظاهر.

٢ - عن أنس: كان أبعد رجلين من الأنصار من رسول الله «صلى الله عليه وآله» دار أبو لبابة بن عبد المنذر، وأهله بقاء، وأبو عبيس بن خير، ومسكنه في بني حارثة، فكانا يصليان مع رسول الله «صلى الله عليه وآله» العصر، ثم يأتیان قومهما، وما صلوا لتعجيل رسول الله «صلى الله عليه

(١) راجع: صحيح مسلم ج ٢ ص ١٠٩ وسنن الدارقطني ج ١ ص ٢٥٣ وصحيح البخاري ج ١ ص ٦٩ وج ٤ ص ١٧٠ وسنن الدارمي ج ١ ص ٢٧٤ والسنن الكبرى ج ١ ص ٤٤٠ وتحفة الأحوذى ج ١ ص ٤٩٣ و ٤٩٦.

(٢) صحيح البخاري ج ٤ ص ١٧٠.

(٣) سنن أبي داود ج ١ ص ١١١ ومختصر سنن أبي داود للمنذري ج ١ ص ٢٣٩ ومسنند أحمد ج ٣ ص ١٦١ و ٢١٧ وسنن النسائي ج ١ ص ٢٥٣ ومسنند أبي عوانة ج ١ ص ٣٥١ وسنن ابن ماجة ج ١ ص ٢٢٣ والمصنف للصنعاني ج ١ ص ٥٤٧ وكتر العمال ج ٨ ص ٢٧ عنه وعن ابن أبي شيبة. والسنن الكبرى ج ١ ص ٤٤٠ ونصب الراية ج ١ ص ٢٤٦ وشرح معاني الآثار ج ١ ص ١٩٠ والتمهيد ج ٦ ص ١٧٩.

ويلاحظ: أن أبا لبابة إنما كان يسكن في منطقة بني قريظة، الذين كانت منازلهم بالقرب من قباء وقباء من العوالي^(٢). ولم يكن يسكن في قباء نفسها، كما يظهر من الرواية الآتفة الذكر.

ويدل على ذلك: ما سيأتي من أنه تعهد بأن يهجر دار قومه التي أصاب فيها الذنب ودار قومه هي دار بني قريظة^(٣)، «لأن ماله وولده، وعياله كانت في بني قريظة»^(٤).

وقد ذكر المؤرخون: أن أبا لبابة كان مناصحاً لهم.
ومهما يكن من أمر: فإن هذا يدل على أن بني قريظة كانوا يسكنون في أدنى العالية، أي قرب منازل بني عمرو بن عوف.
ولسوف يأتي تحديد العالية، قريباً وبعداً، بعد قليل.

(١) سنن الدارقطني ج ١ ص ٢٥٤ وشرح معاني الآثار ج ١ ص ١٨٩ و ١٩٠ وشرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ٣٥.

(٢) راجع: إرشاد الساري ج ١ ص ٤٩٤ وشرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ٣٥.

(٣) عيون الأثر ج ٢ ص ٧٠ و ٧١ والعبر وديوان المبتدأ والخبر ج ٢ ق ٢ ص ٣١ والإكتفاء للكلاعي ج ٢ ص ١٧٩ والمغازي للواقدي ج ٢ ص ٥٠٩ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٦ والسيرة الحلبية ج ٢ ص ٢٤٦ وشرح بهجة المحافل ج ١ ص ٢٧٣ وسبل الهدى والرشاد ج ٥ ص ١٨ و ١٩ وراجع: تاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٥ وراجع: قاموس الرجال ج ٢ ص ٢١١.

(٤) السيرة الحلبية ج ٢ ص ٣٣٦ والسيرة النبوية لدحلان ج ٢ ص ١٥ وتاريخ الخميس ج ١ ص ٤٩٥.

٣١٦ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

٣ - روي أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يصلي العصر، والشمس بيضاء، نقية مرتفعة، يسير الرجل حين ينصرف منها إلى ذي الحليفة، ستة أميال، قبل غروب الشمس^(١).

٤ - سأل ثابت بن عبيد أنساً عن وقت العصر، فقال: وقتها أن تسير ستة أميال إلى أن تغرب الشمس^(٢).

٥ - عن أبي أروى: كنت أصلي مع النبي «صلى الله عليه وآله» صلاة بالمدينة، ثم آتى ذا الحليفة، قبل أن تغيب الشمس، وهي على قدر فرسخين وفي نص آخر: ستة أميال^(٣). والفرسخان عبارة عن ستة أميال، لأن الميل ثلث فرسخ^(٤).

قال الطحاوي: «قد يجوز أن يكون ذلك سيراً على الأقدام، وقد يجوز أن يكون سيراً على الإبل والدواب، فنظرنا في ذلك، فإذا.. قال حدثنا أبو أروى، قال: كنت أصلي العصر مع النبي «صلى الله عليه وآله»، ثم أمشي إلى ذي الحليفة، فأتيتهم قبل أن تغيب الشمس، ففي هذا الحديث: أنه كان يأتيها ماشياً^(٥)».

(١) سنن الدارقطني ج ١ ص ٢٥٢ والسنن الكبرى ج ١ ص ٤٤١.

(٢) التمهيد ج ١ ص ٢٩٨.

(٣) راجع: تحفة الأحوذى ج ١ ص ٤٩٣ عن البزار، وأحمد، والطبراني في الكبير، والتمهيد ج ٦ ص ١٨١ وشرح معاني الآثار ج ١ ص ١٩١.

(٤) عمدة القاري ج ٢٥ ص ٥٧ و ٣٧ وإرشاد الساري ج ١٠ ص ٣٣٣.

(٥) راجع: شرح معاني الآثار ج ١ ص ١٩١.

ج: ما المراد بكون الشمس حية؟:

قد تقدم: التعبير بكون الشمس حية.

وحياتها: أن تجد حرها كما عن خيشمة والخطابي^(١).

وقيل: حياتها وجود ضوئها، وصفاء لونها، قبل أن يصفر ويتغير^(٢).

وقال الزين ابن المنير: حياتها: قوة أثرها: حرارة، ولوناً، وشعاعاً، وإنارة،

وذلك لا يكون بعد مصير الظل مثلي الشيء^(٣).

د: بعد العوالي عن مسجد النبي ﷺ:

وحين ذكر الحديث: أن النبي «صلى الله عليه وآله» كان يصلي العصر،

ثم يذهب هو أو غيره إلى العوالي فيأتيها والشمس مرتفعة، ألحق في نهاية

هذا الحديث نفسه تحديداً لبعد العوالي عن المسجد النبوي، فقال: والعوالي

من المدينة على ستة أميال^(٤).

(١) راجع: سنن أبي داود ج ١ ص ١١١ ومختصر سنن أبي داود للمنذري ج ١ ص ٢٣٩

والتمهيد ج ١ ص ٣٠٠ وفتح الباري ج ٢ ص ٢٢ ونيل الأوطار ج ١ ص ٣٩١

والتعليق المغني على سنن الدارقطني ج ١ ص ٢٥٣ والسنن الكبرى ج ١ ص ٤٤١

وشرح النووي على صحيح مسلم ج ٥ ص ١٢٢.

(٢) زهر الربى على المجتبى ج ١ ص ٢٥٣ و ٢٥٤ وعون المعبود ج ٢ ص ٧٧ وشرح

النووي على صحيح مسلم ج ٥ ص ١٢٢ وإرشاد الساري ج ١ ص ٤٩٣.

(٣) راجع: فتح الباري ج ٢ ص ٢٢.

(٤) سنن الدارقطني ج ١ ص ٢٥٣ وإرشاد الساري ج ١ ص ٤٩٣ عنه، وكذا في عمدة

القاري ج ٥ ص ٣٧ وفتح الباري ج ٢ ص ٢٣.

٣١٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١
وفي نص آخر: وبعض (وُبُعْدُ) العوالي من المدينة على أربعة أميال
ونحوه^(١).

وعند السهودي: «المعروف: أن ما كان في جهة القبلة فأكثر من
المسجد النبوي فهو عالية».

ويدل على ذلك: أن السنح، وهو منازل بني الحارث بن الخزرج بعوالي
المدينة، وبينه وبين مسجد النبي «صلى الله عليه وآله» ميل^(٢).
وبعض المصادر تقول: والعوالي على ميلين، أو ثلاثة من المدينة، وأحسبه
قال: أو أربعة^(٣).

وفي بعضها: على ميلين أو ثلاثة^(٤).
أو: على أربعة أميال، أو ثلاثة^(٥).

(١) صحيح البخاري ج ١ ص ٦٩ والسنن الكبرى ج ١ ص ٤٤٠ وتحفة الأحوذى
ص ٤٩٣ و ٤٩٦ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٦١ ونيل الأوطار ج ١ ص ٣٩١
والمنتقى لابن تيمية ج ١ ص ٢١٠.

(٢) راجع: وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٦١.

(٣) سنن أبي داود ج ١ ص ١١١ ومختصر سنن أبي داود للمنذري ج ١ ص ٢٣٩
ومسند أحمد ج ٣ ص ١٦١ والمصنف للصنعاني ج ٥ ص ٥٤٧ ووفاء الوفاء ج ٤
ص ١٢٦١ والسنن الكبرى ج ١ ص ٤٤٠ وشرح معاني الآثار ج ١ ص ١٩٠
ونصب الراية ج ١ ص ٢٤٦.

(٤) عمدة القاري ج ٥ ص ٣٧ وشرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ٣٥ وفتح الباري ج ٢
ص ٢٣.

(٥) السنن الكبرى ج ١ ص ٤٤٠ وعمدة القاري ج ٥ ص ٣٧ عنه وصحيح البخاري
ج ٤ ص ١٧٠ وفتح الباري ج ٢ ص ٢٣ ووفاء الوفاء ج ١٢٦١.

- الفصل الأول: المسير إلى حصون قريظة ٣١٩
- قال عياض: هذا حد أدناها، وأبعدها ثمانية أميال، وبه جزم ابن عبد البر، وصاحب النهاية^(١).
- وفي العتبية، أو المدونة، عن مالك: أقصى العالية ثلاثة أميال، يعني من المسجد النبوي^(٢).
- قال عياض: كأنه أراد معظم عمارتها، وإلا، فأبعدها ثمانية أميال^(٣)، أو عشرة^(٤).
- أما السهمودي فقال: «طريق الجمع: إن أدنى العوالي من المدينة على ميل، أو ميلين. وأقصاها عمارة على ثلاثة أو أربعة أميال، وأقصاها مطلقاً ثمانية أميال»^(٥).
- واعتبر البعض: أن أقرب العوالي ميلان، وأبعدها ستة^(٦).
- وعند النووي والشوكاني: «العوالي هي القرى حول المدينة، أبعدا على ثمانية أميال من المدينة، وأقربها ميلان، وبعضها ثلاثة أميال»^(٧).
-
- (١) إرشاد الساري ج ١ ص ٤٩٣.
- (٢) راجع: وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٦١ وقال: وذكره ابن حزم أيضاً، ونقله الحافظ ابن حجر عن أبي عبيد، وعمدة القاري ج ٥ ص ٣٧ وفتح الباري ج ٢ ص ٢٣.
- (٣) إرشاد الساري ج ١ ص ٤٩٣ وعمدة القاري ج ٥ ص ٣٧ وفتح الباري ج ٢ ص ٢٣ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٦١.
- (٤) شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ٣٥.
- (٥) وفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٦٢.
- (٦) إرشاد الساري ج ١ ص ٤٩٣.
- (٧) شرح النووي على صحيح مسلم ج ٥ ص ١٢٢ ونيل الأوطار ج ١ ص ٣٩١ وراجع: الإستذكار ج ١ ص ٣٤٤.

٣٢٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١

وقيل: أقرب العوالي من المدينة ميلان أو ثلاثة^(١)، ومنها ما يكون على ثمانية أميال أو عشرة^(٢).

عذر أقبح من ذنب:

ومن الغريب والعجيب - وما عشت أراك الدهر عجباً - قول العسقلاني هنا:

«أما من احتج لمن أخر بأن الصلاة حثيث كانت تؤخر كما في الخندق، وكان ذلك قبل صلاة الخوف فليس بواضح؛ لاحتمال أن يكون التأخير في الخندق كان عن نسيان، وذلك بين في قوله «صلى الله عليه وآله» لعمر، لما قال له: ما كدت أصلي العصر حتى كادت الشمس أن تغرب، فقال: والله ما صليتها، لأنه لو كان ذاكرة لها لبادر إليها كما صنع عمر، انتهى»^(٣).

وهكذا، فإن نتيجة كلام العسقلاني هي: أن عمر كان أذكر للصلاة من رسول الله «صلى الله عليه وآله»!! وأكثر اهتماماً بشأنها. ولم ينسها عمر (رغم انشغاله الشديد بأمر الحرب في الخندق حتى لقد حقق أعظم الانتصارات فيها!! وقتل أعظم فرسانها!! وهزم الأحزاب، وفرق جمعهم

(١) الجواهر النقي (مطبوع بهامش سنن البيهقي) ج ١ ص ٤٤١ والتمهيد ج ٦

ص ١٧٨ وراجع: شرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ٣٥ ووفاء الوفاء ج ٤ ص ١٢٦١

وقال: ذكره ابن حزم أيضاً ونقله ابن حجر عن أبي عبيد.

(٢) التمهيد ج ٦ ص ١٧٨ وشرح الموطأ للزرقاني ج ١ ص ٣٥.

(٣) فتح الباري ج ٧ ص ٣١٦.

بسبب ضربته الكبرى، التي تعدل عبادة الثقليين^(١)، أو انشغاله بالهزيمة والاختباء في الحديقة هو وطلحة وآخرون، حتى فضحت أمرهم عائشة).

أما النبي «صلى الله عليه وآله» الذي لم يقم بأي شيء من ذلك: فقد نسي صلاته وذلك يعني - كما يريد هؤلاء أن يقولوا -: أن الصلاة كانت لا تمثل لدى هذا النبي «صلى الله عليه وآله» شيئاً ذا أهمية رغم كونه نبي هذه الأمة وهو الأسوة والقدوة.

نعم.. هذا ما يوحى به كلام العسقلاني الذي لم يعجبه نسبة تأخير الصلاة عمداً لبعض الصحابة، الذي قد يظهر أن بعضهم لا يجوز - بنظره - نسبة أي قصور أو تقصير إليه، بل لا بد من الاهتمام به والحفاظ عليه أكثر من النبي الأكرم «صلى الله عليه وآله»، وحتى على حساب عصمته ونبوته. والملفت هنا: أن مسلماً يروي في صحيحه هذه القضية بصورة ليس فيها ذلك، فيقول:

«عن عبد الله قال: حبس المشركون رسول الله «صلى الله عليه وآله» عن صلاة العصر حتى احمرت الشمس أو اصفرت، فقال رسول الله «صلى الله عليه وآله»: شغلونا عن الصلاة الوسطى، صلاة العصر، ملأ الله أجوافهم وقبورهم ناراً الخ..^(٢)».

(١) هذا الكلام قد جاء على سبيل التعجب والحقيقة هي أن علياً «عليه السلام» هو الذي فعل ذلك كله.

(٢) صحيح مسلم ج ٢ ص ١٢٢ ومسند أبي عوانة ج ١ ص ٣٥٦ والمنتقى لابن تيمية ج ١ ص ٢١٣ عن أحمد ومسلم وابن ماجه.

تأثيره في بعض الحالات بسيطاً أما في حالات كثيرة

فإنه يترك آثاراً خطيرة على الجسم فيكون المريض يفتقر إلى

القدرة على العمل في بعض الحالات

وإنه يؤثر في بعض الحالات على

القدرة على العمل في بعض الحالات

تأثيره في بعض الحالات بسيطاً أما في حالات كثيرة

فإنه يترك آثاراً خطيرة على الجسم فيكون المريض يفتقر إلى

القدرة على العمل في بعض الحالات

وإنه يؤثر في بعض الحالات على

القدرة على العمل في بعض الحالات

تأثيره في بعض الحالات بسيطاً أما في حالات كثيرة

فإنه يترك آثاراً خطيرة على الجسم فيكون المريض يفتقر إلى

القدرة على العمل في بعض الحالات

وإنه يؤثر في بعض الحالات على

القدرة على العمل في بعض الحالات

تأثيره في بعض الحالات بسيطاً أما في حالات كثيرة

فإنه يترك آثاراً خطيرة على الجسم فيكون المريض يفتقر إلى

القدرة على العمل في بعض الحالات

وإنه يؤثر في بعض الحالات على

القدرة على العمل في بعض الحالات

تأثيره في بعض الحالات بسيطاً أما في حالات كثيرة

فإنه يترك آثاراً خطيرة على الجسم فيكون المريض يفتقر إلى

القدرة على العمل في بعض الحالات

الفهارس

- ١ - الفهرس الإجمالي
- ٢ - الفهرس التفصيلي

رسالة

في النجاة من النار
رسالة

١ - الفهرس الإجمالي

الفصل السابع: معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار ٥ - ٢٦

الفصل الثامن: عقد عينة.. مكذوب..... ٢٧ - ٤٨

الباب الثاني: معركة الخندق

الفصل الأول: الحصار والقتال ٥١ - ١١١

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين ١١٣ - ١٩٢

الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق ١٩٣ - ٢٥٤

الباب الثالث: غزوة بني قريظة

الفصل الأول: المسير إلى حصون قريظة ٢٦٣ - ٣٢٢

الفهارس ٣٢٣ - ٣٣٦

مقاله دوم: کاربرد روش

در این مقاله به بررسی روش‌های مختلف برای حل مسائل ریاضی

در این مقاله به بررسی روش‌های مختلف برای حل مسائل ریاضی

در این مقاله به بررسی روش‌های مختلف برای حل مسائل ریاضی

در این مقاله به بررسی روش‌های مختلف برای حل مسائل ریاضی

در این مقاله به بررسی روش‌های مختلف برای حل مسائل ریاضی

در این مقاله به بررسی روش‌های مختلف برای حل مسائل ریاضی

در این مقاله به بررسی روش‌های مختلف برای حل مسائل ریاضی

در این مقاله به بررسی روش‌های مختلف برای حل مسائل ریاضی

در این مقاله به بررسی روش‌های مختلف برای حل مسائل ریاضی

٢ - الفهرس التفصيلي

الفصل السابع

معنويات الجيشين، والرعب والخوف أيام الحصار

- ٧ الحالة المعنوية لجيش الأحزاب:
- ٨ المسلمون في مواجهة الأحزاب:
- ٨ الحالة العامة:
- ٩ يقين أهل الإيمان:
- ١٠ حالة المنافقين:
- ١١ النصوص التاريخية:
- ١٤ مواقف المنافقين:
- ١٧ من الذي قال: بيوتنا عورة؟!
- ١٩ من بقي مع النبي ﷺ في المواجهة؟!
- ٢٠ الحارث بن عوف:
- ٢٠ رهبة الليل:
- ٢٠ خوف الرسول ﷺ:
- ٢١ إتهام أحد البدرين بالنفاق:
- ٢٢ هيكل يخطئ في تصوراتهِ وتصوراته:
- الفصل الثامن: عقد عينة.. مكذوب**
- ٢٩ العقد المزعوم مع عينة بن حصن:

٣٢٨ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١
٣٣ نقاط ضعف في هذا الإتفاق:
٣٣	١ - التناقض والاختلاف:
٣٤	٢ - الحارث بن عوف:
٣٤	٣ - سعد بن الربيع:
٣٤	٤ - استشارة السعود، وإعطاء الدنية:
٣٥	٥ - المراوضة وكتابة الصلح:
٣٦	٦ - العجز والفشل:
٣٦	٧ - رأي النبي ﷺ ورأي غيره:
٣٧	٨ - اتهام النبي ﷺ:
٣٧	٩ - فَصَّلَ رسول الله ﷺ:
٣٨	١٠ - الاحتفاظ بسرية هذا العقد:
٣٨	١١ - أدب عينة، وغيره ابن حضير:
٣٩	١٢ - فأسكت رسول الله ﷺ:
٤٠	المساس بشرف الإسلام:
٤٠	إستفادات وتوجيهات:
٤٤	مناقشة سريعة:
٤٦	المشورة وقيمة رأي النبي ﷺ:
٤٧	الصحيح والمقبول في هذه القضية:
	الباب الثاني: معركة الخندق
	الفصل الأول: الحصار والقتال
٥٣ بداية الحديث:

٣٢٩.....	الفهارس
٥٣.....	مدة الحصار:
٥٧.....	الحراسة:
٦١.....	وقفات مع ما تقدم:
٦٦.....	فضائل موهومة لسعد ولعائشة:
٦٨.....	نساء النبي ﷺ في غزوة الخندق:
٦٩.....	المواجهة بين الفريقين:
٦٩.....	القتال بين المسلمين والمشركين:
٧٢.....	ملاحظة:
٧٣.....	كلام العلامة الحسني رحمه الله:
٧٣.....	روايات مشبوهة:
٧٦.....	دعوى قتل طلحة للنبي ﷺ:
٧٧.....	حديث أم سلمة:
٧٩.....	حديث آخر ينسب لأم سلمة:
٨١.....	إصابة سعد بن معاذ بسهم:
٨٣.....	حديث عائشة حول سعد:
٨٥.....	الاختلاف في من قتل سعد بن معاذ:
٨٥.....	سعد في خيمة رفيدة:
٨٦.....	إصابة أبي بن كعب في أكحله:
٨٦.....	هل فر عمر وطلحة في غزوة الخندق؟
٨٩.....	من بطولات سعد بن أبي وقاص:
٩٠.....	بطولات وهمية للزبير:

- ٣٣٠ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١
- ٩١ قدامة بن مظعون في حرب الخندق:
- ٩٣ القتال بين المسلمين وبين بني قريظة:
- ٩٣ ألف: التفكير بمباغنة المدينة:
- ٩٥ ب: قصة خوات بن جبير واليهودي:
- ٩٦ ج: تحركات، وتحرشات:
- ٩٧ د: قتل مغامر:
- ٩٨ صفية وحسان بن ثابت واليهودي:
- ١٠٠ ألف: جبن حسان:
- ١٠٢ ب: قصة حسان في الخندق أم في أحد؟!:
- ١٠٣ ج: تأثير هذه القضية على اليهود:
- ١٠٥ د: ربط السيف على الذراع وتناقض الرواية:
- ١٠٥ غنيمة المسلمين من المشركين:
- ١٠٦ الجن الذين في المدينة:
- ١٠٧ إشتباك مع الإخوة:
- ١٠٨ لعن الله الراكب، والقائد، والسائق:
- ١٠٨ آية قرآنية في خوات بن جبير:

الفصل الثاني: ضربة علي عليه السلام يوم الخندق تعدل عبادة الثقلين

- ١١٣ عبور الخندق:
- ١١٥ وصفهم لعمر:
- ١١٧ المواجهة بين عمرو والمسلمين:

الفهارس	٣٣١
رواية مشكوكة:	١١٧
أخذ الثغرة على عمرو وأصحابه:	١١٨
طلب البراز، وخروج علي عليه السلام لعمرو:	١١٩
برز الإسلام كله إلى الشرك كله:	١٢٣
الخصال الثلاث وقتل عمرو:	١٢٧
نص الحسكافي:	١٣١
نصوص أخرى:	١٣٣
يقول أهلكت ما لا لبداً:	١٣٧
لماذا طلب عمرو من علي أن يرجع؟!	١٣٧
علي عليه السلام غلام حدث؟! وشيخا قریش:	١٣٨
جرح علي عليه السلام:	١٣٩
الكبرياء والغطرسة:	١٣٩
إنه عمرو:	١٤٠
الخصال الثلاث:	١٤٢
قطع رجل عمرو:	١٤٤
علي عليه السلام ودرع عمرو:	١٤٤
قتله في الله:	١٤٧
الوسام الإلهي:	١٤٨
تمحلات وتعصب ابن تيمية:	١٤٩
شهادة حذيفة:	١٥١
شهادات، ومواقف أخرى:	١٥٢

٣٣٢ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١
١٥٢	شهادة أبي الهذيل والمعتزلي.....
١٥٤	لا نأكل ثمن الموتى:.....
١٥٥	فرح الملائكة بقتل عمرو:.....
١٥٥	أين المقداد وعمار؟!.....
١٥٧	قتل عمرو وهزم بني قريظة والأحزاب:.....
١٥٨	الخوارج وحديث قتل عمرو:.....
١٥٩	متى قتل عمرو؟:.....
١٦٠	قتل حسيل بن عمرو بن عبد ود:.....
١٦٠	قتل نوفل بن عبد الله:.....
١٦٤	إنما هي جيفة حمار:.....
١٦٦	الزبير وهبيرة بن وهب:.....
١٦٨	واحدي يا رسول الله:.....
١٦٩	عمر وضرار بن الخطاب:.....
١٧١	عمر ليس أخا ضرار:.....
١٧٢	الآن نغزوهم ولا يغزوننا:.....
١٧٢	الأشعار في غزوة الخندق.....
١٧٩	المكر المفضوح:.....
١٨٠	تعصب يثير الغثيان:.....
١٨١	من تشكيكات الجاحظ وتعصباته:.....
١٨٣	المعركة، التي لا حقيقة لها:.....
١٨٨	إستفادات غير موفقة:.....

٣٣٣	الفهارس
١٩٠	الصحيح في القضية:
١٩١	السر والسبب:
الفصل الثالث: كيف انتهت حرب الخندق	
١٩٥	ما فعله نعيم بن مسعود:
٢٠٨	اللمحات الأخيرة:
٢٠٩	التبرير بلا مبرر:
٢١٠	الشائعات والحرب النفسية:
٢١١	الدعاء والابتهاال:
٢١٥	الريح والملائكة:
٢١٩	مهمة حذيفة بن اليمان:
٢٢٣	نص آخر لقضية حذيفة:
٢٣١	حقيقة القضية:
٢٣١	رسالة أبي سفيان للنبي ﷺ قبل الرحيل:
٢٣٢	الرحيل الدليل:
٢٣٤	وكفى الله المؤمنين القتال (بعلي) ﷺ:
٢٣٩	أشجع الأمة:
٢٤٠	مفارقة في الموقف:
٢٤١	الآن نغزوهم، ولا يغزوننا:
٢٤٢	متى قال النبي ﷺ كلمته؟!
٢٤٣	لماذا لن تغزوهم قريش بعد اليوم؟!
٢٤٦	غلط حسابات المعتزلي:

٣٣٤ الصحيح من سيرة النبي الأعظم ﷺ ج ١١
٢٤٧ الشهداء والقتلى:
٢٤٧	١ - الشهداء من المسلمين:
٢٤٩	٢ - القتلى من المشركين:
٢٥٠ العودة إلى المدينة:
٢٥٢ عثمان وبنت النبي ﷺ في الخندق:

الباب الثالث: غزوة بني قريظة

٢٥٧ آيات في غزوة بني قريظة:
٢٥٩ خلاصات عن غزوة بني قريظة:

الفصل الأول: المسير إلى حصون قريظة

٢٦٥ بداية:
٢٦٦ متى كانت غزوة بني قريظة:
٢٦٧ من هم بنو قريظة؟!:
٢٦٧ نقض قريظة للعهد:
٢٦٩ آية نزلت في بني قريظة:
٢٧٠ رؤيا كرويا عاتكة في بدر:
٢٧١ تعبير الرؤيا:
٢٧٣ تزوير التاريخ:
٢٧٥ جبريل يأمر بالمسير إلى بني قريظة:
٢٧٧ في بيت عائشة أم في بيت فاطمة ؓ؟!:
٢٨٣ غارات واستلاب:
٢٨٤ المسلمون يرون جبرئيل؟!:

٣٣٥.....	الفهارس
٢٨٨.....	توضيح لا بد منه:
٢٨٨.....	جبرئيل عليه السلام والنبي ﷺ:
٢٩١.....	النبي ﷺ يندب الناس إلى بني قريظة:
٢٩٣.....	الأول: قدّم راية المهاجرين:
٢٩٥.....	الثاني: حمراء الأسد أو الروحاء:
٢٩٦.....	الثالث: على حمار، أم على فرس؟!:
٢٩٧.....	الرابع: من الذي نادى في الناس: علي أم بلال؟!:
٢٩٨.....	الخامس: رواية لا تصح:
٢٩٩.....	السادس: لماذا لم يعنف عليه السلام تاركي الصلاة؟:
٣٠٧.....	إستفادات ودلالات:
٣١١.....	أمران يحسن إيضاها:
٣١٢.....	١ - لا تصلوا الظهر إلا في بني قريظة:
٣١٢.....	٢ - المسير إلى قريظة في نحو ساعتين:
٣١٣.....	ألف: بنو قريظة في عوالي المدينة:
٣١٣.....	ب: كم يستغرق المسير إلى العوالي:
٣١٧.....	ج: ما المراد بكون الشمس حية؟:
٣١٧.....	د: بعد العوالي عن مسجد النبي ﷺ:
٣٢٠.....	عذر أقبح من ذنب:
	الفهارس:

٣٢٥..... ١ - الفهرس الإجمالي

٣٢٧..... ٢ - الفهرس التفصيلي